سماحة المرجع الديني آية الله العظمى
السيد محمد تقي المدرسي

من هدى القرآن

الجزء الثامن عشر

سورة الفاتحة - سورة البقرة - سورة آل عمران

دار القارئ

بسم الله الرحمن الرحیم

من هدى القرآن

كاتب:

آیت الله سید محمد تقی مدرسی

نشرت فی الطباعهٔ:

دار محبی الحسین (علیه السلام)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

من هدی القرآن المجلد ۱۸

اشاره

سرشناسه:مدرسی، محمدتقی، - ۱۹۴۵

عنوان و نام پدیدآور:من هدی القرآن/ محمدتقی المدرسی

مشخصات نشر:تهران: دار محبی الحسین، ۱۳۷۷.

مشخصات ظاهری:ج ۱۸

شابک:۱۸--ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۹-X۱۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۰-۳۱۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۱-۱۱۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۴-
۱۸-۱۱۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۵-۷۱۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۶-۵۱۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۷-۳۱۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۰-۶۶-
۹۱۰-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۱-۴۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۲-۲۸-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۳-۰۹-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۶-۸۲-
ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۷-۶۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۸-۴۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۹-۲۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۳-۳
۹۶۴-۵۶۴۸-۰۰۰۰-۱۱۸-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۴-X۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۵ ؛ ۱۸--ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۱-۱۱۷
ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۷-۳۱۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۸-۱۱۴-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۹-X۱۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۲۰-۳۱۶-
ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۳-۰۹-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۴-۹۱۰-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۵-۷۱۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۶-۵۱۲-
ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۹-۲۵-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۰-۶۶-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۱-۴۷-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۱۲-۲۸-
ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۵-X۱-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۶-۸۲-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۷-۶۳-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۸-۴۴-
ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۳-۳-۹۶۴-۵۶۴۸-۰۰۰۰-۱۱۸-ISBN۹۶۴-۵۶۴۸-۰۴

وضعیت فهرست نویسی:فهرستنویسی قبلی

یادداشت:عربی

یادداشت:کتاب حاضر در سالهای مختلف توسط ناشرین مختلف منتشر شده است

یادداشت:کتابنامه

موضوع:تفاسیر شیعه -- قرن ۱۴

رده بندی کنگره:BP۹۸/م ۴م ۸ ۱۳۷۷

رده بندی دیویی:۲۹۷/۱۷۹

شماره کتابشناسی ملی:م ۷۷-۱۲۵۶۱

ص :۱

اشاره

سوره الطارق

اشاره

ص:۳

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

فضل السوره

فی کتاب ثواب الأعمال بإسناده عن أبی عبد اللّه-علیه السلام-قال: «من کانت قراءته فی فرائضه بالسماء و الطارق کانت له عند اللّه یوم القیامه جاها و منزله،و کان من رفقاء النبیین و أصحابهم فی الجنه »

ص:۵

الإطار العام

لكى يتسع قلب الإنسان للحقائق الكبرى فيعيها و يتكيف معها يرغّبه الوحى فى النظر و التفكر فى آفاق السماء و ما فيها من النجوم الثاقبه و الشهب الطارقه،و فى أغوار النفس و ما انطوت عليه من عالم كبير،و فى نشأته الأولى حيث خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب و الترائب،و مصيره الأخير حيث يواجه اعماله بلا حجاب و لا قوه و لا ناصر.

و لكى لا يتهرب البشر من الحقائق العظيمه،كواقع الرجع و الحساب بتكذيب الرساله أو تأويل انبائها بما يتناسب و اللامسؤوليه،يذكّره الوحى بأنّ القرآن قول فصل،و ليس بالهزل..و ينذر المكذّبين و الكافرين بأنّ اللّه يكيد لهم كيدا،و لكنّ يمهلهم،و أنت أيّها الإنسان اصبر و امهلهم رويدا.

ص:۶

[سوره الطارق (۸۶): الآيات ۱ الى ۱۷]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . وَ اَلسَّمٰاءِ وَ اَلطّٰارِقِ (۱) وَ مٰا أَدْرٰاكَ مَا اَلطّٰارِقُ (۲) اَلنَّجْمُ اَلثّٰاقِبُ (۳) إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمّٰا عَلَيْهٰا حٰافِظٌ (۴) فَلْيَنْظُرِ اَلْإِنْسٰانُ مِمَّ خُلِقَ (۵) خُلِقَ مِنْ مٰاءٍ دٰافِقٍ (۶) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ اَلصُّلْبِ وَ اَلتَّرٰائِبِ (۷) إِنَّهُ عَلىٰ رَجْعِهِ لَقٰادِرٌ (۸) يَوْمَ تُبْلَى اَلسَّرٰائِرُ (۹) فَمٰا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَ لاٰ نٰاصِرٍ (۱۰) وَ اَلسَّمٰاءِ ذٰاتِ اَلرَّجْعِ (۱۱) وَ اَلْأَرْضِ ذٰاتِ اَلصَّدْعِ (۱۲) إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ (۱۳) وَ مٰا هُوَ بِالْهَزْلِ (۱۴) إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً (۱۵) وَ أَكِيدُ كَيْداً (۱۶) فَمَهِّلِ اَلْكٰافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْداً (۱۷)

اللغه

۱[و الطارق]:هو النجم الذى يطرق بضيائه آفاق السماء، يقال: طرقنى فلان إذا أتانى ليلا،و أصل الطرق الدق،و منه المطرقه لأنّها يدقّ بها،و الطريق لأنّ المارّه تدقّه،و الطارق:

الآتى ليلا يحتاج إلى الدقّ.

۶[دافق]:الدفق صبّ الماء الكثير باعتماد قوى،و مثله الدفع،و جاء فى مفردات الراغب:ماء دافق:سائل بسرعه.

هكذا ماء الرجل يتدفّق و يتصبّب فى رحم المرأه بقوّه و بسرعه.

۷[الترائب]:هى ضلوع الصدر.

ص:۷

۹[تبلى السرائر]:أى تظهر،يقال بلى الثوب أى خلق، و بلوته اختبرته كأنى أخلقته من كثره اختبارى له،و يوم القيامه تختبر السرائر حتى يظهر خيرها من شرها.

۱۱[الرجع]:المطر لأنّه يجىء و يرجع و يتكرر.

۱۲[الصدع]:هو الشق فصدع الأرض انشقاقها بالنبات و ضروب الزروع و الأشجار.

إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ وَ مٰا هُوَ بِالْهَزْلِ

بينات من الآيات:

(۱)أ رأيت النجم الذى يطرق بنوره الثاقب فى عرض السماء!أ رأيته كيف يدفع اللّه به شرّ إبليس و جنوده عن السماء و أهلها و الأرض و سكّانها!إنّه مثل واحد لحفظ اللّه،فقسما به و بالسماء التى يحفظها:إنّ اللّه هو الحفيظ،و لولاه لما استطاع الإنسان أن يعيش لحظه و لا غيره من الأحياء.

وَ السَّمٰاءِ وَ الطّٰارِقِ قالوا:الطرق يعنى الدق،و إنّما سمّى السبيل طريقا لأنّ الإنسان يدقّ عليه برجله،و زائر الليل سمّى طارقا لأنّه بحاجه إلى دقّ الأبواب لتفتح،و لعلّ كلّ قادم تسمّيه العرب طارقا لأنّه هو الآخر يدقّ الأبواب باعتباره غريبا عن المنطقه.

و القسم بالسماء و ما يطرق فيها من النجوم الثاقبه يستثير عقل الإنسان، و يستقطب اهتمامه،و ينفض عن قلبه غبار الغفله و السبات..و بالذات حين

ص:۹

يكون القسم بالسماء البعيده عن متناول أيدينا و عن مرامى فكرنا،و بالطارق الذى يخشاه الإنسان،فليس كلّ طارق يطرق بخير.

و قد قال الشاعر:

يا راقد الليل مسرورا بأوّله إنّ الحوادث قد يطرقن أسحارا

لا تفرحنّ بليل طاب أوّله فربّ آخر ليل أجّج النارا

و حين يرتفع الإنسان إلى أفق التفكير و التدبر فى آيات اللّه فى السماء و الأرض يقترب من معرفه الحقائق الكبرى،بينما الذى يعيش فى زنزانه مشاكله اليوميه، و هواجس نفسه و وساوس قلبه،فإنّه يحرم التفكّر فى الآفاق،و يحرم بالتالى بولغ الحقائق.

و لعلّ هذا من أهداف القسم فى القرآن:الارتفاع بالإنسان إلى آفاق الحقائق بعيدا عمّا يحيط بفكره من قضايا خاصّه لا تنفكك تستقطب اهتماماته.

و القرآن منهج تفكير قبل أن يكون دائره للمعارف،و لذلك فهو لا يهدف مجّرد تعليم الإنسان،بل جعله قادرا على التعلّم بذاته،فهو يفتح مغاليق الفكر بمفاتيح الذكر،و يبصّر الإنسان الحقائق برفع الغشاوات عن قلبه،و يخرق الحجب التى تستر بصيرته عن رؤيه الحقائق باستثاره العقل و نفض غبار الغفله عن الفؤاد.

و سوره الطارق تتجلّى بين السور القصار بهذه الميزه.إنّها كما النجم الثاقب بنوره الوضىء تطرق أبواب القلب حتى تفتحه أمام شلّال النور المنبعث من الوحى.

[۲]ما هو الطارق؟دع فكرك يجوب فى آفاق الخليفه لعلّه يكتشف ما هو الطارق.

وَ مٰا أَدْرٰاكَ مَا الطّارِقُ

هـذه الكلمه تسـتثير عقـل الإنسـان،كما تبيّن له أهميه القضـيه.و قال بعض المفسـرين:كلّما ذكرت هـذه الجمله فى القرآن عرف موضوعها، مثل قوله سبحانه:

وَ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا لَيْلَهُ الْقَدْرِ لَيْلَهُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ،بينما إذا اسـتخدمت جمله وَ مٰا يُدْرِيکَ فإنّ الموضوع يبقى مجهولا فى النص.

[٣]:ما هو الطارق إذا؟إنّه النجم العالى الذى يثقب ضوؤه الباهر جدار الظلام.

[النّجم الثّاقب] قـالوا:الثـاقب المضـىء،و منه شـهاب ثاقب،و العرب تقول:اثقب نارک أى أضـئها،و الثقوب ما تشـعل به النار من دقاق العيدان.

و اختلفوا فى تأويل هـذه الكلمه..و الذى يبدو لى أنّ الطارق هى الأقدار التى تتواصل فى الليل و النهار بخيرها و شرّها،و لذلک نستعيذ باللّه من طارق السوء حسب

النص المأثور عن النبى-صلّى اللّه عليه و آله-: «أعوذ بک من شرّ طوارق الليل و النهار إلاّ طارقا يطرق بخير يا رحمن» (١).

و

فى الـدعاء: «بـک أستجير يا ذا العفو و الرضوان من الظلم و العـدوان،و من غير الزمان،و تواتر الأحزان،و طوارق الحـدثان،و من انقضاء المدّه قبل التأهب و العدّه» (٢).

و حسب هذا الرأى فإنّ النجم الثاقب هو بيان لهذا الطارق الذى يشبه النجم الثاقب، كما قال سبحانه: إِلاّٰ مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَهَ فَأَتْبَعَهُ شِهٰابٌ ثٰاقِبٌ (٣).

١- ١) القرطبى/ج ٢٠ ص ٣.

٢- ٢) مفاتيح الجنان/دعاء يوم الأحد.

٣- ٣) الصّافات ١٠/

و یکون القسم-إذا-بتلک الشهب التی یحفظ اللّه بها السماء من الشیاطین الذین یسترقون السمع،و یکون السیاق متناسبا مع الحدیث عن حفظه سبحانه لأهل الأرض.

و قیل:إنّ کلّ نجم یسمّی طارقا باعتباره یطلع باللیل،و علیه فإنّ القسم بکلّ نجوم السماء أو النجوم اللاّمعه،و قال البعض:

بل النجم هنا هو زحل ،و قد روی ذلک عن الإمام الصادق-علیه السلام- (1)،و قال بعضهم:بل هو الثریا،و قال الآخر:بل هو الزهره.

و قد تتسع العبارات لکلّ تلک التطبیقات،ذلک لأنّ آیه نتلوها فی سوره الملک یظهر منها أنّ مصابیح السماء هی رجوم الشیاطین أو مراکز لرجمهم،قال ربنا سبحانه: وَ لَقَدْ زَیَّنَّا السَّمٰاءَ الدُّنْیٰا بِمَصٰابِیحَ وَ جَعَلْنٰاهٰا رُجُوماً لِلشَّیٰاطِینِ (2).

فمن المحتمل أن تکون النجوم هی ذات الشهب الطارقه أو أنّها مصادر للشهب.

یبقی أن نقول:إنّ المراد من النجم یمکن أن یکون جنس النجم فیشمل سائر الأنجم و لیس واحدا منها.

[4]حینما ینظر الإنسان إلی متانه بناء السماء،و کیف جعلها اللّه سقفا محفوظا، و زرع فی أرجائها مراجم للقوی الشیطانیه التی تسعی لإفساد النظام فیها،یطمئنّ إلی تلک الید العظیمه التی تمسک السموات و الأرض أن تزولا،و یعرف أنّه فی کنف ربّ عظیم،یحفظه من طوارق السوء.

إِنْ کُلُّ نَفْسٍ لَمّٰا عَلَیْهٰا حٰافِظٌ

1- 1) راجع نور الثقلین/ج 5 ص 549.

2- 2) الملک5/.

عشرات الألوف من الحفظه يحرسونک من الأخطار المحدقه بک،فلا یصیبک إلّا ما تستحق أو ما تقتضیه حکمه الرب.

أنظر إلی نظام حمایه الجسد تترکّب من أجهزه عدیده:

ألف:فجهاز التکیّف مع المحیط المتشکّل من العین و الأذن و الذوق و سائر الأحاسیس،و أبرز ما فیه شبکه الأعصاب العجیبه.

باء:و جهاز الدفاع أمام الأخطار و أبرزها الرجل و الید.

جیم:و جهاز الحمایه من الجراثیم،و فی طلیعتها امتناع الجسد من استقبال مالا یناسبه من الطعام و الشراب،کما إذا کانا عفنین أو مرّین.

دال:و جهاز المناعه الذاتیه ضد الجراثیم،التی لولاها لغزت الفیروسات و المیکروبات أرجاء الجسد بسهوله.أ رأیت الذی یفقد هذه المناعه و یبتلی بمرض الإیدز،کیف یموت بأبسط میکروب لأنّ جسده لا یقاومه.

هاء:و العواطف و الشهوات التی تدفع الإنسان دفعا قویا نحو المحافظه علی الجسد.

واو:و العقل الذی یقود الجسد فی خضم صراعه المریر ضد الطبیعه و ضد سائر الأخطار.

و عشرات الأجهزه المحیطه بالجسم التی لو أردنا شرحها لملأت أسفارا کبیره.

و مثل نظام حمایه الجسد عشرات الأنظمه الأخری المبثوثه فی الطبیعه تحمی الإنسان من التلاشی،مما نعرف بعضها و نجهل الکثیر،کلّها شاهده علی أنّ اللّه

سبحانه هو الحفيظ الـذی أحاط الإنسان بحمايته،قال سـبحانه: لَهُ مُعَقِّبٰاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّٰهِ (۱)و فی هذه الآيه

جـاء الحـديث المـأثور عن الإمـام البـاقر-عليه السـلام-قال: يقول:بأمر اللّه من أن يقع فی ركیّ«بئر»، أو يقع عليه حائط،أو يصـيبه شیء،حتی إذا جـاء القـدر خلّوا بينه و بينه، يـدفعونه إلی المقـادير،و همـا ملكـان يحفظـانه بالليـل،و ملكـان بالنهار يتعاقبانه (۲)و بالذات المؤمنين و كلّ بهم ملائكه يحفظونهم،

فقد روی عن النبی-صـلّی اللّه عليه و آله-أنه قال: «و كّل بالمؤمن مائه و ستون ملكا يذبّون عنه ما لم يقدر عليه،من ذلك البصر سبعه أملاك يذبّون عنه كما يذبّ عن قصعه العسل الذباب،و لو و كل العبد إلی نفسه طرفه عين لاختطفته الشياطين» (۳).

و يظهر من هذا الحديث:أن الملائكه يذبّون الشياطين عن المؤمن لكی لا يؤثروا عليه ماديّا و معنويّا،و يقوم الحفظه بحفظ أعمال العباد و ما تبدی منهم، من نيّه و كلمه و فعله،قال اللّه سبحانه: وَ إِنَّ عَلَيْكُمْ لَحٰافِظِينَ* كِرٰاماً كٰاتِبِينَ* يَعْلَمُونَ مٰا تَفْعَلُونَ (۴).

و هكـذا لا يصـيب الإنسان مصـيبه أو أذی إلاّ بإذن اللّه،إذ لولا ذلك لمنعت عنه الحفظه،و قد قال ربنا سـبحانه: إِنَّ اللّٰهَ لاٰ يُغَيِّرُ مٰا بِقَوْمٍ حَتّٰی يُغَيِّرُوا مٰا بِأَنْفُسِهِمْ .

[۵]و لكی يتأكّد الإنسان من الحفظه فليفكّر فی نشأته:كيف كان نطفه(فی صـلب أبيه ثم رحم أمّه)مهانه ضعيفه.من الذی حفظها فی مسيرتها الصـعبه؟ أو تـدری كم هی الأنظمه الـدقيقه التی تحيـط بالنطفه و هی تتقلّب من طور إلی طور فی رحم الأم؟و هل كان من الممكن لك و أنت نطفه أن تحفظ نفسك من

۱- ۱) الرعد/۱۱.

۲- ۲) نور الثقلين/ج ۲ ص ۴۸۷.

۳- ۳) تفسير البصائر/ج ۵۴ ص ۳۵۴.

۴- ۴) الإنفطار/۱۰-۱۲.

الأخطار؟ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسٰانُ مِمَّ خُلِقَ إنّ هـذا النظر يفتـح أمام الإنسان آفاقا من المعرفه،لأنه يهتـدى بـذلك إلى حقيقه نفسه و مـدى ارتكاسـها فى العبوديه و الحـاجه فيخرج من ظلمه الغرور و الكـبر و التعـالى إلى نور الواقعيه و التواضع،كمـا أنّه(بـالنظر إلى بـدء نشأته)يعرف مسـتقبله.أو ليس الإنسان يعود كما بدأ؟ [۶]من الصـعب علينا تصوّر العدم حيث أنشأنا البارى لا من شـىء كان و لا مثـال احتـذاه،و لكن أ فلاـ نقـدر على تصوّر المسـافه بين النطفه و بين الإنسان المتكامل؟إذا لنعرف أنّ المسافه بين النشأه الأولى حينمـا خلقنـا اللّه من تراب و حتى جعلنـا فى صوره نطفه أبعـد و أعظم.أمّا المسافه بين العـدم و الوجود فإنّها لا تقاس بأيّه مسافه اخرى،لأنّ تصوّر العدم من قبلنا يشبه المستحيل.

دعنا إذا ننظر إلى حيث كنّا قطرات من ماء دافق،و نتساءل:كيف كنّا، و الآن كيف صرنا؟أ فليس الذى حوّلنا من تلك الحاله إلى حيث نحن بقادر على أن يعيدنا بعد الموت؟بلى. أَنَّهُ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

خُلِقَ مِنْ مٰاءٍ دٰافِقٍ ينبعث من الصلب إلى الرحم ليستقرّ فى مقام أمين حيث ينشأوه خلقا آخر.

و لعـل كلمه«من»هنـا تشـير إلى أنّ هـذه القطره المتواضـعه ليست كلّهـا منشأ خلق البشـر بل شـىء منها،بلى.فإنّ خليّه واحـده بين ملايين الخلايا هى منشأ خلقه هـذا العالم الكبير الـذى يختصـر فى بناء الإنسان فإنّها حين تسـتقر فى الرحم تبدأ بامتصاص الغذاء لتنشطر إلى خلايا ثم تتكوّن كلّ خليّه فى زاويه ليصنع اللّه منها

جزء من وجود الإنسان بدقه و لطف حتی تکتمل نشأته.

و یجدر بنا أن نستمع هنا إلی

تذکره إیمانیه علی لسان الإمام الصادق-علیه السلام-فی حدیثه المفضّل إلی تلمیذه المفضّل بن عمر حیث یقول:

نبتدئ یا مفضّل بذکر خلق الإنسان فاعتبربه،فأوّل ذلک ما یدبّر به الجنین فی الرحم،و هو محجوب فی ظلمات ثلاث:ظلمه البطن،و ظلمه الرحم، و ظلمه المشیمه،حیث لا حیله عنده فی طلب غذاء،و لا دفع أذی،و لا استجلاب منفعه،و لا دفع مضرة،فإنّه یجری إلیه من دم الحیض ما یغذوه کما یغذو الماء النبات،فلا یزال ذلک غذاؤه حتی إذا کمل خلقه،و استحکم بدنه،و قوی أدیمه علی مباشره الهواء،و بصره علی ملاقاه الضیاء،هاج الطلق بأمّه فأزعجه أشد إزعاج و أعنفه حتی یولد،و إذا ولد صرف ذلک الدم الذی کان یغذوه من دم أمّه إلی ثدییها،فانقلب الطعم و اللون إلی ضرب آخر من الغذاء،و هو أشدّ موافقه للمولود من الدم،فیوافیه فی وقت حاجته إلیه، فحین یولد قد تلمّظ و حرّک شفتیه طلبا للرضاع،فهو یجد ثدی أمّه کالإدواتین المعلّقتین لحاجته إلیه،فلا یزال یغتذی باللبن ما دام رطب البدن،رقیق الأمعاء،لیّن الأعضاء،حتی إذا تحرک و احتاج إلی غذاء فیه صلابه لیشتد و یقوی بدنه طلعت له الطواحن من الأسنان و الأضراس لیمضغ به الطعام فیلین علیه،و یسهل له إساغته،فلا یزال کذلک حتی یدرک،فإذا أدرک و کان ذکرا طلع الشعر فی وجهه،فکان ذلک علامه الذکر و عزّ الرجل الذی یخرج به من حدّ الصبا و شبه النساء،و إن کانت أنثی یبقی وجهها نقیّا من الشعر،لتبقی لها البهجه و النضاره التی تحرّک الرجال لما فیه دوام النسل و بقاؤه.

اعتبر یا مفضل فیما یدبّر به الإنسان فی هذه الأحوال المختلفه،هل تری یمکن أن یکون بالإهمال؟أ فرأیت لو لم یجر إلیه ذلک الدم و هو فی الرحم ألم یکن سیذوی

ص:۱۶

و يجفّ كما يجفّ النبات إذا فقد الماء؟و لو لم يزعجه المخاض عند استحكامه ألم يكن سيبقى فى الرحم كالموؤود فى الأرض؟و لو لم يوافقه اللبن مع ولادته ألم يكن سيموت جوعا،أو يغتذى بغذاء لا يلائمه و لا يصلح عليه بدنه؟و لو لم تطلع عليه الأسنان فى وقتها ألم يكن سيمتنع عليه مضغ الطعام و إساغته،و أو يقيمه على الرضاع فلا يشدّ بدنه و لا يصلح لعمل؟ثم كان تشتغل أمّه بنفسه عن تربيه غيره من الأولاد،و لو لم يخرج الشعر فى وجهه فى وقته ألم يكن سيبقى فى هيأه الصبيان و النساء فلا ترى له جلاله و لا وقارا؟! (١).

[٧]و هذه النطفه المتدفّقه من صلب الذكر تلتقى على ميعاد بأخرى من ترائب الأنثى لتلقّحها.

يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَ التَّرائِبِ قالوا:الترائب نواحى الصدر،واحدتها تريبه،و هو مأخوذ من تذليل حركتها كالتراب.أمّا الصلب فهو عظم الظهر و مخّه.

و السؤال:ماذا يعنى أن يكون الإنسان هو بين الصلب و الترائب؟يجيب عن ذلك بعضهم بالقول:

إن صلب الإنسان هو عموده الفقرى،و ترائبه هى عظام صدره،و يكاد معناه يقتصر على الجدار الصدرى الأسفل،و يضيف:فى الأسبوع السادس و السابع من حياه الجنين فى الرحم ينشأ ما يسمّى(جسم و ولف و قناته)على كلّ جانب من جانبى العمود الفقرى،و من جزء من هذا تنشأ الكلى و الجهاز البولى،و من جزء آخر تنشأ الخصيه فى الرجل و المبيض فى المرأه،فكلّ من الخصيه و المبيض فى بدء تكوينهما يجاور الكلى،و يقع بين الصلب و الترائب اى ما بين منتصف العمود الفقرى تقريبا

ص:١٧

١- ١) موسوعه بحار الأنوار/ج ٣ ص ۶٢.

و مقابل أسفل الضلوع،و يضيف:و كلّ من الخصيه و المبيض بعد كمال نموّه يأخذ فى الهبوط إلى مكانه المعروف،فتهبط الخصيه حتى تأخذ مكانها فى الصفن(و وعاء الخصيه)و يهبط المبيض،حتى يأخذ مكانه فى الحوض بجوار بوق الرحم (۱).

[۸]الحقائق الكبرى تنزلق من قلب البشر لما فيها من ثقل و فخامه،و لذلك يحتاج الإنسان إلى العروج إليها عبر سلّم الحقائق الجزئيه التى هى مفرداتها و تجلّياتها،كما أنّ أشعه الشمس هى ظلال لعينها.إنّما يسمو الفؤاد إلى مستوى الحقائق الكبرى إذا اتخذ سلّما إليها،أمّا لو تركّز فيها النظر و تسمّرت عليها القدم فإنّها ستكون عقبه دون الصعود و حجابا دون الرؤيه،و هذه هى مشكله البشر الرئيسيه أنّه يتوقّف عند الحقائق الجزئيه.أ فلا نرى آثار قدره الرب فى كلّ خليّه و ذرّه،مع كلّ لحظه من لحظات الحياه؟بلى.و لكن لماذا القلب لا يزال مرتابا فى الاخره،و لا يزال محجوبا عن وعيها؟و حتى المؤمن بها بصوره مبدئيه تراه يتعامل معها بشك،لأنّه لا يسمو بعقله و وعيه عبر الحقائق التى تتجلّى فيها قدره الرب سبحانه، و هكذا لا يستطيع طرد وسوسه الشيطان من قلبه.كيف يعيد اللّه الإنسان بعد أن أضحى ترابا؟تعالوا نفترض:انّ الخليّه الحيّه التى خلق الإنسان بها تبقى كذلك دون أن تفنى،و إنّما تتلاشى الخلايا الاضافيه التى اجتمعت حولها فى الرحم بعد اللقاح،و إنّ اللّه يحفظ تلك الخليّه فى وعاء القبر أو فى أىّ وعاء أخر،كما حفظها فى صلب الرجل من قبل،ثم إنّه سبحانه يهيء الأرض لنموّها من جديد كما نمت فى رحم الام.أو نجد فى ذلك غرابه؟كلاّ.و نحن نعرف أنّ الخليّه الحيّه يمكن أن تعيش فى ظروف مختلفه و بصور شتّى،و بعض الخلايا تعيش فى ظروف صعبه جدّا،فلما ذا نستغرب مثلا أن تكون تلك الخليّه الرئيسيه من أمثالها؟ هذه الفكره التى قلنا آنفا إنّها نظريه نجدها تكفينا لحلّ اللغز التالى:كيف

ص:۱۸

۱- ۱) تفسير البصائر/ج ۵۴ ص ۳۶۷.

يعيد اللّه الإنسان بعد الموت؟و أقول:(تكفينا)لأنّ قيمه النظريه حلّ اللغز،و لعل نظريّات أخرى تكون موجوده،و لكن وجود نظريه واحده تغنى عن غيرها لنفى حاله التشكيك فى الحقيقه.

على أنّ هذه ليست مجّرد نظريه،و إنّما وردت عليها

روايه مأثوره عن الامام الصادق-عليه السلام-: أنّه سئل عن الميت يبلى جسده؟قال:«نعم.حتى لا يبقى لحم و لا عظم إلاّ طينته التى خلق منها،فإنّها لا تبلى،تبقى مستديره فى القبر حتى يخلق منها كما خلق أوّل مرّه» (١).

و هكذا قال ربّنا بعد أن ذكّرنا بالنشأه الاولى أنّه قادر على رجعه.

إِنَّهُ عَلىٰ رَجْعِهِ لَقٰادِرٌ [٩]و لكن عوده الإنسان ليست فى دوره طبيعيه كما يعود النبات فى فصل الربيع!كلاّ..إنّها عوده مقصوده كما أنّ خلقه فى الدنيا جاء بحكمه بالغه.فما هو الهدف من عودته؟إظهار حقيقته.

يَوْمَ تُبْلَى السَّرٰائِرُ الدنيا دار ابتلاء و اختبار،و من طبيعه الدنيا أنّها خليطه فيها الخير و الشر،و لا يميّز خيرها عن شرّها بسهوله،بينما الآخره دار جزاء،و كلّ شيء فيها ظاهر، و يعطى اللّه الإنسان من قوّه الاحساس ما يستوعب الكثير مما لم يقدر عليه فى الدنيا، بصره يومئذ حديد،و يذوق نار جهنم على أنّه لا يستطيع أن يذوق جزء من مليون جزء منها فى الدنيا،و يتنعّم بنعم الجنه التى لا يمكنه أن يتنعّم بجزء يسير منها فى الدنيا.

١- ١) تفسير البصائر/ج ٥٤ ص ٣٥٥.

و

فی الأحادیث المأثوره عن السرائر: أنّها أعمال العباد،فقد روی عن معاذ بن جبل أنّه قال:سألت رسول اللّه:ما هذه السرائر التی ابتلی اللّه بها العباد فی الآخره؟فقال:سرائرکم هی أعمالکم من الصلاه و الصیام و الزکاه و الوضوء و الغسل من الجنابه و کلّ مفروض،لانّ الأعمال کلّها سرائر خفیّه،فإن شاء الرجل قال:صلّیت،و لم یصلّ،و إن شاء قال:توضأت و لم یتوضّأ،فذلک قوله:« یَوْمَ تُبْلَی السَّرٰائِرُ » (1).

(10)فی ذلک الیوم الرهیب یقف الإنسان عاریا من أیّ ستر،بعیدا عن أیّ عذر،لا یمکنه التبریر و النفاق و لا الکذب و الدجل.و أنّی له ذلک و قد اجتمعت علیه الشهود ممّا حوله و ممّا فیه،و قلبه مفضوح علی کفّه نیّاته،و عقائده کلّها مکشوفه؟!فأین المهرب؟ قد یزعم البعض أنّه یقدر علی منع بعض الشرّ عن نفسه،کلاّ..فهو أضعف من ذلک.إنّه منح فی الدنیا القوّه لکی تجرّب إرادته،و یمتحن إیمانه،أمّا ذلک الیوم فهو مستسلم ذلیل.و قد یزعم البعض أنّه یستعین بحزبه و عشیرته و والدیه و أسرته،کلاّ..إنّهم یومئذ مشغولون بأنفسهم.وهب أنّهم أرادوا نصره فهل یقدرون؟هیهات.

فَمٰا لَهُ مِنْ قُوَّهٍ وَ لاٰ نٰاصِرٍ و الیوم قبل ذلک الیوم دعنا نجأر إلی ربّنا لعلّه یغفر لنا الذنوب التی اجترحناها قبل الفضیحه الکبری أمام الملا العظیم و قبل العذاب الشدید.

(11)و عذاب الآخره لیس العذاب الوحید لمن انحرف عن مسیره الحق،ففی

ص:20

1- 1) نور الثقلین/ج 5 ص 552.

الدنيا عذاب أخفّ منه،و لكنّه فى مقاييسنا عذاب شديد.إنّه الهزيمه النكراء التى تلحق الكفّار و المنافقين..ذلك لأنّهم شذّوا عن سنن اللّه فى السماء و الأرض، و كفروا بالحق الذى أنزل على النبى صلّى اللّه عليه و اله.

فقسما بالسماء و بالأرض:إنّ الوحى حق،و النذير حق،و ليس بالهزل.

وَ السَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ قالوا:الرجع يعنى المطر،و استشهدوا بقول الشاعر:

أبيض كالرّجع رسوب إذا ما ثاخ فى محتفل يختلى

و قال بعضهم:بل الرجع الشمس و القمر و النجوم يرجعن فى السماء،تطلع فى ناحيه و تغيب فى الاخرى.

و قيل:بل الملائكه يرجعون بأعمال العباد.

و يبدو لى أنّ الأنسب إلى السياق هو رجوع الأفلاك إلى مراكزها بتناسب و نظم،دون أىّ تغيير فى مسارها،ممّا يدلّ على رجوع الإنسان إلى أمر اللّه فى يوم شاء أم أبى.

(۱۲)و قسما بالأرض التى تتصدّع.

وَ الْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ قالوا:تصدّع بالنبات،كما قال ربنا سبحانه: ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا .

و يبدو لى أنّ الأرض قد جعلها اللّه ذلولا بحيث تستقبل المطر،و تخرج النبات، و تمكّن الفلاح من حرثها،و البنّاء من حفرها،و طالب الكنز من استثارتها..و كلّ

ذلک یدلّ علی حکمه اللّه البالغه من خلقها.

(۱۴-۱۳)کما الطبیعه تجلّیات لسنن اللّه،و مظاهر أسمائه الحسنی،کذلک الوحی تجلّ لآیاته،و بیان لسننه،و مظهر لاسمائه.

إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ* وَ مٰا هُوَ بِالْهَزْلِ یفصل بین الصواب و الخطأ و الحق و الباطل،کما أن یوم القیامه یوم الفصل.

و

قد روی عن الامام أمیر المؤمنین-علیه السلام-عن النبی-صلّی اللّه علیه و اله-أنّه قال:«سمعت رسول اللّه یقول: کتاب فیه خبر ما قبلکم،و حکم ما بعدکم،هو الفصل،لیس بالهزل،من ترکه من جبّار قصمه اللّه،و من ابتغی الهدی فی غیره أضلّه اللّه» (۱).

و قد جاءت هذه الکلمه فی هذا السیاق لکی لا یلجأ الإنسان من هول ما یسمعه إلی التکذیب،و یقول فی نفسه:لعلّ هذا الوعید نوع من التخویف المبالغ فیه.

کلاّ..فلیس فی القرآن کلمه کاذبه أو مبالغه،و لا حرف و لا إیفاء حرف.

إنّه کتاب اللّه الذی لا یأتیه الباطل من بین یدیه و لا من خلفه.

و هکذا یسدّ السیاق کلّ منافذ الفرار النفسی من مواجهه الحقیقه الکبری التی تنتظر الجمیع(حقیقه الجزاء)فلا إخفاء و لا تبریر و لا محاورات الاستنصار بالآخرین أو التهرّب من الحقیقه بتکذیبها.

(۱۵)و لا یقتصر الکفّار علی تکذیب رسالات اللّه للتهرب من الحقائق التی

۱- ۱) القرطبی/ج ۲۰ ص ۱۱.

تذكّر بها،و إنّما يحاربونها بشتى ألوان الحرب حتى يصنعوا حجابا نفسيّا و اجتماعيّا بينهم و بينها فلا يتأثّروا بها أبدا.

إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً و الكيد هو:التلطّف لبلوغ الهدف بأساليب مختلفه،و يستخدم فى الشرّ و الخير، و إن كانت الكلمه توحى بالشر.و الكلمه المرادفه لها فى أدبنا اليوم:الخطه،و يبدو أنّ مجمل مساعى الكفّار و من هم فى خطّ النفاق و الفسق تتجه نحو تغيير مسار الحق،و إخفائه بالباطل الذى يبتدعونه،و الصد عنه بالمكر و الكيد.إنّه الخط الاستراتيجى للكفر.

و من خصائص الكيد التوسل ببعض الخطط الخفيه التى لا تبلغ الهدف إلاّ عبر مراحل عديده،و قد يضع الكفّار خطّه خمسيه أو عشريه أو حتى بعيده المدى لعلّها تبلغ هدفها بلا عقبات،لأنّها فى زعمهم خطه محكمه سريّه و متواصله الحلقات.

بيد أنّ خططهم لا تهدف الرسول كشخص،و لا المؤمنين كطائفه،بل تهدف الرساله التى يدعون إليها،و غريمهم فى ذلك لن يكون المؤمنون أو الرسول و حسب بل ربّ العزّه جبّار السموات و الأرض سبحانه و تعالى.

(١۶)و إذا كان الكفّار يسعون لبلوغ هدفهم عبر خطط متناهيه فى الدقه بزعمهم فإنّ كيد اللّه متين.كيف يكيد اللّه لهم؟إنّه سبحانه يهيّء أسباب تدميرهم على حين غفله منهم.أ رأيت كيف يدبّر الشرطه مثلا-خطه للإيقاع بالمجرمين(ممّا قد تصوّره الافلام البوليسيه)،و يخطط المجرمون لجريمتهم بإتقان و يخطط الشرطه،و المجرمون لا يعرفون شيئا عن خطط الشرطه،بينما رجال الشرطه يعرفون ما يجرى هناك؟!

و فی ساعه الصفر حینما تبلغ خطط الکفار مرحله التنفیذ،و یکادون یسطون بالنبی و المؤمنین،تکون أسباب تدمیرهم قد تهیأت أیضا،و تتجلّی ساعتئذ قدره اللّه.

إنّها تأخذهم أخذا وبیلا.

وَ أَکِیدُ کَیْداً (۱۷)بید أنّ هذه الخطه و تلک و کل خطه تأخذ عامل الزمان فی الحسبان، و لذلک فإنّ من یکید کیدا لا یمکنه أن یلغی الزمان،و ینبغی أن یعرف المؤمنون ذلک،و لا یستعجلوا فی تنفیذ خطط الرساله،و لا یقلقوا من تأخیر النصر،لانّ هناک مهله معینه لا بد أن تنهّی قبل أخذ الکفار.

فَمَهِّلِ الْکافِرِینَ مهله بعد مهله،و فتره بعد فتره،فلعل تغییرا یطرأ علی تنفیذ الخطه،و لکنّها بالتالی لن تکون مهله طویله.

أَمْهِلْهُمْ رُوَیْداً مهله قلیله و لطیفه و بلا صخب أو ضوضاء،و لکن لماذا یمهل اللّه الکفّار؟ أوّلا:لانّهم أیضا بشر مخلوقون،و إنّ اللّه سبحانه یرید امتحانهم کما یمتحن بهم،و لعلّهم یرجعون.

ثانیا:لانّ للصراع بین الحق و الباطل فوائد شتّی فی بلوره رؤیه المؤمنین، و تزکیه قلوبهم،و تمحیص نفوسهم،و تطهیر صفوفهم،من المنافقین.

سوره الأعلى

اشاره

ص:۲۵

بسم اللّه الرحمن الرحيم

فضل السوره

فی کتاب ثواب الأعمال بإسناده عن أبی عبد اللّه-علیه السلام-قال:

«من قرأ سبح اسم ربک الأعلی فی فرائضه أو نوافله قیل له یوم القیامه:

ادخل الجنه من أیّ أبواب الجنه شئت. » و

روی عنه-علیه السلام-أنّه قال: «الواجب علی کلّ مؤمن إذا کان لنا شیعه أن یقرأ فی لیله الجمعه بالجمعه و سبّح اسم ربّک الأعلی» نور الثقلین/ج ۵ ص ۵۵۳

ص:۲۷

الإطار العام

كما خلق اللّه الكائنات فسوّاها و أتمّ صنعها،كما قدّر لها شؤونها،و ألزمها بسنن،و هداها إليها،كذلك قدّر للإنسان ما يصلحه، و جعل له سبل السلام التى تهديه إلى غاياته الكريمه،و بعث إليه رسالته التى تهديه إليها.

و لا تحدّد غايه الإنسان بما فى الدنيا من عافيه و أمن و تقدّم و سعاده،بل و أيضا بما فى الاخره التى هى خير و أبقى.

بماذا يهدى اللّه الإنسان إلى الفلاح؟بالقرآن الذى يقرؤه الرسول فلا ينسى منه حرفا ليذكّر به الناس،و لكن من الذى يتذكّر؟إنّما الذى يخشى،بينما الذى يسدّ منافذ قلبه من دون التذكّر فهو الأشقى الذى يصلى النار الكبرى فلا يموت فيها و لا يحيى.

و إذا استطاع الإنسان الإقلاع من جاذبيه الدنيا و التحليق فى أفق الاخره التى هى خير و أبقى فإنّه يخطو الخطوات الاولى على طريق الفلاح،أمّا الثانيه فالخشيه ثم

التذكّر،و بعدهما تأتی التزكیه كخطوه ثالثه تحمله إلی الصلاه و الزلفی إلی ربّ العزه.

هكذا تتواصل آیات سوره الأعلی لتذكّرنا ببلاغه نافذه بذات الحقائق الكبری التی لا بد أن نعیها حتی نبلغ الفلاح.و إنّها لمعجزه القرآن أنّ كلّ سوره منه تـذكّر بذات الحقیقه،و لكن بطریقه متمیّزه جدیده..بلی.إنّ الحقائق الكبری تتجلّی فی مظاهر شتّی لأنّها غیر ما نشهده من الحقائق الجزئیه،و هی خلاصه صحف اللّه التی بعثها إلی أنبیائه العظام كإبراهیم و موسی علیهما السلام.

[سوره الأعلى (٨٧): الآيات ١ الى ١٩]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . سَبِّحِ اِسْمَ رَبِّكَ اَلْأَعْلَى (١) اَلَّذِي خَلَقَ فَسَوّٰى (٢) وَ اَلَّذِي قَدَّرَ فَهَدىٰ (٣) وَ اَلَّذِي أَخْرَجَ اَلْمَرْعىٰ (۴)
فَجَعَلَهُ غُثٰاءً أَحْوىٰ (۵) سَنُقْرِئُكَ فَلاٰ تَنْسىٰ (۶) إِلاّٰ مٰا شٰاءَ اَللّٰهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ اَلْجَهْرَ وَ مٰا يَخْفىٰ (٧) وَ نُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرىٰ (٨) فَذَكِّرْ إِنْ
نَفَعَتِ اَلذِّكْرىٰ (٩) سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشىٰ (١٠) وَ يَتَجَنَّبُهَا اَلْأَشْقَى (١١) اَلَّذِي يَصْلَى اَلنّٰارَ اَلْكُبْرىٰ (١٢) ثُمَّ لاٰ يَمُوتُ فِيهٰا وَ لاٰ يَحْيىٰ
(١٣) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكّٰى (١۴) وَ ذَكَرَ اِسْمَ رَبِّهِ فَصَلّٰى (١۵) بَلْ تُؤْثِرُونَ اَلْحَيٰاةَ اَلدُّنْيٰا (١۶) وَ اَلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَ أَبْقىٰ (١٧) إِنَّ هٰذٰا لَفِي
اَلصُّحُفِ اَلْأُولىٰ (١٨) صُحُفِ إِبْرٰاهِيمَ وَ مُوسىٰ (١٩)

اللغه

۵[غثاء]:الغثاء ما يقذف به السيل على جانب الوادى من الحشيش و النبات،و أصله الاخلاط من أجناس شتّى.

[أحوى]شديد السواد.

ص:٣١

بینات من الآیات:

[۱]لاسم اللّه عظمه مشتقّه من عظمته،لانّه یدلّ علیه و یذکّرنا به،و یشهد علی جلاله و جماله و مجده و کبریائه،و لانّ ربنا المتعال خلق فی البدء اسمه الأعظم، و جعله علی أربعه اختص بواحد فجعله مکنونا عنده لا یطلع علیه أحد من خلقه، و جعل الثلاثه فی کلمات:اللّه،و تعالی،و تبارک،لیهدینا الاول إلی ذاته،و الثانی إلی صفاته،و الثالث إلی أفعاله،ثم خلق اللّه الأشیاء باسمه،و ما نراه فی الخلیقه من آثار عظمته لیست سوی تجلّیات لاسمائه.

و هکذا أمرنا بأن ندعوه بأسمائه فقال سبحانه: وَ لِلّٰهِ الْأَسْمٰاءُ الْحُسْنیٰ فَادْعُوهُ بِهٰا .

و ما نقرؤه

فی الادعیه المأثوره تأویل لهذا الأمر الالهی حیث نتوسّل إلی اللّه سبحانه بأسمائه الحسنی،و نقول:«أعوذ بنور وجهک الذی أضاءت له السموات و الأرضون و انکشفت له الظلمات،و صلح علیه أمر الأولین و الآخرین،من

فجاءه نقمتک،و من تحویل عافیتک،و من زوال نعمتک» (۱).

«اللهم إنّی أسألـک باسـمک العظیم الأـعظم،الاـ عزّ الاجـلّ الأکرم،الـذی إذا دعیت به علی مغالق أبواب السماء للفتـح بالرحمه انفتحت،و إذا دعیت به علی مضائق أبواب الأرض للفرج انفرجت و إذا دعیت به علی العسر للیسر تیسّـرت، و إذا دعیت به علی الأموات للنشور انتشرت،و إذا دعیت به علی کشف البأساء و الضرّاء انکشفت» (۲).

و فی أدعیتنا المأثوره عن النبی و أهل بیته الطاهرین-علیه و علیهم صلوات اللّه- تشکل أسماء اللّه الحسنی رکنا أساسیّا فیها،مثل دعاء الجوشن الکبیر الذی یشتمل علی ألف اسم و صفه من أسماء اللّه و صفاته،و دعاء البهاء،و دعاء کمیل،و ما أشبه (۳).

أ رأیت ما هـذه الأسـماء؟حقّا:إنّ عقولنا لا تحیط علما بها،کیف و هی لم و لا تستطیع الاحاطه علما بکلّ خلقه،و خلقه مظهر من مظاهر أسـمائه؟و لکنّ اللّه أتانا من العلم ما نشـیر به إلی أسـمائه و نـدعوه بها..ثم عرّفنا بها بما أوحی إلی نبیّه من کتاب و أجری علی لسان أولیائه من علم کان بمثابه تفسیر للکتاب،و هکذا کانت الأسماء مظاهر عظمته،و آیات شهادته و هیمنته،لا نقدّسها إلّا بهذه الصفه، و لا نسبّحها إلّا بهذا الاعتبار،فلأنّها الوسیله إلیه تقدّس،و لأنّها السبیل إلی معرفته تسبّح.

و من قدّس الاسم دون المسـمّی أو مع المسـمّی فقد أشـرک بربه سبحانه،إنّما تقدیسنا للإسم بصفته اسما للمعنی و وسیله إلیه لا أکثر.

ص:۳۳

۱- ۱) مفاتیح الجنان/دعاء الرسول لیله النصف من شعبان.

۲- ۲) المصدر/دعاء السمات.

۳- ۳) راجع مفاتیح الجنان للمحدّث الشیخ عبّاس القمی.

هكذا نجد فی بعض آیات الذکر تسبیحا للّه و فی بعضها لاسمه،فإذا سبّحنا اللّه فإنّما بوسیله أسمائه،لانّه لا سبیل لنا إلی معرفه ذاته،و إذا سبّحنا اسم اللّه فإنّما لانّه اسم للّه،و سبیلنا لمعرفه اللّه،و لانّنا لا نقدر علی معرفته إلاّ باسمه سبحانه.

قال اللّه تعالی: سَبَّحَ لِلّٰهِ مٰا فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِیزُ الْحَکِیمُ (۱)، یُسَبِّحُ لِلّٰهِ مٰا فِی السَّمٰاوٰاتِ وَ مٰا فِی الْأَرْضِ الْمَلِکِ الْقُدُّوسِ الْعَزِیزِ الْحَکِیمِ (۲)، و قال: وَ سَبِّحُوهُ بُکْرَهً وَ أَصِیلاً (۳)،کما قال: بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیمِ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ (۴)، تَبٰارَکَ اسْمُ رَبِّکَ ذِی الْجَلاٰلِ وَ الْإِکْرٰامِ (۵)، و هکذا جاءت صفتا الجلال و الإکرام للرب بینما نجد فی آیه أخری جاءتا صفه لوجهه سبحانه،فقال: کُلُّ مَنْ عَلَیْهٰا فٰانٍ وَ یَبْقیٰ وَجْهُ رَبِّکَ ذُو الْجَلاٰلِ وَ الْإِکْرٰامِ (۶).

فهل فی ذلک تناقض؟کلاّ..لانّ وجه اللّه لا یراد إلاّ للّه،فهو مجرّد وسیله، کما أنّ الجلال و الإکرام الإلهیین یتجلّیان بوجهه لنا.

و هکذا أمرنا اللّه فی فاتحه سوره الأعلی بتسبیح اسم اللّه الذی هو تسبیحه سبحانه:

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّکَ الْأَعْلَی و لذلک

روی عن ابن عبّاس عن النبی-صلّی اللّه علیه و اله-: کان النبی

۱- ۱) الصف ۱/.

۲- ۲) الجمعه ۱/.

۳- ۳) الأحزاب ۴۲/.

۴- ۴) العلق ۱/.

۵- ۵) الرحمن ۷۸/.

۶- ۶) الرحمن ۲۶-۲۷.

-صلّی اللّه علیه و اله-إذا قرأ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّکَ الْأَعْلَی قال:سبحان ربی الأعلی و کذلک روی عن علی علیه السلام. (۱).

و

روی عن الامام الباقر-علیه السلام-: «إذا قرأت سبّح اسم ربک الأعلی»فقل:سبحان ربی الأعلی،و إن کنت فی الصلاه فقل فیما بینک و بین نفسک (۲).

و

روی عن ابن عامر الجهنی أنّه قال: لمّا نزلت فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّکَ الْعَظِیمِ قال رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و اله-:«اجعلوها فی رکوعکم»و لمّا نزل:

« سَبِّحِ اسْمَ رَبِّکَ الْأَعْلَی »قال:«اجعلوها فی سجودکم» (۳).

و هذا النصوص تدلّ علی أنّ تفسیر الایه تسبیح اللّه لا مجرّد تقدیس اسمه،لذلک حذف الاسم عند تسبیحه الرکوع و السجود،أو عند ما یسبّح اللّه بعد قراءه هذه الایه.

و قال بعضهم:تنزیه اسم اللّه تعالی و تسبیح اسمه یتمّ بأن یجرّد القول عن ذکر ما لا یناسب ذکره مع ذکر اسمه تعالی،فلا ینبغی أن یذکر الأنداد مع اسمه، کما کان یفعل المشرکون الذین لا یذکرون اللّه إلاّ مع الشرکاء من دونه أمّا إذا ذکر وحده اشمأزّت قلوبهم،کما قال سبحانه: وَ إِذا ذُکِرَ اللّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِینَ لا یُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَهِ وَ إِذا ذُکِرَ الَّذِینَ مِنْ دُونِهِ إِذا هُمْ یَسْتَبْشِرُونَ (۴)و لکن یبدو أنّ هذا التفسیر لا یتناسب مع السیاق و لا مع سائر البصائر القرآنیه

۱- ۱) نور الثقلین/ج ۵-ص ۵۵۳.

۲- ۲) المصدر/ص ۵۵۴.

۳- ۳) المصدر/ص ۵۵۴.

۴- ۴) الزمر۴۵/.

حول اسم اللّه،فإذا كان اسم اللّه يعنى كلمه اللّه و ليس المسمّى و هو اللّه سبحانه فما معنى بسم الله الرحمن الرحيم؟هل الاستعانه تتمّ باللّه أم بكلمه اللّه؟سبحان اللّه و تعالى أن تتمّ الاستعانه بغيره أنّى كان.

و جاءت صفه«الأعلى»للشهاده على ضروره تسبيح اللّه إذ أنّه ربنا و أنّه الأعلى و هل يسبّح أحد سوى الرب الأعلى؟ [۲]ما الذى يدعونا إلى تسبيح اللّه و تقديسه؟حينما يرفع الإنسان عن عينيه غشاوه الغفله،و عن إرادته حجب الجحود،و ينظر إلى ما حوله فى أبعاد الكائنات، و يستمع إلى همساتها،و يندمج مع إيقاعات تسبيحها،و يلتقط إشارات حركتها..

هنالك ينتقل إلى آفاق معرفه ربّه فلا يتمالك إلاّ أن يسبّح بحمد ربه.إنّه يرى سماء حفيظه تحيط به،و أرضا وديعه تحمله و تتذلّل له،و كائنات نباتيه و حياتيه تنشط بين أرجاء الأرض و آفاق السماء،كلّ منها خلق بصوره مختلفه عن نظيراتها، و لكنّها جميعا تتناغم و كأنّها فرقه أنشوده،من أبعد نجمه إلى أصغر ذرّه،من أضخم شجره إلى أصغر نبته،من الحوت حتى أصغر سمكه،من الفيل حتى أنعم حشره، من العقاب حتى البعوضه..كلّها و كلّها قد خلقت بدقه متناهيه.هل سمعت نبأ الذره التى لا ترى،و كيف بنى اللّه فى عالمها الكبير الصغير مملكه عظيمه؟لو قستها بالمجره التى لا- نستطيع أن نتخيّل عظمتها لرأيناهما قد خلقتا جميعا بقدر عظيم من الدقه و التنسيق..و لكنّ المجره هى-فى الواقع-مجموعه عظيمه من الذرّات، و هى هى ذات الحقيقه تتجلّى مره فى شكل ذرّه و مره فى صوره مجرّه..و ما بين الذره و المجره ملايين الملايين من المخلوقات المتنوّعه،قد خلقها اللّه خلقا سويّا فى ذاتها،و قدّر لكلّ واحد واحد منها هدفا و مسيره،و هداها إلى هدفها و مسيرتها،و كذلك قال ربّنا العزيز:

اَلَّذِی خَلَقَ فَسَوّٰی و الخلق قد یکون بمعنی الإنشاء أو الصنع بعد الإنشاء،و تسویته بمعنی تکمیله حتی لا یحتاج إلی شیء لتحقیق ما خلق له إلاّ و قد أعطاه،و لا تجد ثغره فی خلق اللّه تعالی و لا فطورا،و لا نقصا کبیرا أو صغیرا.

[۳]و قدّر لکلّ خلق من الکائنات جمادا أو نباتا أو حیوانا أو إنسانا هدفا ألزمه به،و جعله یسعی إلیه،و حدّد لکلّ هدف وسیله،و لکلّ غایه سبیلا،و هدی کلّ شیء إلی ما قدّر له..أمّا الجمادات فقد هداها بما أوجد فیها من قوّه و إمکانیه،و بما أوجد فیما حولها من ضغوط،مثلا-لعل التفاحه لا تحس لماذا خلقت؟و لا تهتدی بذاتها إلی هدفها المتمثل فی إغناء جسد الإنسان بما یحتاجه من فیتامین و روحه بما تتطلّع إلیه من جمال و روعه،و لکنّ اللّه جعل فی التفاحه هذه الخصائص،و جعل فی الإنسان حاجه إلیها،فجعل سعی الإنسان إلیها بمثابه سعیها إلیه،علی أنّنا لا نملک معرفه بما فی واقع التفاحه أو أیّ جماد أو نبات أو حیوان من تحسس.

و لکی تزداد معرفتنا باللّه و تسبیحنا له ننقل فیما یلی مقاطع من کتاب(العلم یدعو للإیمان)الذی ینقل إلینا الکاتب الامریکی(کریسی موریسون)رئیس أکادیمیه العلوم بنیویورک فیه بعض آیات اللّه فی الطبیعه:

(إنّ الطیور لها غریزه العوده إلی الموطن،فعصفور الهزاز الذی عشّش ببابک یهاجر جنوبا فی الخریف،و لکنّه یعود إلی عشّه القدیم فی الربیع التالی،و فی شهر سبتمبر تطیر أسراب من معظم طیورنا(فی أمریکا)إلی الجنوب،و قد تقطع فی الغالب نحو ألف میل فوق البحار،و لکنّها لا تضل طریقها.

و النحله تجد خلیتها مهما طمست الریح فی هبوبها علی الاعشاب و الأشجار،کلّ

ذلک دلیل یری و لا بد أنّ للحشرات الدقیقه عیونا میکروسکوبیه(مکبّره)لا ندری مبلغها من الأحکام،و أنّ للصقور بصرا تلسکوبیا(مقرّبا).

و یضیف:إنّ العاملات من النحل تصنع حجرات مختلفات الاحجام فی المشط الذی یستخدم فی التربیه،و تعدّ الحجرات الصغیرات للعمّال،و الأکبر منها للیعاسیب(ذکور النحل)،و تعدّ غرفه خاصه للملکات الحوامل.و النحله الملکه تضع بیضا غیر مخصب فی الخلایا المخصصه للذکور،و بیضا مخصبا فی الحجرات المعدّه للعاملات الإناث و الملکات المنتظرات و العاملات اللاّئی هنّ إناث معدلات بعد أن انتظرن طویلا مجیء الجلیل الجدید تهیّأن أیضا لاعداد الغذاء للنحل الصغیر بمضغ العسل و اللقح و مقدّمات هضمه،ثم ینقطعن عن عملیه المضغ و مقدّمات الهضم عند مرحله معینه من تطوّر الذکور و الإناث،و لا یغذین سوی العسل و اللقح،و الإناث اللائی یعالجن علی هذا الشکل یصبحن عاملات) (۱).

من الذی قدّر للنحل أمره و هداه إلیه،و من الذی علّم الطیور رزقها و مسراها،و هدی کلّ حیّ إلی ما یصلحه و ما قدّر له.أ لیس اللّه؟فسبحان ربی الأعلی.

دعنا نستمع إلی قصه لعنکبوت مائی:یقول الکاتب المذکور:

(إنّ إحدی العناکب المائیه تصنع لنفسها عشّا علی شکل منطاد(بالون)من خیوط بیت العنکبوت،و تعلّقه بشیء مّا تحت الماء،ثم تمسک ببراعه فقاعه هواء فی شعر تحت جسمها،و تحملها إلی الماء ثم تطلقها تحت العش،ثم تکرّر هذه العملیه حتی ینتفخ العش،و عندئذ تلد صغارها،و تربّیها آمنه علیها من هبوب الهواء.

فهاهنا نجد طریقه النسج بما یشمله من هندسه و ترکیب و ملاحه جویه).

۱- ۱) فی ظلال القرآن/ج ۶ ص ۳۸۸۵.

و هكـذا يقـدّر اللّه لهـذا الحيوان أو ذاك النبات ما يصـلحه ثم يهـديه إليه،فسـبحان ربنا الأعلى،و لكن ذلك لا يختص بالحيوان المتكامل أو النبات التام بل حتى الخلايا هداها اللّه لما قدّرت له بطريقه غريبه،يقول المؤلف:

(كلّ خليه تنتـج فى أىّ مخلوق حى يجب أن تكيّف نفسـها لتكون فى موقعها المناسب و الذى قدّرت له مثلا أن تكون جزء من اللحم أو أن تضـحّى بنفسـها كجزء من الجلد الذى لا يلبث حتى يبلى،و عليها أن تصـنع ميناء الأسـنان،و أن تنتج السائل الشفّاف فى العين،أو أن تدخل فى تكون الأنف أو الاذن،ثم على كلّ خليه أن تكيّف نفسـها من حيث الشكل و كلّ خاصيه أخرى لازمه لتـأديه مهمتهـا، و من العسـير أن نتصـوّر أنّ خليه مـا هى ذات يـد يمنى أو يسـرى،و لكن إحـدى الخلايـا تصـبح جزء من الاـذن اليمنى،بينما الاخرى تصـبح جزء من الاذن اليسـرى،و إنّ مئات الآلاف من الخلايا تبـدو كأنّها مدفوعه لان تفعل الشـىء الصواب فى الوقت الصواب و فى المكان الصواب) (1).

و هكذا الخليه الواحده تصـلح أن تكون مدرسه توحيديه شـريطه أن تصـبح تلميذا فيها،فهل أنت مستعد؟ [۴]و لكن هذه القدره الهـائله التى تتجلّى فى الكائنـات ليست قـدره ذاتيه فيها، بل هى من عنـد ربها،و هكـذا تعيش كلّها دوره حياتيه معينه لا تلبث أن تسـاق نحو الفنـاء حسب تقـدير ربها،و إنّ فى ذلك لايه على أنّ ما بها من قـدره و قوه و حول و طول فهى من عنـد اللّه،و إنّ ما فيها من نقص و عجز و حـدّ و قيد لشاهد على تعالى بارئها منها،و أنّه قدّوس سـبحانه بلا نقص و لا نقص و لا عجز و لا حدّ و لا قيد.

و يضرب القرآن لنا مثلا ظاهرا لهذه الدوره الحياتيه السريعه،و يقول:

۱- ۱) المصدر/ص ۳۸۸۷.

وَ الَّذِی أَخْرَجَ الْمَرْعیٰ فلقد کانت الأرض حبلی بالمواد التی جعلها اللّه بالماء و أشعه الشمس نباتا،فإذا بأدیمها یخضرّ بالعصف و الریحان،و لکن کم یدوم ذلک؟لیس إلاّ أیّاما معدوده.

(۵)و بعد أیّام تتحوّل الأرض إلی بساط أصفر،و تتراکم أوراق الشجر و بقایا الحصاد إلی غذاء للإحیاء بعد المواسم.و إذا بقت المراعی هکذا و تراکمت علیها طبقات من التراب أصبحت فحما حجریّا تنتفع منه الأجیال القادمه.لا شیء من خلق اللّه یذهب باطلا.إنّه یصبح ماده لخلق جدید أو ما ینفع الخلق الجدید.

فَجَعَلَهُ غُثٰاءً أَحْویٰ قالوا:أصل کلمه الغثاء زبد السیل و ما یتجمع فی أطراف المیاه من بقایا النبات و القماش،و یقال للبقل و الحشیش إذا تحطم و یبس.أمّا الاحوی فإنّه الأسود،و إذا تراکم النبات و اشتد اخضراره تراءی کأنّه سواد،و من هنا سمّیت أرض العراق بأرض السواد.

ما هذه القدره التی تقلب الأرض کیف تشاء،فحینا تستخرج نباتها،و أخر تدعها بلقعا تتجمع حولها الغثاء الاحوی؟ و کما الدوره النباتیه السریعه کذلک دوره الحیاه عند الإنسان إنّها تدور بسرعه فإذا باخضرار الحیاه تتحول إلی سواد الموت،و هکذا الاخره هی خیر من الاولی لمن بصر و عقل.

(۶)لا-تنفصل رسالات اللّه عن السیاق العام لمسیره الکائنات.إنّه اللّه الذی تشهد الخلائق بقدسه و عظمته یبعث إلینا رسولا و یحمّله کتابا و هدی،فأیتها

السماء اخشعی،و یا أرض قرّی،و یا أیّها الإنسان استعد لتلقّی رساله اللّه إلیک و التسلیم للرسول الکریم.

سَنُقْرِئُکَ فَلاٰ تَنْسیٰ أولم یأتک نبأ حراء حیث هبط الروح جبرئیل علی محمّد الصادق الأمین فقال له اقرأ..و تواصلت آیات اللّه: اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ* خَلَقَ الْإِنْسٰانَ مِنْ عَلَقٍ.. ،هکذا أقرأ اللّه نبیّه قراءه واضحه مبیّنه،فلم تکن وساوس فی صدره، و لا أفکار بقلبه،و لم تکن حقائق مجرّده یعرف بعضها و یجهل الکثیر،کلاّ..إنّها کلمات واضحه تلقّاها الرسول،و نطق بها بوضوح،و هذا هو معنی إقراء اللّه له جمله بجمله و کلمه بکلمه و حرفا بحرف.

و حین یکون المقرئ هو اللّه و المتلقّی من اختاره بعلم لحمل رسالته المهیمنه علی کلّ الرسالات فإنّ الرسول لا ینسی بإذن اللّه،لیس لانّه یخرج من حدّ البشر الذی یجوز له النسیان،بل لانّ ربّه أبی أن ینسی،فالضمانه هنا من عند اللّه،و من کان اللّه ضامنا له کیف ینسی؟!إنّها حقیقه العصمه کما یفهمها أهل البصائر،أن یقی اللّه عبدا من عوامل الانحراف و مزالق الضعف و مراکز الهوی و الشهوات.

(٧)و لکی لا یزعم البسطاء من الناس أنّ الرسول یصبح بالرساله إلها أو نصف إله لم یدع کتاب اللّه هذه التذکره..فی أغلب ما حدّثنا عن رسله الکرام إنّه إمّا بیّن نقاط ضعفهم التی یجبرها اللّه بعصمته أو حالتهم البشریه أو أنّ للّه المشیئه فی أمرهم حتی عند وعده إیّاهم،فلا یقدر أحد أن یحتّم علیهم أمرا،بلی.

إنّ اللّه صادق الوعد و لن یخلف وعده أبدا،و لکن فرق واسع بین أن یکون کذلک و أن یحتّم علیه أحد من خارج إطار فضله و رحمته و مشیئته شیئا.

هکذا نستوحی من الآیه الکریمه هذه التذکره.

ص:۴۱

إلاّ ما شاءَ اللّهُ كما قال ربنا سبحانه فی قصه شعيب: قالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّکَ يا شُعَيْبُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَکَ مِنْ قَرْيَتِنا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِی مِلَّتِنا قالَ أَ وَ لَوْ كُنّا كارِهِينَ* قَدِ افْتَرَيْنا عَلَى اللّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنا فِی مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجّانَا اللّهُ مِنْها وَ ما يَكُونُ لَنا أَنْ نَعُودَ فِيها إِلاّ أَنْ يَشاءَ اللّهُ رَبُّنا وَسِعَ رَبُّنا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً عَلَى اللّهِ تَوَكَّلْنا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنا وَ بَيْنَ قَوْمِنا بِالْحَقِّ وَ أَنْتَ خَيْرُ الْفاتِحِينَ (۱).

فهل يشاء اللّه أن يعود المؤمنون إلی ملّه الكفر؟و كما قال ربنا سبحانه فی أصحاب الجنه: وَ أَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِی الْجَنَّهِ خالِدِينَ فِيها ما دامَتِ السَّماواتُ وَ الْأَرْضُ إِلاّ ما شاءَ رَبُّکَ عَطاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ (۲).

و يتساءل القارئ:إذا ما هی علاقه علم اللّه بالسرّ و العلن بهذا الاستثناء؟ حيث يقول ربنا:

إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَ ما يَخْفى و الجواب:إنّنا نجد مثل هذه العلاقه فی آيه الأعراف فی قصه شعيب إذ أنّه قال: إِلاّ أَنْ يَشاءَ اللّهُ رَبُّنا وَسِعَ رَبُّنا كُلَّ شَيْءٍ عِلْماً ،ذلک أنّ من بيده المشيئه و القدره على الاستثناء هو العليم الذی لا ينسى،و هو الذی يحفظ النبی من النسيان، حسب حكمته البالغه.

و لعلّ هذه الكلمه تتصل بقوله«سنقرؤک»فهو يقرئ ما يشاء لانّه عالم الجهر و ما يخفى.

ص:۴۲

۱- ۱) الأعراف/۸۸-۸۹.

۲- ۲) هود/۱۰۸.

و قد فصّل المفسّرون القول فی هذه الکلمه،و ذهب بعضهم مذاهب بعیده حیث أنّه قال:إنّ المراد بما شاء اللّه نسیانه هو ما نسخ من الکتاب نصّا.و لکنّ الآیه لا تدلّ علیه،و لم یثبت تاریخیّا أنّ فی القرآن آیه منسوخه(بهذا المعنی من النسخ)، بل و سیاق آیات القرآن و هذه الآیه بالذات ینفی ذلک تماما.کیف؟ أولا:إنّ اللّه سبحانه یصف کتابه بأنّه کتاب عظیم،و أنّه هدی للعالمین، و أنّه نور مبین،و أنّه أخر رساله إلهیه إلی خلقه،فکیف یسمح ربنا لمثل هذا الکتاب أن یتعرّض للدس و التزویر و التحریف و النسیان؟ ثانیا:إنّ النبی آمن بهذا الکتاب و آمن به المؤمنون و آمنوا جمیعا بهذه الصفات التی نجدها فیه فکیف ترکوه عرضه للنسیان و التحریف،علما بأنّهم أصبحوا بنّاء حضاره رائده،فلم یتعرض المسلمون-کمجموع-لحرب إباده حتی یمکن الافتراض أنّ ظروف العمل السری أنستهم بعض ما فی کتابهم.

ثالثا:شاعت القراءه و الکتابه فی عهد الإسلام الاول،و قد اهتم المسلمون بکلّ تفاصیل تاریخهم،و حتی ببعض ما یهمله عاده الکتّاب و المؤرخون،و قد رغّب القرآن فی ذلک،و أقسم بالقلم و بما یسطرون،فکیف ضاعت علیهم کلمات ربهم مع ذلک الاهتمام الذی أولوه لها؟ رابعا:هنا القرآن یقول للرسول-صلّی اللّه علیه و اله-« سَنُقْرِئُکَ فَلاٰ تَنْسیٰ »فأیّه حکمه کانت وراء الأقراء و عدم النسیان؟أ لیست بقاء رساله اللّه التی هی خاتمه رسالاته للعالمین؟فکیف یمکننا أن نفترض تعرّض هذه الرساله للتحریف؟ إننی أعتقد-انطلاقا من هذه الشواهد و غیرها-أنّ القرآن الذی بلغنا هو

الـذی أنزل من عنـد اللّه و بهـذا الترتيب،و أنّ الـذی جمعه هو شـخص الرسول-صـلّی اللّه عليه و اله-عبر الـذی كان يأمرهم بأن يضعوا الايه فی موقعها من السوره حتی و لو نزلت آيه فی أول البعثه فی مكه و الاخری فی المدينه و فی أخر أيّام حياته.

لانّنی لا أتصور كيف يمكن للرسول أن يترك كتـاب ربه العظيم بلا ترتيب و قـد أمر بإبلاغه للعالمين؟! (٨)كما قدّر اللّه لكلّ شیء تقـديرا و هـداه إلی تقـديره كذلك قدّر للإنسان تقديرا،و جعل لحياته سـننا و مناهج ثم هداه إليهما و لكن بصوره مختلفه عن سـائر الأشـياء و الأحياء..فلقـد زوّده بالعقـل و اسـتثار عقله بالوحی،و حمّله الاراده و المسؤوليه،حتی يكتشف ببصـيره عقله و هـدی الوحی أیّ السـبل تؤدّی به إلی أهـدافه،فإن سار علی سـبل السـلام تيسّـرت أهدافه،و إذا تنكّب عنها وقع فی حرج عظيم.أ رأيت الذی يترك الطريق المعبّد إلی المتاهات الوعره،إنّه لا يبلغ أهدافه، و لو بلغ شيئا منها فإنّما بجهد مضاعف.

وَ نُيَسِّرُكَ لِلْيُسْـرىٰ لـم يخلـق اللّـه الإنسـان ليعـذّبه،أو ليلهـو و يلعـب بخلقـه سـبحانه،و لكنّه خلقه ليرحمه،و ليتفضّـل عليه بمنّه و كرامته،كما لم يخلق حيّا ليعذّبه أو يلهو به،و أمّا الذی يقع علی البشـر من عذاب و من مشاكل فبما كسـبت أيديهم.هكذا فسّـروا اليسری بالشريعه السمحاء التی وفّق اللّه النبیّ و أمّته إليها لكی يعيشوا بأمان و سكينه.

إنّها الشريعه التی تبعث رؤی و بصائر الإنسان من وجدانه،و تتناسب مع فطرته و حاجاته،و تنسجم مع الطبيعه من حوله.

ص:۴۴

إنّ دين اللّه يختار بين مناهج المعرفه ذلك المنهج القائم على أساس استثاره الفطره و مخاطبه الوجدان دون لفّ و دوران،و يرغّب الإنسان للنظر بنفسه فی الأشياء، و ملامسه الحقائق بالسير فی الأرض و التفكر فی آثار الغابرين و مراقبه ظواهر الطبيعه.

و يتبع هذا المنهج فی سائر ما يحتاج إليه الإنسان من معارف،فی عقائده و أحكامه،فی معاملته مع الآخرين،لانّ الاطمئنان و الثقه و العرف و شهاده العدول و رأی الخبراء هی موازين التعامل بين الناس،و هی إذا قيست إلی غيرها من المناهج المعقّده فی سائر الأديان سهله و ميسّره.

كما أنّ أحكام الدين فی المواقيت و المكيال و الميزان تتصل بالحاله الطبيعيه للإنسان.أ رأيت كيف أوجب الصلاه قبل طلوع الشمس و بعد الغروب و عند دلوكها،و أوجب الصيام مع الهلال الذی يشهده الجميع؟ و لم يهمل أیّ حاجه من حوائج البشر،فلا حرّم الزواج،و لا نهی عن زينه الحياه الدنيا،و لا ضيّع العواطف،و لا أهمل تطلّعات الروح..و أیّ شريعه أيسر من التی تتناسب و حاجات البشر؟ و لعلّ هذا هو سر انتشار الإسلام عبر القرون بصوره مطّرده،و لا يزال الدين الاسلامی هو الاول فی نسبه زياده عدد المنتمين إليه كل عام.

و قد وفّق اللّه رسوله-صلّی اللّه عليه و اله-لتقبّل الوحی،و يسّره له،و يسّر معارف القرآن لمن أراد بتوفيق منه،و لو لا أنّ اللّه يسّر ذلك لما استطاع العقل معرفه كلمه واحده من كلمات الرب.

(۹)لانّ اللّه يسّر شريعته للناس،و يسّر الحياه لهم بها،أمر بالدعوه إليها عبر

ص:۴۵

المنهاج الميسّر المتمثل فی التـذکره.أ لیست التذکره تستهدف إثاره العقل و إیقاظ الضـمیر لیبصـر الإنسان الحقیقه بنفسه و من دون حجاب أو وسیط؟ [فـذکّر] و لکن هـل التـذکره تنفع النـاس جمیعـا شـاؤوا الانتفـاع بهـا أم أبـوا؟کلّا..إنّهـا لن تنفع من لا یخشـی،لأنّها إثاره العقل من داخل الإنسان،و شـرط نفعها استعداد الإنسان للتأثّر بها،أمّا القلب الجامد الجاحد المتصلّب فإنّه أشد من الصم الصیاخید،و هکذا قال ربنا:

إِنْ نَفَعَتِ الـذِّکْریٰ یعنی أنّ تذکرتک نافعه مع وجود الشـروط الموضوعیه لها،أمّا بدونها فهی لا تنفع،لا لنقص فیها و إنّما للصـدّ من قبلهم،و هـذا لا یعنی الکف عن التـذکره إن لم تنفع إذ لا یفهم نفعهـا أو عـدم نفعها إلاّ بعـدها،و هـذا مثل أن نقول:طلعت الشمس إن رأیتها،هذا واضح إن فکّرت.

و قـد اختلف المفسـرون فی معنی الا یـه،قال الجرجانی:التـذکیر واجب و إن لم ینفع،و المعنی:فـذکّر إن نفعت الـذکری و إن لم تنفع فحذف،کما قال:« سَرٰابِیلَ تَقِیکُمُ الْحَرَّ.. »،و قال ابن عباس:تنفع أولیائی و لا تنفع أعدائی،و قال البعض:

«إن»هنا بمعنی إذ کقوله: وَ أَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ .

و الأقرب:أنّ کلمه«إن»هنا الشـرطیه فی الظاهر،و لکنّ المراد منها هنا لیس ظاهرها،کما أنّ أداه الاسـتفهام تطلق و یراد بها التقریر أو الإنکار أو ما أشـبه، و لأنّ الذکری تسـبق معرفه نفعها و عدم نفعها فإنّ الشـرط إنّما هو لبیان فائده التذکره لا أصـلها،و یستفاد ذلک من السیاق الآتی.

(۱۰)التذكره للجميع.إنّها موعظه للمؤمن،و حجه بالغه على الكافر، و الدليل أنّ المؤمن يتذكّر بها،بينما الأشقى يتجنبها.

سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشىٰ الخشيه ميراث المعرفه،فمن لم يفكّر فى المستقبل و لم يعش وعيه لا يستعدّ له،فلا يبحث عمّا ينفعه فيه،و لا يتحذّر ما يضره فيه.

و هكذا جعلت الخشيه التى هى فعل الإنسان نفسه شرطا لنفع الذكرى.لنعرف أنّ علينا ألاّ ننتظر الهدى من دون سعى منّا إليه،بلى.لو تقدّمت إلى اللّه شبرا تلقّاك رب الرحمه بفضله مترا و أكثر.

(۱۱)أمّا الكافر الذى بلغ من الشقوه درجه سدّت أبواب المعرفه أمامه فإنّه يتجنبّ التذكره.

وَ يَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى فهو يهرب منها كما لو أنّها تضره،و يضع أمامه حواجز لكى لا تصل إليه، و يلفّق حول صاحبها التهم عساه يقنع نفسه بأنّه على حق،و هو الأشقى لأنّه لا يرجى له علاج،فقد يكون الأقل منه شقوه ينتفع بالذكرى فى بعض ساعات حياته.

(۱۲)و مثل هذا الإنسان لا يصلح إلاّ للنار،لأنّه أعدم كلّ عناصر الخير فى ذاته.

اَلَّذِى يَصْلَى النّٰارَ الْكُبْرىٰ ليست كهذه النار التى نراها فى الدنيا.إنّها أشد و أبقى، و قد بيّن

الحديث

المأثور عن الإمام الصادق-علیه السلام- مدی الفرق بینهما بالقول:«إنّ نارکم هذه جزء من سبعین جزء من نار جهنم،و قد أطفئت سبعین مرّه بالماء ثم التهبت،و لو لا ذلک لما استطاع آدمی أن یطیقها» (۱).

(۱۳)و السؤال:کیف یتحمّل جسم الإنسان هذه النار العظیمه فلا یحترق و یصبح رمادا أو غازا کما أصبحت الأشیاء التی احترقت بنار القنبله الذریه،و التی لا ریب أنّها أقل بکثیر من نیران جهنم؟ بلی.ربنا یعطی الجسم المزید من الإمکانات تمهیدا لتألّم صاحبه.أو لم یقل ربنا سبحانه: کُلَّمٰا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنٰاهُمْ جُلُوداً غَیْرَهٰا لِیَذُوقُوا الْعَذٰابَ ؟ و هکذا یبقی الأشقی فی النار بین الموت و الحیاه،فکلّ أسباب الموت موجوده، و کلّ عوامل الحیاه مفقوده،و لکنّه لا یموت بقدره اللّه.

ثُمَّ لاٰ یَمُوتُ فِیهٰا وَ لاٰ یَحْییٰ و مثال ذلک فی الدنیا أنّ بعضهم یبتلی بعذاب الدنیا من فقر و مرض و سجن و قلق و..و..و لکنّه لا یموت فیستریح،فیقول مع الشاعر:

ألا ما لنفس لا یموت فینقضی عناها و لا تحیا حیاه لها طعم؟

(۱۴)تلک کانت عاقبه الذی یتجنّب التذکره،أمّا الذی تذکّر فإنّه یتدرج فی معارج السمو حتی یبلغ الذروه،کیف؟إنّه بعد التذکر یزکّی نفسه من رواسب الشرک باللّه،فلا یقدّس أحدا سواه،بل لا یخاف أحدا حقّ الخوف و لا یرجوه حقّ الرجاء ما سوی ربه الأعلی،و یسعی لتطهیر قلبه من حب الدنیا، و التکاثر منها،و التنافس علی حطامها،و یتحرّر من الغلّ تجاه إخوانه و من الحسد

۱- ۱) تفسیر نمونه/ج ۲۶-ص ۴۰۰ نقلا عن موسوعه البحار ج ۸-ص ۲۸۸.

و الحقد و العصبيه،و هكذا يبلغ الفلاح الذی یعنی وصول الإنسان الی هدفه الأسمی.

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكّی إنّه یبحث عن الطهاره،طهاره قلبه من رواسب الشرک و أخلاقه الرذیله، و تطهیر ماله من الحرام،و حقوق الفقراء(بما یسمّی زکاه بوجه عام)،و تطهیر جسده من النجاسات.

و من هنا

جاء فی الحدیث المأثور عن رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله-أنّه قال (فی تفسیر الایه): «أخرج زکاه الفطر» (۱).

و بهذا التفسیر لکلمه التزکی نجمع بین الآراء المختلفه فی تفسیرها من زکاه القلب من الشرک إلی زکاه المال من حقّ الآخرین.

(۱۵)و بعد أن یتزکّی القلب یتلقّی نور ربه،فیذکره بانشراح،و یصلّی له بخضوع.

وَ ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلّی و هنا أیضا ذکر الاسم و أرید المسمی،أ و لیست الصلاه منه و لیست لاسمه سبحانه.

و القلب من دون تزکیه لا یتلّقی نور الذکر،فإنّ کلّ عقده نفسیه أو ضلاله شرکیه أو انحراف خلقی یشکّل حجابا بین العبد و ربه، فأنّی لمن یشرک باللّه أن یعرفه،و أنّی لمن غمر قلبه بحبّ الدنیا و زینتها أن یتفرّغ لرؤیه جمال الخالق و نعیمه

۱- ۱) القرطبی/ج ۲۰-ص ۲۱.

فی الا-خره؟!أو لم یقولوا:حبّ الشیء یعمی و یصم؟ و الصلاه هنا کلّ حاله خشوع للّه و لرسوله و لمن أمر الرسول.إنّها التسلیم التام للّه،و لذلک جاء فی بعض النصوص تأویلها بصلاه العید،و فی بعضها تأویلها بالصلاه علی النبی-صلّی اللّه علیه و آله-بلی.إنّهما معا مظهران لحاله واحده، فمن سلّم للّه سلّم لرسوله،و من صلّی صلاه العید فإنّما یصلیها خلف إمام نصبه اللّه، و أمر باتباعه الرسول.ألیس کذلک؟ هکذا

سئل الإمام الصادق-علیه السلام-عن قول اللّه عز و جل: قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَکّٰی قال:«من أخرج الفطره»،قیل له: وَ ذَکَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلّٰی ؟ قال:«خرج إلی الجبّانه فصلّی» (1).

و

جاء فی حدیث مأثور عن الإمام الرضا-علیه السلام-أنّه قال(فی تفسیر الایه): «کلّما ذکر اسم ربه صلّی علی محمّد و آله» (2).

(16)ما الذی یمنع الإنسان من تواصل ذکر اسم اللّه و الصلاه له و الدعاء إلیه؟ألیس اللّه أقرب شیء إلیه؟أو لیس أرحم الراحمین؟أو لم یدعه إلی نفسه و رغّبه فی نعیمه؟بلی.و لکنّ حبّ الدنیا رأس کل خطیئه،و الدنیا قد أحضرت له بکلّ زینتها و شهواتها و غرورها و أمانیها،بینما الاخره قد غیّبت عنه و ادّارک علمه فیها فنسیها و أقبل علی ضرتها.

بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَیٰاهَ الدُّنْیٰا فهذه طبیعه بنی آدم جمیعا إلاّ من عصمه اللّه،و أقلع نفسه من جاذبیه الدنیا،

1- 1) نور الثقلین/ج 5-ص 556(و الجبّانه:الصحراء لأنّ صلاه العید تصلی فیها).

2- 2) المصدر.

و حلّق فی سماء المعرفه..و إنّما ذکّرنا القرآن بهذه الحقیقه لنعرف أین مکمن الخطر فی أمرنا،و کیف یمکننا تجنّبه؟

جاء فی حدیث جامع مأثور عن الإمام السجّاد-علیه السلام-أنّه قال بعد أن سئل:أیّ الأعمال أفضل عند اللّه؟ «ما من عمل بعد معرفه اللّه عزّ و جلّ و معرفه رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و اله- أفضل من بغض الدنیا،فإنّ لذلک شعبا کثیره و للمعاصی شعب،فأوّل ما عصی اللّه به الکبر معصیه إبلیس حین أبی و استکبر و کان من الکافرین،ثم الحرص و هی معصیه آدم و حوّا-علیهما السلام-حین قال اللّه عزّ و جلّ لهما: فَکُلاٰ مِنْ حَیْثُ شِئْتُمٰا وَ لاٰ تَقْرَبٰا هٰذِهِ الشَّجَرَهَ فَتَکُونٰا مِنَ الظّٰالِمِینَ فأخذا ما لا حاجه بهما إلیه، فدخل ذلک علی ذریتهما إلی یوم القیامه.و ذلک أنّ أکثر ما یطلب ابن آدم مالا حاجه به إلیه.ثم الحسد و هی معصیه ابن آدم حیث حسد أخاه فقتله، فتشعّب من ذلک حبّ النساء و حبّ الدنیا و حبّ الریاسه و حبّ الراحه و حبّ الکلام و حبّ العلو و الثروه،فصرن سبع خصال فاجتمعن کلهنّ فی حبّ الدنیا، فقالت الأنبیاء و العلماء بعد معرفه ذلک:حبّ الدنیا رأس کلّ خطیئه،و الدنیا دنیائان:دنیا بلاغ،و دنیا ملعونه و أمل لا یدرک و رجاء لا ینال» (۱).

(۱۷)بلی.إنّما نتسلّی عن الدنیا و زبرجها بذکر الاخره و نعیمها،فإذا دعتک إلی الجنس الحرام شهوه و شبق فتذکّر الحور العین فإنّهنّ خیر و أبقی،و إذا استطبت مالا حراما أو طعاما ضارّا فتذکّر فواکه الجنّه و لحومها فإنّها خیر لک و أبقی.

وَ الْآخِرَهُ خَیْرٌ وَ أَبْقیٰ إنّها الأکمل،و قدره الإنسان یومئذ کامله.إنّک لا تستطیع أن تستمرّ فی

۱- ۱) نور الثقلین/ج ۵-ص ۵۵۷.

الأكـل إلّا ريثما يمتلأ بطنك،و إذا أسـرفت فسوف تصاب بالتخمه و الغثيان،و لكنّ أهل الجنه يجلسون على كلّ مائـده أربعمائه عام لا يملّون و لا يسأمون.

و إنّ شـبق الجنس محدود عند البشـر،فإذا قضوا منه الوطر عافوه،بينما لكلّ واحد من أهل الجنه عشرات بل مئات النساء و أكثر و يعطى القوّه لإيتائهنّ بلا تعب و لا كلل.

و إنّ المرض و الهرم و الكسل و الضجر و الموت يهدّد أهل الدنيا،بينما الاخره باقيه مع الأبد.

روى عن أبى جعفر الباقر-عليه السـلام-أنّه قال: «إنّ أهل الجنّه يحيون فلا يموتون أبـدا،و يستيقظون فلا ينامون أبـدا،و يسـتغنون فلاـ يفتقرون أبـدا، و يفرحون فلا يحزنون أبـدا،و يضـحكون فلا يبكون أبـدا،و يكرمون فلا يهانون أبـدا،و يفكهون و لا يقطبون أبـدا،و يحبرون و يسـرّون أبـدا،و يـأكلون فلاـ يجوعون أبـدا،و يروون فلاـ يظمؤون أبـدا،و يكسون فلاـ يعرون أبـدا،و يركبون و يتزاورون أبـدا و يسـلّم عليهم الولـدان المخلـدون أبـدا،بأيـديهم أبـاريق الفضه و آنيه الـذهب أبـدا،متّكئين على سـرر أبـدا،على الأرائك ينظرون أبدا،تأتيهم التحيّه و التسليم من اللّه أبدا،نسأل اللّه الجنّه برحمته إنّه على كل شيء قدير (1).

(18)و هـذه الحقائق و بالذات حقيقه الدنيا،و أنّها ليست بدار بقاء،و أنّ الاخره خير منها و أبقى،إنّها لا تخصّ رساله النبى بل هى فى صـحف الأنبياء جميعا، و لا سـيما صـحف إبراهيم-عليه السـلام-الـذى يحترمه العرب كما اليهود و النصارى، و موسـى-عليه السلام-الذى يزعم اليهود أنّهم أنصاره ثم ترى العرب و اليهود يعبدون الدنيا،و يزعمون أنّ ذلك من دين اللّه.

1- 1) موسوعه بحار الأنوار ج 8 ص 220.

إِنَّ هٰذٰا لَفِی الصُّحُفِ الْأُولیٰ فلم یکن الرسول بدعا بین إخوانه.

(١٩) صُحُفِ إِبْرٰاهِیمَ وَ مُوسیٰ و قد روی عن رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و اله-بعض ما فی هذه الصحف.

جاء فی کتاب الخصال:عن أبی ذر-رحمه اللّه-قال: دخلت علی رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و اله-و هو فی المسجد جالس وحده فاغتنمت خلوته..، قلت:یا رسول اللّه کم أنزل اللّه من کتاب؟قال:مائه کتاب و أربعه کتب، أنزل اللّه علی شیث خمسین صحیفه،و علی إدریس ثلاثین صحیفه،و علی إبراهیم عشرین صحیفه،و أنزل التوراه و الإنجیل و الزبور و الفرقان،قلت:یا رسول اللّه و ما کانت صحف إبراهیم؟قال:کانت أمثالا کلها،و کان فیها:أیّها الملک المبتلی المغرور إنّی لم أبعثک تجمع الدنیا بعضها علی بعض،و لکنّی بعثتک لتردّ عنی دعوه المظلوم فإنّی لا أردّها و إن کانت من کافر،و علی العاقل ما لم یکن مغلوبا أن یکون له ساعات:ساعه یناجی فیها ربه،و ساعه یحاسب فیها نفسه،و ساعه یتفکّر فیها صنع عزّ و جلّ إلیه،و ساعه یخلو فیها لحظّ نفسه من الحلال،فإنّ هذه الساعه عون لتلک الساعات،و استجمام للقلوب و تودیع لها،و علی العاقل أن یکون بصیرا بزمانه مقبلا علی شأنه،حافظا للسانه،فإنّه من حسب کلامه من عمله قلّ کلامه إلاّ فیما یعنیه،و علی العاقل أن یکون طالبا لثلاث:مرمّه لمعاش،أو تزوّد لمعاد،أو تلذّذ فی غیر محرّم قلت:یا رسول اللّه فما کانت صحف موسی؟قال:کانت عبرا کلها،عجبا لمن أیقن بالموت کیف یفرح؟و لمن أیقن بالنار کیف یضحک؟و لمن یری الدنیا و تقلّبها بأهلها کیف یطمئن إلیها،و لمن یؤمن بالقدر کیف ینصب؟ و لمن أیقن بالحساب ثم لا یعمل؟» (١).

١- ١) نور الثقلین/ج ۵-ص ۵۶١.

سوره الغاشیه

اشاره

ص:۵۵

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

فضل السوره

فى كتاب ثواب الأعمال بإسناده عن أبى عبد اللّه-عليه السلام-قال: «من أدمن قراءه«هل أتاك حديث الغاشيه»فى فريضه أو نافله غشّاه اللّه برحمته فى الدنيا و الاخره،و آتاه الأمن يوم القيامه من عذاب النار» نور الثقلين/ج ۵-ص ۵۶۲

ص:۵۷

الإطار العام

الدنيا و الاخره مثل كفّتی ميزان ما رجحت إحداهما إلاّ على حساب الثانيه، خصوصا إذا فسّرنا الدنيا بأنّها الحياه الفارغه عن القيم الإلهيه،فمن اختارها، و ترک الفرائض،و تهرّب من المسؤوليات،و كفر بالرساله،فإنّ له وجها خاشعا فی الاخره،و عملا ناصبا،و كدحا متواصلا،شرابهم فی النار من عين آنيه،و طعامهم من ضريع.

و من اختار الاخره فإنّ وجهه هناک ناعم،و قلبه راض،و عيشته فی الجنه ذات سلام و أمن و عين جاريه،و سرر مرفوعه،و أكواب موضوعه،و نمارق مصفوفه، و زرابی مبثوثه.

يبدو أنّ هذا هو محور سوره الغاشيه التی تختم بذكر الحساب الإلهی الذی ينتظر الناس بعد إيابهم.

ص:۵۸

[سوره الغاشیه (۸۸): الآیات ۱ الی ۲۶]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . هَلْ أَتٰاكَ حَدِيثُ اَلْغٰاشِيَةِ (۱) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خٰاشِعَةٌ (۲) عٰامِلَةٌ نٰاصِبَةٌ (۳) تَصْلىٰ نٰاراً حٰامِيَةً (۴) تُسْقىٰ مِنْ
عَيْنٍ آنِيَةٍ (۵) لَيْسَ لَهُمْ طَعٰامٌ إِلاّٰ مِنْ ضَرِيعٍ (۶) لاٰ يُسْمِنُ وَ لاٰ يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (۷) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نٰاعِمَةٌ (۸) لِسَعْيِهٰا رٰاضِيَةٌ (۹) فِي
جَنَّةٍ عٰالِيَةٍ (۱۰) لاٰ تَسْمَعُ فِيهٰا لاٰغِيَةً (۱۱) فِيهٰا عَيْنٌ جٰارِيَةٌ (۱۲) فِيهٰا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (۱۳) وَ أَكْوٰابٌ مَوْضُوعَةٌ (۱۴) وَ نَمٰارِقُ مَصْفُوفَةٌ
(۱۵) وَ زَرٰابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (۱۶) أَ فَلاٰ يَنْظُرُونَ إِلَى اَلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (۱۷) وَ إِلَى اَلسَّمٰاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (۱۸) وَ إِلَى اَلْجِبٰالِ كَيْفَ نُصِبَتْ
(۱۹) وَ إِلَى اَلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (۲۰) فَذَكِّرْ إِنَّمٰا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (۲۱) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ (۲۲) إِلاّٰ مَنْ تَوَلّٰى وَ كَفَرَ (۲۳) فَيُعَذِّبُهُ
اَللّٰهُ اَلْعَذٰابَ اَلْأَكْبَرَ (۲۴) إِنَّ إِلَيْنٰا إِيٰابَهُمْ (۲۵) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنٰا حِسٰابَهُمْ (۲۶)

اللغه

۱[الغاشیه]:هو یوم القیامه لأنّها تغشی الناس بأهوالها.

۵[آنیه]:بالغه النهایه فی شدّه الحر.

۱۵[و نمارق]:أی وسائد.

۱۶[و زرابی]:هی البسط الفاخره.

ص:۵۹

هل أتاک حدیث الغاشیه؟

بینات من الآیات:

(۱)لولا ـ الوحی،و لولا ـ آیاته التی تطرق أبواب القلب طرقا عنیفا،أنّی کان لقلب الإنسان الـذی أشـغلته هموم حیاته و أحلامها أن یعی القیـامه و أ هو إلهـا؟إنّ صـفات ذلـک الیوم تملأ القلب کلّه و تزیـد..و لکنّنا مشـغولون عنها بالحاضـر الـذی تتراءی قضایاه کبیره،و هی بالقیاس إلی ذلک الیوم تافهه جدا.

هَلْ أَتٰاکَ حَدِیثُ اَلْغٰاشِیَهِ للاستفهام وقع کبیر فی النفس،و السؤال هنا عن حدیث هام یفرض نفسه و یأتیک سعیا لضخامته،بینما الأحادیث التافهه تبحث عنها و قد لا تجد لها أثرا..

بلی.إنّه الحدیث عن الغاشـیه،حقیقه تغشـی کلّ شـیء.البر و البحر و الجبال و الأحیاء..تحیط بها القیامه،و السـموات و ما فیها تنوء بها،فأنّی لهذا الإنسان.

ماذا یغشانا من القیامه؟

ص:۶۱

أ دخانها كما قال ربنا: يَوْمَ تَأْتِي السَّمٰاءُ بِدُخٰانٍ مُبِينٍ* يَغْشَى النّٰاسَ ،أم نارها: وَ تَغْشىٰ وُجُوهَهُمُ النّٰارُ.. ،أم زلزالها: إِذٰا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزٰالَهٰا* وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقٰالَهٰا.. ،أم صيحتها،أم قارعتها،أم صاخّتها،أم كل أهوالها..؟بلى.إنّها الغاشيه التى لا تدع أحدا يهرب منها،و إنّها الغاشيه التى لا تترك جزء من الإنسان فارغا.

(٢)و أبرز ما يغشاه ذلك اليوم الوجه الذى هو مظهر الإنسان.

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خٰاشِعَةٌ يعلو وجوههم قتر و هوان،و خشوع الخيبه و الذل،لأنّهم لم يخشعوا فى الدنيا خشوع الكرامه و العزه،و لذلك

نقرأ فى الدعاء:«اللهم إنّى أسألك خشوع الإيمان قبل خشوع الذلّ فى النار» (١) (٣)و لأنّها تكاسلت فى الدنيا،و أهملت واجباتها،و تهرّبت من المسؤوليات، فإنّك تراها فى ذلك اليوم فى كدح و تعب.

عٰامِلَةٌ نٰاصِبَةٌ قالوا:هذا فى الدنيا،إذ لا عمل فى الاخره،و فسّروا العمل بالدأب فى السير و النصب بالتعب،و لكن من قال لا عمل فى الاخره و لا نصب؟بلى.و تحركهم فى صحراء المحشر وسط ظلام دامس تسوقهم ملائكه العذاب،و يشهد عليهم ملائكه الحساب.. إنّه عمل ناصب.

إنّما عملهم ثمّه بلا فائده ترجى لهم،و نصبهم بلا ربح و مكسب،و لو أنّهم

١- ١) مفاتيح الجنان/من أدعيه السحر فى شهر رمضان.

أجهدوا أنفسهم فى الدنيا قليلا لأعقبتهم راحه طويله فى العقبى،كما

قال الإمام أمير المؤمنين-عليه السلام-فى صفه المتقين: «صبروا أيّاما قصيره أعقبتهم راحه طويله. » و فى طائفه من النصوص المأثوره تفسير هذه الايه بأولئك الذين يعملون فى الدنيا و ينصبون و لكن فى طريق خاطئ فلا يكسبون من عملهم نقيرا،لأنّهم يوالون الطواغيت،و ينصبون لأئمه الهدى،و تابعيهم (۱)،و

روى عن الإمام أمير المؤمنين -عليه السلام- أنّ هؤلاء هم أهل حروراء،يعنى الخوارج الذين ذكرهم رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و اله-فقال:«تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، و صيامكم مع صيامهم،و أعمالكم مع أعمالهم،يمرقون من الدّين كما يمرق السهم من الرميّه» (۲)و هذا تأويل حسن للآيه،بيد أنّ تفسيرها-فيما يبدو من السياق-أعم و أشمل.

روى عن ابن عباس أنّهم يكلّفون ارتقاء جبل من حديد فى جهنم، فينصبون فيها أشدّ ما يكون من النصب،بمعالجه السلاسل و الأغلال و الخوض فى النار،كما تخوض الإبل فى الوحل،و ارتقائهم فى صعود من نار،و هبوطهم فى حدور منها (۳).

و فى بعض الروايات أنّهم يجدون فى طرف جهنم بابا إلى الجنه فما يألون جهدا للوصول إليه حتى إذا اقتربوا منه أغلق دونهم.

ص:۶۳

۱- ۱) راجع نور الثقلين/ج ۵ ص ۵۶۳-۵۶۴.
۲- ۲) القرطبى/ج ۲۰-ص ۲۸.
۳- ۳) القرطبى/ج ۲۰-ص ۲۷ و فى المصدر:ارتقائها هبوطها و أظنّها خطأ.

و أنّی کان عملهم و نصبهم فإنّهم لو عملوا عشر معشار ذلک فی الدنیا لکفاهم عملا و نصبا،و رزقهم اللّه جنّه و نعیما.

(۴)ما عاقبه هذا الفریق الخاسر؟النار الحامیه یذوقون حرّها مباشره و من دون وقایه.أ لیسوا قد فجروا فی الدنیا و لم یتقوا نار جهنم فیها؟ تَصْلیٰ نٰاراً حٰامِیَهً صلی بالنار:لزمها و احترق بها،و الحامیه:حارّه(شدیده الحر).

و لعل کل هذه الصفات ذکرت لکی لا تحتمل النار التأویل،فیقول البعض أنّ النار لا تحرق!أو لیست بحاره!أو بینها و بین الإنسان حجاب!کلاّ..لا مفرّ منها و من لهبها أبدا.

(۵)شده الحر و تواصل الاحتراق بالنار یجعل أهلها فی عطش شدید فیطلبون الماء فلا یعطونه ألف عام و بعده یعرضون علی عین آنیه.

تُسْقیٰ مِنْ عَیْنٍ آنِیَهٍ قد بلغت من الحراره أناها و منتهاها،و قیل:أنّ جهنم أوقدت علیها منذ أن خلقت.هکذا یدفعون إلیها وردا شرابا و ساءت شرابا و ساءت مرتفقا.

(۶)و إذا طلبوا طعاما قدّم لهم شیء أمرّ من الصبر یسمّی بالضریع.

لَیْسَ لَهُمْ طَعٰامٌ إِلاّٰ مِنْ ضَرِیعٍ طعام یتضرّع آکله من شدّه خشونته و مرارته و نتنه. إنّه حسبما

روی عن رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و اله-: «شیء یکون فی النار یشبه الشوک،أشد مراره

من الصبر،و أنتن من الجيفه،و أحرّ من النار سمّاه اللّه ضريعا» (۱)فهل هو نبته ناريّه كالزقّوم،أم هو عرق أهل النار و ما يخرج من فروج الزوانى كالغسلين،أم هو شیء آخر،و إذا كانت نبته فكيف لا تحترق بالنار،و إذا كان عرقا كيف لا يتبخرّ؟ إنّ العالم الاخر يختلف عن عالمنا،و إنّما تتشابه الألفاظ لكى ندرك ما يمكن أن ندرک من ذلک العالم،و إلاّ فإنّ كلّ شیء هناک مختلف عمّا لدينا،فالنار غير نارنا،و جلود أهلها غير جلودهم هنا،و العقارب و الحيّات و شجره الزقوم ليست كأمثالها فى الدنيا التى تحترق فى لمحه بصر لو تعرّضت لنيران جهنم،كلاّ..إنّها جميعا خلقت لذلک العالم و بمقاييسه،كما أنّ الزمن هناک غير الزمن هنا..و إذا فسّرنا كلمه من كلمات القرآن التى توضّح الاخره فليس إلاّ تفسيرا قريبا من واقعها،و ليس تفسيرا دقيقا.

و هكذا الضريع،و هو فى الدنيا-كما قالوا-:نبت ذو شوک لاصق بالأرض،تسمّيه قريش الشّبرق إذا كان رطبا،فإذا يبس فهو الضريع،لا تقربه دابه و لا بهيمه و لا ترعاه،و هو سم قاتل،و هو أخبث الطعام و أشنعه،و أنشدوا لبعضهم:

رعى الشبرق الريّان حتى إذا ذوى و عاد ضريعا بان منه النحائص (۲)

(۷)و هذا الطعام نوع من العذاب لأنّه ليس فيه أيّه منفعه من الطعام،فهو لا يعوّض خلاياهم المفقوده،و لا يطفئ لهيب الجوع.

ص:۶۵

۱- ۱) القرطبى/ج ۲۰-ص ۳۰.

۲- ۲) ذلک صفه إبل هزيل سیء المرعى-راجع المصدر/ص ۳۰.

لَا يُسْمِنُ وَ لَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ و لو أنّهم اجتنبوا السحت فى الدنيا لاتقوا الضريع فى الاخره.

(٨)و فى الجهه الأخرى تجد أهل الجنه كأفضل ما يكونون..

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ منعّمه قد أشرقت وجوههم بآثار النعمه حتى تجلّت نضارتها لكلّ عين.أو ليست النعمه إذا بلغت كمالها ظهرت فى الوجه؟ (٩)و يظهر من وجوههم رضاهم القلبى بما عملوا فى الدنيا،لأنّهم وجدوا عاقبه أمرهم الحسنى.

لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (١٠)أو تدرى أين هم ساكنون؟هناك فى الأعالى حيث يتفيّئون ظلال الأشجار.

فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ إنّ الجنه فى المقام العالى،بينما النار فى الدركات السفلى.

(١١)و إذا اطمأنّت النفس بالرضا،و الجسد بالفواكه،و الظلال الوارفه، و المقام السامى فإنّ الإنسان بحاجه إلى الأمن الذى يجده هؤلاء فى أتمّ صوره، فلا اعتداء و لا بغى و لا ظلم و لا غش و لا احتيال،بل و لا كلمه نابيه تنال مقدساتهم (مثل كلمات الشرك التى آذتهم فى الدنيا)أو تنال أشخاصهم(مثل الفحش و السب و الغيبه و التهمه و ما أشبه)و لا حتى كلمات عبثيه(كالتى يتناولها البطّالون

فيتلفون أوقاتهم بلا فائده)كلّا..إنّهم فی سلام شامل.

لاٰ تَسْمَعُ فِيهٰا لاٰغِيَةً أی لا تسمع فيها كلمه لغو.

كذلک كانوا فی الدنيا،إذا مرّوا باللّغو مرّوا كراما،كانوا لا يتعرّضون لأحد بكلمه بذيئه،و يتحمّلون أذی الناس كاظمين عافين محسنين،فجزاهم اللّه بحياه زاخره بالسلام و الرضا.

بلی.المؤمنون يصنعون لأنفسهم و ضمن بيئتهم الخاصه و فی حدود إمكانات الدنيا صوره مصغّره للجنه،يتنعّمون فيها قبل أن ينتقلوا إلی جنه الخلد الأبديّه.

(١٢)أمّا شرابهم فإنّه من عين تتدفّق بين جنّاتهم الخضراء.

فِيهٰا عَيْنٌ جٰارِيَةٌ ما أروع منظر العين المتدفّقه التی تجری علی الأرض أو فوقها بلا أخدود-كما قالوا-فيها ألوان الشراب من عسل مصفّی،إلی لبن سائغ،إلی شراب طهور، و ماء مزاجه من تسنيم..أذلک خير أم العين الانيه! إنّ وعی هذه النعم فی الدنيا يسمو بالمؤمن إلی عدم الاستسلام لإغراء شراب الدنيا الحرام،و الترفّع عن ملذّاتها المحدوده،انتظارا لما هو أشهی و أطيب مذاقا و أعظم.

(١٣)أعظم لذات البشر مجالس المؤانسه مع خلّان الصفا بتبادل المحبّه و الود و الكلمات الساميه و المعارف الجديده،و يبدو أنّ السياق يحدّثنا عن جانب من هذه المجالس،فبالإضافه إلی الشراب الذی يدار بينهم يصوّر لنا السرر المرفوعه التی

يتقابلون فيها.

فِيهٰا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١۴)لقد أغناهم تعب الدنيا و الكدح فيها عن التعب هناك،فاشتغلوا بمجالس الأنس عن النصب الذى يشتغل به أهل النار،فتراهم يتنازعون أكؤس الشراب الطهور الموضوعه أمامهم بلا عناء و لا نصب.

وَ أَكْوٰابٌ مَوْضُوعَةٌ مليئه بالشراب الطهور.

(١۵)و هم يتّكئون على وسائد لطيفه.

وَ نَمٰارِقُ مَصْفُوفَةٌ قالوا:النمرق أى الوساده،و أنشدوا:

كهول و شبّان حسان وجوههم على سرر مصفوفه و نمارق

(١۶)و فى كلّ جهه تجد البسط التى لا خمل لها كالسّجاد،أنّى شئتها وجدتها و أخذتها لبساطك.

وَ زَرٰابِيُّ مَبْثُوثَةٌ قالوا:إنّها الطنافس التى لها خمل رقيق.

(١٧)ليس بين الإنسان و بين فهم الحقائق إلاّ حجاب الغفله،فإذا ما كشف عنه هذا الحجاب إذا به يجدها ظاهره أمامه..و القرآن يساعده على ذلک.ألا ترى

كيف يرغّبه فى النظر إلى تلك الحقائق المألوفه حوله و التى يغفل عاده عن غيبها و دلالاتها البعيده،فيقول:

أَ فَلاٰ يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ فإذا نظروا تماوجت بحار المعرفه أمام أنظارهم.حقّا:إنّ هذه الإبل التى اندمجت بحياتهم حتى جعلت حياتهم و إيّاها نسيجا واحدا،و ابتدعوا لها ألف اسم يصفون فيه كل مراحل وجودها و أغلب صفاتها و حالاتها،و ربما لم يبتدعوا للإنسان مثل هذا العدد من الأسماء..هذه الإبل التى يمتطون ظهرها،و يشربون لبنها،و يأكلون لحمها،و يتداوون ببولها،و يصنعون من أشعارها و أوبارها بيوتا خفيفه و ثيابا و زينه.أ فلا ينظرون إليها ليعرفوا كيف خلقت لتكمّل حياتهم خصوصا فى تلك الصحارى القاحله؟ إنّها من أصعب الحيوانات مراسا و قدره على تحمّل المشاق.إنّها تحمل أثقالا عظيمه،و تخوض غمار البرارى القفر،و تصبر أيّاما عديده ربما بلغت أسبوعا أو عشره أيّام بلا زاد و لا شراب،و تتحدّى الأعاصير الرمليه بما خلق فيها من قدره و من أهداب لمقاومتها! إنّ أرجلها المفلطحه تستطيع أن تطفو على الرمال الرخوه حتى سمّيت بسفينه الصحراء.

ثم تراها تقتات الأشواك الحادّه،و تختزنها لحين اجترارها فى الوقت المناسب، كما تختزن الماء لفترات طويله.من الذى خلقها بهذه الطريقه العجيبه؟ و مع ضخامه جثتها،و عظم قدرتها،تراها خاضعه للإنسان الضعيف أليفه وديعه،حتى حكيت قصه الفاره التى سحبت حبل بعير،فتبعها ظنّا منه أنّها

صاحبه.

و إذا قارنت الإبل بما يشابهها من الحيوانات كالفيل و وحيد القرن لرأيت الإبل أعظم منفعه و أقل مؤنه فإنّ الفيل مثلا لا يؤكل لحمه،و لا يشرب لبنه.

و ننقل هنا بعضا ممّا قاله الدكتور أحمد زكى فى كتابه:(فى سبيل موسوعه علميه)حين تحدّث عن الجمل:

(و من تصاميم الخلق مواءمه بين حيوان و بيئته أن حمل الجمل على ظهره سناما،هو من عضل و شحم،و هو يزداد لحما و شحما على الغذاء عند ما يكثر و يطيب،حتى إذا خرج الجمل إلى سفر و عزّه الغذاء و كاد ينذره الجوع بالفناء وجد الجسم فيما حمل من شحم فى سنامه غذاء يطول به العيش أياما.

و من زاد الصحراء الماء،و لعلّه أوّل زاد،و فى جسم الجمل من الاحتياط ما يحفظ به عليه الماء،من ذلك أنّه لا يعرف أو لا يكاد،و من ذلك أنّ أنفه متصل بفمه،و الفم يحبس ما يخرج مع هواء التنفّس من ماء..و قد يبلغ ما يشربه به الجمل ستين لترا من الماء!أ فليس بمعدته خزائن ثلاث؟ و يضيف:و ما كان لغير الجمل من الحيوانات أن يقطع الصحارى،و تهيّأ الجمل لذلك بخفّه،فهو لا يغرز فى الرمل،و تغرز الحوافر فى حمر و خيل.

و تهيّأ الجمل بقوائمه الطويله القويّه،فيه صلبه صلده تحمل جسدا ضخما فوقه سنام.و أعان ارتفاع قوائم الجمل على تخطّى ما يعترضه فى الصحراء من أرض قليله الإستواء.

و عينا الجمل عليهما رموش ثقيله،و هى لمنع الرمال أن تدخل إلى عينيه عند ما

يغمضـها،و أذنا الجمل كثيره الشعر،و لعلّ هذا المنع دخول الرمل فيهما،و أنف الجمل إنّما هو شقّان ضيّقان،يسهل إغلاقهما عند الحاجه،و الجمل يغلقهما حبسا للرمل أن يدخلهما..كلّ شيء في خلق الجمل يهدف إلى الرمل يتوقّاه،من الخف إلى الرأس).

فسبحان اللّه الذي خلق الإبل،و تبّا لمن نظر إليها و لم يعتبر.

(۱۸)حين نقرأ آيات الذكر يخيّل إلينا أنّها ترسم لوحه فنيه،فإذا ذكرت الإبل تذكر بعدها السماء ثم الجبال فالأرض حتى تكتمل الصوره،بلى.هكذا كتاب ربنا يصف الحقائق الواقعيه كما هي و يجعلنا نعتبر بها.

وَ إِلَى السَّمٰاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ عنـد ما ينبلـج الفجر من الأفق،و ينتشـر الضـياء فوق الروابي،و تسـرع أسـراب الطيور بالتحليق بحثا عن رزقها،و تستيقظ الطبيعه لتسبّح ربها،هنالك انظر إلى السماء كيف جعلها اللّه سقفا محفوظا،و زرقه وادعه،و روعه و جمالا.

و عنـد المغيب حينما تتماوج الألوان الزاهيه فوق قطعه سـحاب تسـمّرت في الأفق شـطر المغرب،إنّها تـذهب حقّا بالألباب،و ينتبه الإنسان يومئذ إلى هذا البناء العظيم فوقه كيف بناه اللّه و رفعه بلا عمد نراه.

و في الليـل عنـد مـا يسـير زورق فضّـي في بحر من الظلام،و تنتثر على امتـداد البصـر النجوم الثواقب،لا تكلّ العين من جمالها و روعتها..هنالك يقول الإنسان:

سبحان اللّه.

أمّا إذا جلس المرء وراء جهاز تلسكوب لينظر من خلاله إلى الأجرام السابحه في

الفضاء الرحيب،و استمع إلى عالم فلكى يشرح له المسافات الضوئيه بينها و إلى دقه نظامها فلا يملك إلاّ أن يسجد للّه القدّوس و يكفر بالأنداد من دونه.

(١٩)و تنساب العين من السماء إلى الجبال ليجد الكتل الصخريه الهائله قد نصبت فى مراكزها لتقى الأرض شرّ الهزّات و العواصف،و لتكون خزائن المياه، و المعادن،و يتساءل:ما هذه الدقه المتناهيه فى وضع هذه الصخور فى مواضعها لو تقدّمت عنها أو تأخّرت سبّبت مشاكل عظيمه! و لو فكّرت كيف تكوّنت الجبال لازددت عجبا.

وَ إِلَى الْجِبٰالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (٢٠)و نظره إلى الأرض و طريقه انبساطها و تذليلها و كيف مهّدها اللّه للإنسان بفعل الأمطار الغزيره التى غسلت أطراف الجبال و سوّت الأرض لتكون صالحه للسكنى و الزراعه.

وَ إِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ و هذه الكلمات تذكّرنا بضروره البحث عن الكيفيه،و ميزات و خصائص كل الموجودات حولنا،و أيضا البحث عن العوامل المؤثّره فيها:كيف و بأيّه عوامل ملموسه كانت السماء و كانت الجبال و كانت الأرض بهذه الكيفيه،و هكذا يحرّضنا كتاب ربنا على البحث و التنقيب سواء على صعيد العلماء و الخبراء أم على مستوى كلّ فرد فرد منّا علينا جميعا أن نتفكر و نعقل و لا نكون غافلين عمّا يجرى حولنا..إنّ ذلك هو السبيل إلى معرفه الخالق أكثر فأكثر،و معرفه الخالق هى أصل كل خير و فلاح.

ص:٧٢

(٢١)الأدله مبثوثه فى أرجاء الخليقه،و عقل الإنسان يكفيه حجه،و يأتى النبى-صلّى اللّه عليه و اله-و من يتبع نهجه ليقوم بدور المذكّر.إنّه ليس مكلّفا عنهم و لا مكرها لهم،و لا يتحمّل مسئوليه أفكارهم،و إنّما هم المسؤولون.

فَذَكِّرْ إِنَّمٰا أَنْتَ مُذَكِّرٌ فما على الرسول إلاّ البلاغ المبين،حتى معرفه اللّه لا تتم إلاّ بعقل الإنسان الذى يستثيره النبى بتذكرته.

(٢٢)و ليس الرسول عليهم بجبّار،إنّما يذكّر بالقرآن من يخاف و عيد.

لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ السيطره هى التسلّط و معناها الجبر و الإكراه.

(٢٣)بلى.الكفّار الذى يقامون الرساله،إنّهم يتعرّضون لسخط اللّه و عذاب عباده المؤمنين،لأنّهم يسيئون التصرّف فى الحريه الممنوحه لهم.

إِلاّٰ مَنْ تَوَلّٰى وَ كَفَرَ و قد اختلف المفسّرون فى معنى الايه،و لكن يبدو أنّ سائر آيات القرآن تفسّر هذه الايه حيث أنّ من تولّى عن الحق و كفر به،و مخالف الرسول و ناصبه العداء، يجاهد حتى يعود إلى رشده،و هذا ما نقرؤه بتفصيل فى آيات الجهاد و فى سوره الممتحنه بالذات.

و

قد روى عن الإمام على-عليه السلام- أنّه جيء إليه برجل ارتد فاستتابه ثلاثه أيّام فلم يعاود الإسلام فضرب عنقه،و قرأ:« إِلاّٰ مَنْ تَوَلّٰى وَ كَفَرَ » (١)

ص:٧٣

١- ١) القرطبى/ج ٢٠-ص ٣٧.

(۲۴)أولئک الکفّار المنابـذون العـداء للرساله یجاهـدهم المسـلمون فیعذّبهم اللّه فی الدنیا بأیدیهم ثم یعذّبهم فی الاخره العذاب الأکبر.

فَیُعَذِّبُهُ اللّٰهُ الْعَذٰابَ الْأَکْبَرَ (۲۵)و فی نهایه السوره یذکّرنا ربنا بالمصیر إلیه، و کیف لا یستطیع أن یهرب أحد من مسئولیه أعماله.

إِنَّ إِلَیْنٰا إِیٰابَهُمْ أی عودتهم.

(۲۶) ثُمَّ إِنَّ عَلَیْنٰا حِسٰابَهُمْ یحاسبهم جمیعا کما رزقهم فی الدنیا علی کثرتهم،فطوبی لمن حاسب نفسه هنا قبل أن یحاسب هناک،و تاب إلی اللّه من ذنوبه قبل أن یجازی بها.

جاء فی الحدیث المأثور عن الإمام الرضا-علیه السلام-: «إذا کان یوم القیامه أوقف المؤمن بین یدیه فیکون هو الذی یلی حسابه،فیعرض علیه عمله،فینظر فی صحیفته فأوّل ما یری سیئاته فیتغیّر لذلک لونه،و ترتعد فرائصه،و تفزع نفسه،ثم یری حسناته فتقرّ عینه،و تسر نفسه،و تفرح روحه،ثم ینظر إلی ما أعطاه اللّه من الثواب فیشتد فرحه،ثم یقول اللّه لملائکه:هلمّوا بالصحف التی فیها الأعمال التی لم یعملوها،قال:فیقرءونها فیقولون:و عزّتک إنّک لتعلم أنّا لم نعمل منها شیئا،فیقول:صدقتم لکنّکم نویتموها فکتبناها لکم،ثم یثابون علیها» (۱)أ فلیس هذا هو المصیر الأفضل،فلما ذا الغفله؟

ص:۷۴

۱- ۱) نور الثقلین/ج ۵-ص ۵۷۰.

سوره الفجر

اشاره

ص:۷۵

بسم الله الرحمن الرحيم

فضل السوره

فی کتاب ثواب الأعمال بإسناده عن أبی عبد اللّه-علیه السلام-قال:

«اقرؤوا سوره الفجر فی فرائضکم و نوافلکم فإنّها سوره للحسین بن علی -علیهما السلام-من قرأها کان مع الحسین-علیه السلام-یوم القیامه فی درجته إنّ اللّه عزیز حکیم» نور الثقلین/ج ۵ ص ۵۷۱

ص:۷۷

الإطار العام

لكى تتلقّى كلمات الوحى عليك أن تسمو إلى مستوى التدبّر فيها،و التحسّـس لنبضاتها،و متابعه مؤثّراتها،و التفاعل مع إيقاعاتها..و بكلمه:لا بد أن تعيشها بكلّ ما أوتيت من صفاء الفؤاد،و قوّه الفكر،و رهافه الحس.

كذلك سوره الفجر لا يعيها إلاّ من يندمج معها، و يسلّم قياده لكلماتها التى تفيض علما و حكمه و حياه و نورا بها تعرج به إلى أفق آخر،تجعله يرى ما حوله بصوره جديده حتى يتسامى عن جواذب الماده و إصرها و أغلالها و تطمئن نفسه إلى اللّه و ترضى به،فإذا به و هو فى الدنيا يعود بروحه إلى ربه،و يسمع هتاف ربه:

« ارْجِعِي إِلىٰ رَبِّكِ رٰاضِيَةً مَرْضِيَّةً ».

و يبدو أنّ هذه هى محور السوره،و لكن كيف يتحقّق ذلك؟فى السوره-فيما يبدو-الإجابه عن ذلك و التى تتلخّص فى نقاط هى بدورها محاور تمهيديه للسوره.

أوّلا:التحسّس برقابه اللّه و أنّه بالمرصاد حتى يزداد القلب وعيا و تقوى،

و السؤال:کیف؟بالنظر فی اختلاف اللیل و النهار و حسن تدبیرهما من الفجر حتی اللیل إذا یسر،و أیضا بالاعتبار بمصیر أولئک الجبّارین الذین نسوا اللّه،و لم یراقبوه،فکان ربّهم لهم بالمرصاد،فصبّ علیهم سوط عذاب.

ثانیا:تزکیه القلب من حبّ الدنیا،و اعتبار الغنی قیمه إلهیه،لأنّ عاقبه حبّ الدنیا وخیمه إذ أنّه یمسخ شخصیه الإنسان فیجعله لا یکرم الیتیم،و لا یحضّ علی طعام المسکین،و یأکل التراث جمیعا،و یکاد یعبد المال لفرط حبّه له.

ثالثا:بتذکّر أهوال الساعه حیث تندکّ الأرض ببعضها دکّا دکّا،و یتجلّی اللّه بعظمته و عدالته و شدّه بطشه بالجبّارین و المجرمین، و یتذکّر الإنسان أنّه قد ضیّع فرصته الوحیده فی الدنیا،و لم یقدّم شیئا لحیاته،و لکن لن تنفعه الذکری.

هنالک یهتف الربّ بالنفوس المطمئنّه أن ارجعی إلی ربک راضیه مرضیه.

ما أعظمه من نداء،و ما أحسنها من عاقبه.وفّقنا اللّه لها جمیعا.

ص:۷۹

[سوره الفجر (٨٩): الآيات ١ الی ٣٠]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . وَ اَلْفَجْرِ (١) وَ لَيٰالٍ عَشْرٍ (٢) وَ اَلشَّفْعِ وَ اَلْوَتْرِ (٣) وَ اَللَّيْلِ إِذٰا يَسْرِ (۴) هَلْ فِي ذٰلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ (۵)
أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعٰادٍ (۶) إِرَمَ ذٰاتِ اَلْعِمٰادِ (٧) اَلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهٰا فِي اَلْبِلاٰدِ (٨) وَ ثَمُودَ اَلَّذِينَ جٰابُوا اَلصَّخْرَ بِالْوٰادِ (٩) وَ
فِرْعَوْنَ ذِي اَلْأَوْتٰادِ (١٠) اَلَّذِينَ طَغَوْا فِي اَلْبِلاٰدِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا اَلْفَسٰادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذٰابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ
لَبِالْمِرْصٰادِ (١۴) فَأَمَّا اَلْإِنْسٰانُ إِذٰا مَا اِبْتَلاٰهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَ نَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١۵) وَ أَمّٰا إِذٰا مَا اِبْتَلاٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي
أَهٰانَنِ (١۶) كَلاّٰ بَلْ لاٰ تُكْرِمُونَ اَلْيَتِيمَ (١٧) وَ لاٰ تَحَاضُّونَ عَلىٰ طَعٰامِ اَلْمِسْكِينِ (١٨) وَ تَأْكُلُونَ اَلتُّرٰاثَ أَكْلاً لَمًّا (١٩) وَ تُحِبُّونَ
اَلْمٰالَ حُبًّا جَمًّا (٢٠) كَلاّٰ إِذٰا دُكَّتِ اَلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَ جٰاءَ رَبُّكَ وَ اَلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَ جِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ
يَتَذَكَّرُ اَلْإِنْسٰانُ وَ أَنّٰى لَهُ اَلذِّكْرىٰ (٢٣) يَقُولُ يٰا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيٰاتِي (٢۴) فَيَوْمَئِذٍ لاٰ يُعَذِّبُ عَذٰابَهُ أَحَدٌ (٢۵) وَ لاٰ يُوثِقُ وَثٰاقَهُ أَحَدٌ
(٢۶) يٰا أَيَّتُهَا اَلنَّفْسُ اَلْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) اِرْجِعِي إِلىٰ رَبِّكِ رٰاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبٰادِي (٢٩) وَ اُدْخُلِي جَنَّتِي (٣٠)

اللغه

۵(حجر)الحجر العقل،و أصله المنع،يقال:حجر القاضی علی فلان ماله أی منعه من التصرّف فیه،فالعقل یمنع من المقبّحات و یزجر عن فعلها.

٩(جابوا)قطعوا،و جاء فی مفردات الراغب:الجوب قطع الجوبه و هی کالغائط من الأرض ثمّ یستعمل فی قطع کلّ أرض.

١٠(ذی الأوتاد)قیل:أی ذی الجنود الذین کانوا یشیدون أمره،و سمّاهم أوتادا لأنّهم قوّاد عسکره الذین بهم قوام أمره،و قیل:بل سمّی فرعون بذلک لأنّه کان یشدّ الرجل بأربعه أوتاد علی الأرض إذا أراد تعذیبه و یترکه حتی یموت.

ص:٨١

۱۴(لبالمرصـاد)هو المحل الـذی یجلس الإنسان فیه لیرصـد و یراقب أحوال غیره من حیث لا یرونه،و هـذا کنایه عن أنّه سـبحانه مطّلع علی الناس لا یخفی علیه شیء منهم.

۱۶(فقدر)ضیّق.

۱۹(لمّا)اللم الجمع،و لممت ما علی الخوان المّه لمّا إذا أکلته أجمع،کأنّه یأکل ما ألّم به و لا یمیّز شیئا من شیء.

۲۰(جمّا)الجم الکثیر العظیم،و جمّه الماء معظمه.

ص:۸۲

بينات من الآيات:

(١)الأدب الأصيل البـديع يكثّف حول القارئ الظلال و الإيقاعات و الإيحاءات و المعاريض حتى تجد نفسك فى سواء الحقيقه من حيث تـدرى أو لا تدرى،و فى ذروه الآداب البديعه نجد آيات الذكر كأنّها بساط سليمان تحملنا إلى آفاق الحقيقه،و تجعلنا نشاهدها و نلامسها و نعيشها و نمتزج بها،و يعجز القلم عن متابعه لطائف هـذا الأدب الأسمى لأنّ فى اختيار الكلمات و طريقه تركيبها و جرس ألفاظها و تماوج معانيها و آفاق بصائرها تيّار من المؤثّرات التى لم يبلغ الإنسان مستوى إحصائها و معرفتها ..هل يمكن لريشه رسّام أن تنقل على القرطاس كلّ مشاعره من مراقبه الغروب فى الأفق،و هل هو يستوعب كلّ جمال الأفق لحظه غياب الشمس؟كذلك المفسّرون لا يستطيعون وصف كلّ أحاسيسهم عن لحظات معايشتهم لآيات الذكر.إنّها حقّا فوق قدره القلم..من هنا يعجزون عن ملاحقه معارفهم التى يستوعبونها من القرآن فكيف يشرح كلّ معارف القرآن و هذا أيضا سرّ

اختلافهم الواسع فی العدید من الکلمات و الآیات القرآنیه،و فاتحه سوره الفجر منها حیث اختلفت آراؤهم إلی أکثر من ثلاثین قولا فی بعض کلماتها (۱).

إذا کیف نفسّر هذه الآیات،و کیف نستفید من تفاسیر الآخرین لها؟ إنّما باتباع منهج التدبر المباشر،فأنت بدورک تقرأ القرآن و علیک أن تنفتح أمام تیار المعرفه و موجات الإبداع و بصائر الوحی فی آیاته.افتح منافذ قلبک و شغاف فؤادک و أعرج بنفسک إلی مستوی القرآن..أو لم تسمع أنّ اللّه سبحانه قد تجلّی فی کتابه لعباده و لکنهم لا یبصرون؟ بلی.کلمات المفسّرین إشارات مفیده علی الطریق،و لکنّها لیست بدیلا عن سعیک بنفسک فی ذلک الطریق.

و إذا طویت درب المعرفه بنفسک فإنّ العلم الذی تکتسبه ینوّر قلبک،و یصبح جزء من نفسک،فیرتفع مستواک،و إنّک لا تنساه بإذن اللّه.

و نعود إلی کلمات القسم الأولی فی السوره،و نتساءل-مع من تساءل من المفسرین-:ما الفجر،و ما اللیالی العشر،و ما هو الشفع،و ما الوتر؟ لأن الکلمات قسم،و القسم یهدف استثاره القلب و طرق أبوابه المغلقه،فإنّ إجمالها قد یکون مطلوبا،لأنّه یزید حاله التهویل و التفخیم.

و لکن بین التفاسیر العدیده یبدو اثنان منها أقرب:الأوّل:عموم المعنی حتی یشمل أغلب المصادیق التی ذکرت فی التفاسیر،فالفجر هو الفجر سواء کان فجر یوم العید العاشر من ذی الحجّه أو فجر أول یوم من أیّام محرم حیث الساعات

۱- ۱) نقل العلامه الطباطبائی أن فی تفسیر الشفع و الوتر(۳۶)قولا/راجع المیزان ج ۲۰ ص ۲۷۹.

الأولى من السنه الهجريه أو فجر الرساله أو فجر الثوره الحسينيه فی أرض كربلاء أو أیّ فجر آخر ینبلج به نهار یوم جدید أو حیاه جدیده أو مسیره جدیده..و هكذا اللیالی العشر تتسع لعشر لیال من كلّ شهر،و كذلك الشفع و الوتر فإنّهما یتسعان لكل ما شفع أو وتر.

الثانی:تفسیر الكلمات بأیّام الحج من ذی الحجه الحرام،فالفجر یكون فجر الأوّل من أیّامه أو فجر العید،بینما اللیالی العشر هی العشره الأولی من هذا الشهر الذی یشهد أعظم مسیره دینیه فی السنه،و أمّا الشفع و الوتر فهما یوم عرفه (باعتباره التاسع و التسعه وتر)و یوم العید(باعتباره العاشر و العشره شفع)،أمّا اللیل الذی یسری فهو لیله الإفاضه من عرفات إلی المشعر فمنی.

وَ الْفَجْرِ قسما بلحظه انبلاج النور من الأفق حیث ینتظره الجمیع بعد أن أخذوا قسطا كافیا من السبات و الراحه.

قسما بلحظه انطلاقه المسیره الرسالیه التی فجّرت رحم الظلام الجاهلی فوق روابی مكه فی غار حراء مع جلجه الوحی اقرأ اقرأ یا محمد اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِی خَلَقَ.

قسما بلحظه انبعاث الدم من أوداج السبط الشهید بكربلاء لیبعث ثوره الحق ضد ظلام الجاهلیه المقنّعه،و تنطلق المسیره من جدید.

قسما بكلّ لحظات الانبلاج و الانطلاق فی مسیره البشر بعد تراكم ظلمات الظلم و الجهل و القمع و التضلیل.

و قسما بفجر العداله الشامله مع ظهور شمس المجدّد الأعظم لرساله الإسلام

ص:۸۶

الإمام المهدی المنتظر(عجّل اللّه تعالی فرجه الذی وعد اللّه أن یظهر به دینه الحق علی الدّین کلّه و لو کره المشرکون).

قسما بکلّ تلک اللحظات الحاسمه:انّ الحق منتصر،و انّ اللّه للظالمین بالمرصاد.

(۲)بعد عشره لیال من الجهد المکثّف،و العمل الدؤوب،بعد تحمّل وعثاء السفر و السعی إلی مکه من کلّ فج عمیق،بعد الإحرام و الکفّ عن الشهوات، بعد التطواف و السعی و الوقوف بعرفه ثم بالمزدلفه،بعد کلّ الإجهاد یأتی فجر العید المبارک لیمسح بأصابع من نور الرحمه و البرکات علی رؤوس الحجیج و یمنحهم جائزتهم الکبری.

و بالرغم من أنّ اللیالی العشر سبقت الفجر،إلاّ أنّ الفجر هو الهدف منها و لذلک سبقها بالبیان،لنعلم أنّ عاقبه العسر یسر،و أنّ لیالی الجهاد و الصبر و الاستقامه علی ظلم الطغاه ستنتهی بفجر النصر المبین بإذن اللّه،کما تنتهی لیالی الحج بفجر العید.

وَ لَیٰالٍ عَشْرٍ قالوا:إنّ«لیال»جاءت بلا ألف و لام للدلاله علی التعظیم،بلی.و لیله الجهد و التعب طویله کما لیله الترقّب و الانتظار،و لیالی المؤمنین مزیجه أبدا بالجهد المکثّف و الانتظار معا فما أطولها.

و قال بعضهم:إنّ هذه اللیالی إشاره إلی العشره الأخیره من شهر رمضان لما فیها من عظمه.

(۳)قسما بالشفع و الوتر،بیوم العید و من قبله یوم عرفه،و بما هو من العبادات

شفع كركعات الصلاه الثنائيه و الرباعيه،و بما هى منفرده كالوتيره و صلاه المغرب.

قسما بكلّ زوجين،و بكلّ شىء منفرد،فليذهب خيالك أنّى شاء فإنّه لن يجد سوى زوج أو فرد فقسما بكلّ ذلك:إنّ ربك لبالمرصاد.

وَ الشَّفْعِ وَ الْوَتْرِ (۴)هل وقّفت للحج أو تذكرت الإفاضه حيث ينهمر سيل الحجيج من عرفات عبر شعاب الوديان و فوق أكتاف الروابى نحو مزدلفه مهلّلين مكبّرين،و قد تجرّدوا عن سماتهم المميّزه،حاسرى الرؤوس،معتمرى ثياب الإحرام البسيطه،و أمامهم هدف واحد يبتغونه و هو مرضاه ربهم؟ إنّها حقّا مسيره التوحيد،مسيره الوحده،مسيره التقوى،مسيره الرحمه..فى تلك الساعه لو كنت قادرا على تجريد نفسك من مؤثّرات المسيره و النظر إليها من الخارج لرأيت عجبا،رأيت و كأنّ الأرض و السماء تسيران،و أنّ الليل بذاتها تسير معكم.

وَ اللَّيْلِ إِذٰا يَسْرِ قسما بتلك الليله المشهوده:إنّ مسيره الحق منتصره لأنّ اللّه من الطغاه بالمرصاد.

قالوا:إنّ المراد من«يسر»أنّه يسرى فيه،كما يقال ليل نائم و نهار صائم، و أنشدوا لقد لمتنا يا أمّ غيلان فى السّرى و نمت و ما ليل المطىّ بنائم

ص:۸۸

و لم يقولوا لماذا ننسب-بعض الأحيان-الحدث إلى الزمن؟و أظنّ أنّ ذلك يتمّ عند ما يستوعب الحدث الزمان كلّه،فالليل النائم هى التى لا ترى فيها ساهرا،و كذلك النهار الصائم لا تجد الناس فيه إلاّ صائمين،كما قال اللّه تعالى:

«أيّام نحسات»لأنّه لم يكن فى تلك الأيّام غير النحوسه.

و هكذا إذا استوعب الحدث المكان سمّى به،كما قال اللّه: وَ سْئَلِ الْقَرْيَةَ ،أى كلّ أهلها.

كذلك الليل هنا كانت تسرى،لأنّ السرى استوعبتها.

(۵)ألا يكفى كلّ ذلك قسما لمن يملك مسكه من عقل.

هَلْ فِي ذٰلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ قالوا:معناه لذى لب و عقل،و انشدوا:

و كيف يرجّى أن تتوب و إنما يرجّى من الفتيان من كان ذا حجر

و قالوا:أصل الكلمه من المنع إذ العقل يمنع الإنسان التردّى فى الضلال، و حتى كلمه العقل مأخوذه من ذات المعنى أى المنع و الكف فهى من العقال.

و يبدو لى أنّ الحجر أقل قدر من العقل،و أنّ المعنى-على هذا-:هل فى هذا القسم كفايه لمن يملك عقلا أنّى كان قليلا؟و اللّه العالم.

(۶)إذا كنت ممّن يكتفى بالقسم و يكتشف الحقائق بعقله بعد أن يذكّر بها فقد جاءك ما يكفى من القسم.

إلاّ أنّ البعض لا يعى الحقائق إلاّ بالمزيد من الشواهد،و بالذات العبر التاريخيه

التی تهزّ الضمیر هزّا،و حتی ذوی العقول إذا استمعوا إلی تلک العبر ازدادوا یقینا، و هکذا ساق القرآن طائفه من تلک العبر و أجملها لأنّه کا قد فصّلها فی مواضع أخری و قال:

أَ لَمْ تَرَ کَیْفَ فَعَلَ رَبُّکَ بِعٰادٍ إنّها حقائق مشهوده تری بالعین المجرّده،و کلّما کانت الحقیقه واضحه استخدم مثل هذا التعبیر«ألم تر».

(٧)من هم عاد؟إنّهم عاد الأولی من قبیله إرم أو الذین سکنوا قریه إرم فبنوا القصور العالیه.

إِرَمَ ذٰاتِ الْعِمٰادِ قال بعضهم:إرم جد عاد،و قال آخر:إلیه یجتمع نسب قبیله ثمود أیضا، و قال ثالث:إنّ معنی إرم القدیمه،و أصلها من الرمیم حیث أنّ هناک عادین الأولی و هی القدیمه التی قال عنها ربنا: وَ أَنَّهُ أَهْلَکَ عٰاداً الْأُولیٰ (١)،و قال بعضهم:

إنّ الکلمه لیست اسم أشخاص بل منطقه کان یسکنها قوم عاد،و لا یتنافی أن یکون الاسم مشترکا بین القبیله و أرضهم حیث کانت العاده تقضی تسمیه الأرض باسم أهلها..فتکون کلمه ذات صفه لإرم تلک المدینه التی سکنتها عاد،و کلمه العماد بمعنی الأبنیه المرتفعه المرفوعه علی العمد،و لذلک قالت العرب:فلان طویل العماد إذا کان منزله معلما لزائره.

(٨)تلک القبیله الشدیده التی راجت حولها الأساطیر،و تلک المدینه ذات العمد التی لم یکن لها مثیل فی بلاد العالم ذلک الیوم..ألم تر کیف دمّرت علیهم؟

١- ١) النجم ٥٠/.

اَلَّتِی لَمْ یُخْلَقْ مِثْلُهٰا فِی الْبِلاٰدِ و إنّما یبنی الإنسان المدن لصیانه نفسه من أهوال محتمله من اعتداء مفاجئ أو سیل منهمر أو زلازل و انهیارات أرضیه أو ما أشبه،و الذی یدفعه إلی ذلک کلّه تهرّبه من الموت و من عاقبه أعماله،و لکن تلک الجهود تنفعه ما لم یأت قدره،فإذا جاء القدر فأین المفر؟ إنّ المدینه و بالذات إذا کانت بمستوی مدن عاد العظیمه علامه بارزه لحضاره الإنسان حتی سمّیت الحضاره بالمدینه،لأنّها رمز تعاون بنّاء بین مجامیع کبیره من الناس،و سیاده نوع متقدّم من القوانین علیهم،کما أنّها تأتی نتیجه تراکم تجارب و جهود عظیمه یتوارثها أهلها جیلا بعد جیل..و لکنّها عرضه للدمار الشامل إذا تسلّط علیها المترفون،و وجّهوها عکس مسیره الخیر و الفضیله،و اتخذوها وسیله للبطش بالآخرین،کما فعلت عاد فدمّرها اللّه شرّ تدمیر،فأین الأحقاف التی کانت مساکنهم بین الیمن و حضرموت،و أین قبورهم و آثارهم؟ (۹)کذلک ثمود الذین سکنوا شمالی الجزیره العربیه بین المدینه و الشام، فشیّدوا لأنفسهم القصور التی اقتطعوها من الجبال المحیطه و حفروها أیضا ملاجئ و مخازن لهم..إنّ مصیرهم کان أیضا الدمار.

وَ ثَمُودَ الَّذِینَ جٰابُوا الصَّخْرَ بِالْوٰادِ جابوا:أی قطعوا،و یقال:یجوب البلاد أی یقطعها،و الوادی:المسیر بین الجبال.

(۱۰)و کانت عاد و ثمود و قصه إبادتهم معروفه عند العرب فی الجزیره،لأنّهما کانتا فی طرفی الجزیره،أمّا آل فرعون فقد کانت قصتهم مشهوره عند الأمم،لأنّها

كانت ذات صبغه عالميه،و قد سمعتها العرب من أهل الكتاب الذين اتصلوا بهم، و قد فصّلها القرآن تفصيلا فى مواقع كثيره،و أجملها هنا بكلمات فقال:

وَ فِرْعَوْنَ ذِی الْأَوْتٰادِ قالوا:أوتاده أركان سلطته من جنود و عساكر و أموال و أساليب قهر و سلطان، و قال بعضهم:بل كان يعذّب الناس بالأوتاد حيث يشدّهم بها إلى أن يموتوا، و هكذا فعل بآسيه زوجته و ماشطه ابنته،و قال بعضهم:بل الأهرامات التى تشبه الوتد فى الأرض..و أنّى كان فقد زعم أنّ تلك الأوتاد تنقذه من مصيره.

(١١)و يبدو أنّ المراد بفرعون هم آل فرعون،أو هو و أوتاده الذين أيّدوه، فلذلك قال عنهم ربنا سبحانه:

اَلَّذِينَ طَغَوْا فِی الْبِلاٰدِ ذلك أنّ للإنسان قدره محدوده لتحمّل ضغوط التملّك،فمن الناس من تبطره نعمه تافهه،و منهم من إذا امتلك الدنيا يظل قادرا على التصرف بحكمه و رشد، و إنّما يرتفع الإنسان إلى مستوى ضبط النعم و عدم الوقوع فى أسرها و الاسترسال مع رياحها إذا كان مؤمنا باللّه و باليوم الاخر.و آل فرعون أبطرتهم النعمه،فلمّا رأوا النيل يجرى فى بلادهم بالخيرات،و قد دانت لهم الشعوب المستضعفه من حولهم، و قد عرفوا بعض العلوم الجديده فى فنّ العماره و الزراعه و تحنيط الأموات و ما أشبه فاستكبروا فى الأرض و طغوا.

(١٢)و هكذا ركبوا مطيّه الطغيان الجامحه،و أسكتوا الأصوات المعارضه، و تسلحوا بمنطق القوه،و اتبعوا نهج الدجل و التضليل،و أصبحت السلطه مركزا لكلّ فاسد مفسد،منافق متملّق،قوّال كذّاب،محبّ لنفسه،معقّد من الناس،

و بدأوا رحله النهايه إذ أخذت السلطه تنشر الفساد فى الأرض بدل الصلاح، و الظلم بدل العداله.

فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسٰادَ (١٣)حتى إذا طفح بهم كيل الفساد،و جاءهم النذير فهمّوا به ليقتلوه، هنالك نزل عليهم العذاب الشديد.

فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذٰابٍ جاء العذاب كما السيل المنهمر يصب عليهم من علّ انصبابا فأين المفر؟ و كان كلذع السوط و سرعته،يسوطهم فيخالط لحمهم و دمهم.

قالوا:العرب كانت تسمّى العذاب الشديد سوطا،و قيل:بل أصل معنى السوط خلط الشىء بالشىء،و لأنّ العذاب الشديد يخالط اللحم و الدم يسمّى بالسوط.

و قال السيّد قطب فى هذه الايه:هو تعبير يوحى بلذع العذاب حين يذكر السوط،و بفيضه و غمره حين يذكر الصب،حيث يجتمع الألم اللاّذع و الغمره الطاغيه على الطغاه الذين طغوا فى البلاد (١).

و هكذا جاءت نهايه عاد و ثمود و آل فرعون واحده لأنّ أعمالهم كانت متشابهه بالرغم من اختلاف بلادهم و عصورهم و سائر تفاصيل حياتهم و الجرائم التى ارتكبوها.

(١۴)قسما بأيّام المسيره الكبرى،بفجر العيد و ليالى الإحرام و يوم العيد و يوم

١- ١) فى ظلال القرآن ٨٩٠/ ص ٥٧٢.

عرفه و بليله الإفاضه،و على هدى تلك العبر التاريخيه:إنّ اللّه يقف للطغاه و المجرمين بالمرصاد.

إِنَّ رَبَّکَ لَبِالْمِرْصٰادِ الجيش المعادى يسير بين شعاب الوادى بكلّ غرور،و قوّات الدفاع قد اتخذت مواقعها خلف صخور السفوح و فوق مرتفعات الجبل،و فى مثل لمح البصر تقع الواقعه،و يتبخّر غرور الجيش و يتلاشى.

كذلك أعداء اللّه يأخذهم فى ساعه غرورهم و غفلتهم لأنّ ربك بالمرصاد..

و هم عنه غافلون،و من سطواته آمنون.

تلك هى ذروه السوره فيما يبدو،و محور آياتها،و خلاصه دروسها،فمن وعى هذه الحقيقه،و خشى سطوات اللّه،و لم يأمن مكره؟و من اتقى أخذه الشديد فى ساعات الغفله،و كلّما همّ بمعصيه أو فكّر فى ظلم أحد فكّر فى نفسه:أو ليس اللّه يراقبنى و هو بالمرصاد؟من إذا همّ بظلم أحد تذكّر القهّار العظيم الذى يأخذ الظالمين بشدّه،و إذا تمادى فى الظلم و لم ينزل به العذاب تذكّر أنّ ذلك قد يكون كيدا متينا له حتى يؤخذ بشده.

جاء فى الدعاء المأثور عن الإمام السجّاد-عليه السلام-:

«اللهمّ صلّ على محمّد و آل محمّد و لا أظلمنّ و أنت مطيق للدفع عنى، و لا أظلمنّ و أنت القادر على القبض منى» (۱).

و قال الشاعر:

۱- ۱) مفاتيح الجنان/دعاء مكارم الأخلاق.

تنام عيناک و المظلوم منتبه يدعو عليک و عين اللّه لم تنم

و أمّا المظلوم و المستضعف و الثائر المقهور فإنّهم جميعا يزدادون أملا و استقامه و تحدّيا عند ما يعرفون أنّ اللّه من الظالمين بالمرصاد،فلا ينهزمون نفسيّا و لا يستسلمون.

(۱۵)لکی يتسامى الإنسان عن حتميّات الماده و مؤثّراتها الضاغطه،و لکی يبقى مالکا للدنيا متصرّفا فيها لا مملوکا لها مسترسلا معها،و بالتالی لکی لا تطغيه الثروه و السلطه و تجرّه إلى الترف و الفساد،يبصرّنا الذکر بحکمه المال و القدره المتمثله فی اختيار إراده الإنسان و تجربه معدنه و مدى صبره على إغرائها و انسيابه مع جاذبيتها.

و ليست الثروه دليل کرامه الإنسان عند اللّه و اجتبائه من لدنه،فلا يستبد به الغرور فيزعم أنّه على حق،ثم يتسافل فيزعم أنّه بذاته الحق،ثم يبلغ به السفه و الطغيان إلى الزعم بأنّه الرب الأعلى! کلاّ.الثروه ماده اختبار،و على الإنسان أن يتخلّص من إغرائها بإنفاقها و التقيّد بالحدود الشرعيه فی جمعها.

فَأَمَّا الْإِنْسٰانُ إِذٰا مَا ابْتَلاٰهُ رَبُّهُ فَأَکْرَمَهُ وَ نَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّی أَکْرَمَنِ بلى.الثروه بذاتها نعمه و کرامه و لکنّها فی ذات الوقت ابتلاء و اختبار،و هذا هو الخط الفاصل و الدقيق فی ذات الوقت بين البصيره الإلهيه و التصوّر البشری، فليست الثروه رجسا،و ليست کرامه دائما،بل هی حقيقه بلا هويه بلا صبغه، و إنّما تکتسب هويتها و صبغتها من طريقه تصرّف الإنسان فيها.

(۱۶)کما أنّ الفقر لیس بذاته نقمه،و إنّما النقمه الاستسلام له،و الإعتقاد بأنّه دلیل مهانه عند اللّه.

وَ أَمّا إِذا مَا ابْتَلاٰهُ فَقَدَرَ عَلَیْهِ رِزْقَهُ و کانت حکمه ضیق الرزق ابتلاءه،تراه فقد ثقته بنفسه،و زعم أنّه رجل مهان منبوذ،و أنّ واقعه لا یتغیّر.

فَیَقُولُ رَبِّی أَهٰانَنِ کلاّ..الفقر لیس إهانه،بل هو اختبار،و ربّ فقیر ذی طمرین لا یؤبه به عند الناس لو أقسم علی اللّه لأبّره.

أ لیست الثروه قد تکون علی طرق غیر مشروعه،بل عاده تکون کذلک؟ أ و لیس الفقر قد یکون لأسباب خارجه عن إراده الإنسان کأن یولد الإنسان فی بلد فقیر و من أبوین معدمین؟فکیف تکون الثروه مقیاسا للکرامه الإلهیه،و تتحوّل بذاتها إلی قیمه مقدّسه،و یصبح الفقر معیارا للهوان عند اللّه،أداه لتذلیل الإنسان و تصغیره؟ (۱۷)کیف یتخلّص الإنسان من جواذب الماده و أثقالها؟بإکرام الضعفاء، و الإنفاق علیهم،و عدم انتهاب أموال المحرومین.

أولئک الذین جعلوا الماده قیمه تراهم ممسوخین عن الفطره السلیمه،فلا تجدهم یکرمون الیتیم الذی یستثیر الرحمه و العطف عند البشر السویّ،أنّی کان دینه و مستواه.

کَلاّ

ليس كما تزعمون أنّ الغنى دليل كرامه الفرد عند اللّه،و أنّ الفقر دليل هوانه، إنّما هما ابتلاء و فتنه.

بَلْ لاٰ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ و هذا عاقبه المجتمع المادى المرتكس فى أوحال الماده و عباده الثروه و إكرام الغنى لغناه..فهل هذه العاقبه تنسجم مع العاطفه الإنسانيه،و هل يقبلها وجدان بشر أنّى كان؟كلاّ..إنّ بنى آدم مفطورون على العطف على الضعيف،و بالذات الطفل الذى يفيض براءه و طيبا،و إذا كان الطفل يتيما لا يملك قوّه ذاتيه يدفع عن نفسه الأخطار و الأطماع،و لا حاميا يقيه الشرور،و لم يحظ بالقدر الكافى من العطف الأبوى-إنّه يذيب القلب حنانا-فما أقسى قلب من يهينه و يجافيه؟ كلّ ذى وجدان يحكم بأنّ المجتمع الذى يقسوا على اليتيم مجتمع ممسوخ منكوس،و أنّ قيمه باطله و نظامه فاسد.

و ذلك مقياس سليم و فطرى يبيّنه القرآن فى المعرفه،حيث أنّه يدلّنا على عاقبه النظام لمعرفه صلاحه أو فساده، فإنّنا لا نستطيع أن نحكم على نظام اجتماعىّ بادّعاءاته أو شعاراته،و لكن نحكم عليه بعاقبته،فإن وافقت وجداننا الإنسانى و انتهى إلى حمايه الضعيف و إكرام اليتيم و الإنفاق على المحتاج و ما أشبه نعرف صلاحه.

و هكذا بالنسبه إلى كلّ شىء لا تدرس بدايته بل راقب نهايته و عاقبته،حتى تعرف طبيعته.

(١٨)فى المجتمع الجاهلى حيث يصبح المال قيمه يعيش المعدمون الذين أسكنتهم الفاقه فى عناء كبير،إذ لا يشجّع الناس بعضهم للاعتناء بهم.

ص:٩٧

وَ لاٰ تَحَاضُّونَ عَلىٰ طَعٰامِ الْمِسْكِينِ من هو المسكين؟إنّه بشر مثلی و مثلک أقعدته عوامل قاهره عن اكتساب رزقه، ألا ترحمه؟تصوّر لو كنت-لا سمح اللّه-مثله كيف كنت تتوقّع من الناس؟ أليس من الممكن أن تصبح أنت أو واحدا ممّن تحبهم مسكينا،فهل ترضى أن يطوى ليله جائعا،و يعيش الناس من حوله التخمه؟و هل يرضى بذلك إنسان ذو ضمير؟ إنّ أقلّ ما نقدّمه للمسكين الطعام..إنّه حقّ البهائم و النباتات فكيف بمن هو نظير لنا فی الخلق؟! و قد ذكر الرب أنّهم لا يأمرون بعضهم بإطعام المسكين لبيان انتكاس المجتمع عن قيم الإنسانيه،فربما منع الواحد بخله عن إطعام المسكين و لكنّه مستعد لأمر غيره بذلك،بل نرى البخيل عاده يتمنّى لو أنّ غيره تكفّل عنه بإطعام المحتاج،أمّا إذا تردّى المجتمع إلى عدم حضّ بعضهم على إطعام المسكين فقد هبط إلى أسفل السافلين.و هذه هی نهايه اعتبار الغنى كرامه إلهيه و الفقر ذلّا و هوانا.

(١٩)و الأسوء من ذلک أكلهم التراث،و التهام أموال اليتامى جميعا،حتى إذا كبروا لم يجدوا أمامهم إلّا الحرمان و الحسره.

وَ تَأْكُلُونَ التُّرٰاثَ أَكْلاً لَمًّا قالوا:«لمّا»يعنی جمعا،و منه قولهم:لمّ اللّه شعثه أی جمع ما تفرّق من أموره،و لعل هذه الكلمه تشير إلى الإسراع فی أكل التراث لئلاّ يكبر أهله فيطالبون به،كما قال سبحانه: وَ لاٰ تَأْكُلُوهٰا إِسْرٰافاً وَ بِدٰاراً أَنْ يَكْبَرُوا (١).

ص:٩٨

١- ١) النساء/۶.

(۲۰)و هكـذا ينحدر الذى يزعم أنّ الثروه هى أقصـى كرامه عند اللّه إلى دركـ عباده المال،و الانسـياق مع مصادره و من يملكه من المترفين.

وَ تُحِبُّونَ الْمٰالَ حُبًّا جَمًّا أى حبّا كثيرا،و منه:جمّ الماء فى الحوض إذا اجتمع و كثر،و أنشدوا:

إن تغفر اللهمّ تغفر جمّا و أىّ عبد لك ما ألمّا

هـذه هى ملامـح المجتمع الـذى يقـدّس المال.إنّه لا يكرم اليتيم الـذى يسـتدّر عطف كلّ بشـر،و لا يأبه بمسـكين،و يسترسل مع المال.

(۲۱)إذا تجب مواجهه هـذه القيمه الشـاذّه التى تحسب الكرامه فى الثروه، و الهوان فى الفقر،و لكن أنّى يسـتطيع الإنسان التسامى من أرض خلق منها و عجنت طينته بحبّها و حبّ شـهواتها و زينتها!بلى.إذا آمن باللّه، و تطلّع إلى لقائه،و عرف أنّ الحياه حقّا هى حياه الاخره..آنئذ تعزف نفسه عن الدنيا، و يقدّم من جهده و ماله لبناء مقرّه النهائى فى الاخره.

من أجل هذا يصوّر لنا السـياق مدى الحسـره التى تشـمل الناس الذين لم يعمروا حياتهم الاخره،و أذهبوا طيباتهم فى الدنيا تلك اللحظات الزائله التى سرعان ما تبخّرت و لم تخلّف لهم سوى الندم و الحسرات فى يوم الزلزال الكبير.

كَلاّٰ ليسـت الـدنيا نهـايه المطـاف،و ليسـت الـثروه قيمـه عنـد اللّه،و ليست تصـوّراتهم عن أنفسـهم صـحيحه..و مـتى يتجلّى لهم ذلك؟إنّما عند قيام الساعه.

إِذٰا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا فـإذا بالأبنيه التى هى نتيجه تراكمات جهـد الملايين تنهار بفعل الزلزال الرهيب الـذى يـدكّ الأرض فيسوّيها و يدعها قاعا صفصفا.

قـالوا:أى زلزلت الأرض فكسر بعضـها بعضـا و تكسّرت الأشياء على ظهرهـا، و قـال بعضـهم:بـل دكّت جبالها و أنشازها حتى استوت.

و أنّى كان فإنّ الأرض تنبسط كالأديم لا ترى فيها عوجا و لا أمتا،و لا حفره و لا ارتفاعا.فهل تبقى يومئـذ قيمه لعقار أو ركاز أو ذهب و فضّه؟! (۲۲)هنالك يتجلّى الربّ بعظمته للعالمين،فلا أحد يقدر على الهرب من سطوته أو الشك فى قهره و قدرته،حيث ترى الملك صافّين ينتظرون أوامره.

وَ جٰاءَ رَبُّكَ وَ الْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا أىّ آيه عظيمه من آيـات اللّه تتجلّى تلك التى عبّر القرآن عنها:«و جاء ربك»؟لست أدرى،و لكنّه يوم عظيم لا يمكننا و نحن نعيش حدود الدنيا الضيقه أن نتحسّس آفاق عظمته.

(۲۳)إلاّ أنّ من معـانى شـهود اللّه حضـور تلـك القيم الـتى أمر بهـا،و تلاشـى قيم الزيف و الضـلال الـتى امتحن النـاس بهـا فى الدنيا..لذلك فأوّل ما يؤتى بجهنّم سجن المجرمين الرهيب.

وَ جِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ أين جهنم اليوم،و كيف يؤتى بها ذلك اليوم؟هل هى كره ملتهبه عظيمه

کالشمس و أعظم منها،حتی أنّ الشمس حین تقع فیها تصیح من شدّه حرّها،أم ماذا؟لا نعرف،و لکن

جاء فی روایه مأثوره عن أبی جعفر (الباقر)-علیه السلام-أنه قال: «لمّا نزلت هذه الایه:« وَ جِیءَ یَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ »سئل عن ذلک رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و اله-،فقال:بذلک أخبرنی الروح الأمین أنّ اللّه لا إله غیره إذا برز الخلائق و جمع الأوّلین و الآخرین أتی بجهنّم یقاد بألف زمام یقودها مائه ألف ملک من الغلاظ الشداد،لها هدّه و غضب و زفیر و شهیق،و إنّها لتزفر الزفره فلو لا أنّ اللّه أخّرهم للحساب لأهلکت الجمیع،ثمّ یخرج منها عنق فیحیط بالخلائق البرّ منهم و الفاجر فما خلق اللّه عبدا من عباد اللّه ملکا و لا نبیّا إلاّ ینادی:ربّ نفسی نفسی،و أنت یا نبیّ اللّه تنادی:أمّتی أمتی، ثمّ یوضع علیها الصراط أدقّ من حدّ السیف،علیها ثلاث قناطر فأمّا واحده فعلیها الأمانه و الرّحم،و ثانیها فعلیها الصلاه،و أمّا الثالثه فعلیها ربّ العالمین لا إله غیره،فیکلّفون الممرّ علیهم فیحبسهم الرحم و الأمانه فإن نجوا منها حبستهم الصلاه،فإن نجوا منها کان المنتهی إلی ربّ العالمین،و هو قوله: إِنَّ رَبَّکَ لَبِالْمِرْصٰادِ ،و الناس علی الصراط فمتعلّق بید،و تزول قدم،و یستمسک بقدم، و الملائکه حولها ینادون:یا حلیم أعف و اصفح وعد بفضلک و سلّم سلّم،و الناس یتهافتون فی النار کالفراش فیها،فإذا نجا ناج برحمه اللّه مرّ بها فقال:الحمد للّه و بنعمته تتمّ الصالحات و تزکوا الحسنات،و الحمد للّه الذی نجّانی منک بعد إیاس بمنّه و فضله إنّ ربّنا لغفور شکور» (1)و

فی حدیث أخر إضافه رهیبه حیث یقول الرسول-صلّی اللّه علیه و اله-:

«جاء جبرئیل فأقرأنی«وجیء یومئذ بجهنّم»فقلت:یجاء بها؟قال:یجیء بها سبعون ألف یقودونها بسبعین ألف زمام،فتشرد شرده لو ترکت لأحرقت

۱- ۱) بحار الأنوار ۸۶۰/ ص ۱۹۳.

أهل الجمع!!» (۱) يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسٰانُ وَ أَنّٰى لَهُ الذِّكْرىٰ لا تنفعه الذكرى بعد فوات أوانها.

(۲۴)ماذا يتذكّر؟يتذكّر طيّباته التى بدّدها فيما زالت،يتذكر شبابه الذى أبلاه فى شرّه السهو و التباعد عن الرب،يتذكر أمواله التى جمعها من غير حلّ، و أنفقها فى غير رضا الرب،يتذكّر أوقاته التى أفناها فى اللهو و الغفله و الإشتغال بالتوافه،و كل ساعه منها كان يستطيع أن يحصل بها على ملك كبير فى الاخره! يَقُولُ يٰا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيٰاتِي إنّها تلك الحياه حقّ الحياه،الحياه الخالده التى لا تزول.

(۲۵)هنالك العذاب الإلهى الذى يتجلّى به الرب،و الوثاق الإلهى الذى يتجلّى به غضبه.

فَيَوْمَئِذٍ لاٰ يُعَذِّبُ عَذٰابَهُ أَحَدٌ لا أحد يعذّب كاللّه،لأنّه الأعظم الأكبر الذى لا يقاس أىّ شىء منه بأىّ شىء من خلقه.و إنّ الإنسان ليهرب من عذاب الدنيا و لا يعرف أنّ عذاب اللّه فى الاخره لا يقاس ببعض الأذى فى الدنيا.

جاء فى دعاء أمير المؤمنين على-عليه السلام-: «و أنت تعلم ضعفى عن قليل من بلاء الدنيا و عقوباتها و ما يجرى فيها من المكاره على أهلها،على أنّ ذلك

۱- ۱) تفسير نور الثقلين/ج ۵ ص ۵۷۶.

بلاء و مکروه قلیل مکثه،یسیر بقاؤه،قصیر مدّته،فکیف احتمالی لبلاء الاخره و جلیل وقوع المکاره فیها؟!و هو بلاء تطول مدّته،و یدوم مقامه،و لا یخفّف عن أهله،لأنّه لا یکون إلاّ عن غضبک و انتقامک و سخطک،و هذا ما لا تقوم له السموات و الأرض،یا سیدی فکیف بی و أنا عبدک الضعیف الذلیل الحقیر المسکین المستکین؟!» (۱) (۲۶)کما لا شیء یشبه سجن اللّه و وثاقه.

وَ لاٰ یُوثِقُ وَثٰاقَهُ أَحَدٌ أی لا یشدّ أحد وثاقا بذات الشده التی یشدّ اللّه وثاق الکفّار.

(۲۷)أ هذا خیر أم مصیر المؤمنین الذین قدّموا لحیاتهم فعمروا آخرتهم،فاطمأنت نفوسهم بسکینه الإیمان،و تساموا فوق مؤثّرات الماده،فربما ملکوها و لکنّها لم تمتلکهم أبدا،فعاشوا أحرارا،و ماتوا سعداء،إذا استقبلهم ملک الموت فبترحاب،و نودوا فی أوّل ساعه من حیاتهم الأبدیه بالبشری.

یٰا أَیَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّهُ یعیش المؤمن بین الخوف و الرجاء،فإن دعاه إلی الخوف إحساسه بالتفریط فی جنب اللّه،فقد دعاه إلی الرجاء یقینه بعظیم عفو اللّه و واسع رحمته.و کل خوفه من العاقبه السوئی،و من ألاّ یتقبّل اللّه حسناته،و لا یتجاوز عن سیئاته،و من أن یتبیّن فی ساعه الرحیل أنّ حساباته کانت خاطئه،و أنّه لیس کما کان یرجو من أصحاب الجنه.أو لم تسمع

مناجاه الإمام السجّاد علی بن الحسین-علیه السلام-:

«لیت شعری أ للشقاء ولدتنی أمّی أم للعناء ربّتنی،فلیتها لم تلدنی و لم

۱- ۱) مفاتیح الجنان/دعاء کمیل.

تربّنی،و لیتنی علمت أمن أهل السعاده جعلتنی و بقربک و جوارک خصصتنی فتقر بذلک عینی و تطمئنّ له نفسی» (۱)

(۲۸)فإذا جاءه النداء الإلهی عند وفاته: یا أَیَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّهُ استراح، و شملته البشری،و عمّه الفرح..هنالک یستطیب الموت لأنّه عوده العبد الکریم إلی الربّ الرحیم الذی یستضیفه بالقول:

ارْجِعِی إِلیٰ رَبِّکِ رٰاضِیَهً مَرْضِیَّهً لقد اطمأنت أنفسهم إلی بارئها،و توکّلوا علی اللّه،و سلّموا لقدره و قضائه،و لم یبطرهم الغنی،و ما اعتبروه صکّ الغفران،و لم یهزمهم الفقر،و ما اعتبروه لعنه إلهیه..لذلک فإنّ اللّه یرضیهم بنعیم الأبد،و یتبؤهم بأنّهم مرضیّون،و ما أحلی ساعه اللقاء بحبیبهم و أنیسهم،و ما أروع کلمات الودّ المتبادله،

جاء فی الحدیث القدسی عن اللّه عزّ و جلّ أنّه قال فی حقّ الزاهدین و أهل الخیر و أهل الاخره:«فو عزّتی و جلالی لأحیینّهم حیاه طیّبه إذا فارقت أرواحهم أجسادهم،لا أسلط علیهم ملک الموت،و لا یلی قبض روحهم غیری،و لأفتحنّ لروحهم أبواب السماء کلّها،و لأرفعنّ الحجب کلّها دونی،و لامرنّ الجنان فلتزیّننّ،و الحور فلتزفّنّ، و الملائکه فلتصلّینّ،و الأشجار فلتثمرنّ،و ثمار الجنه فلتدلّینّ،و لامرنّ ریحا من الریاح التی تحت العرش فلتحملنّ جبالا من الکافور و المسک الأذفر فلتصیرنّ وقودا من غیر النار فلتدخلنّ به و لا یکون بینی و بین روحه ستر فأقول له عند قبض روحه:مرحبا و أهلا بقدومک علیّ،اصعد بالکرامه و البشری،و الرّحمه و الرضوان،و جنّات لهم فیها نعیم مقیم،خالدین فیها أبدا،إنّ اللّه عنده أجر عظیم،فلو رأیت الملائکه کیف یأخذ بها واحد و یعطیها الاخر!» (۲)

ص:۱۰۴

۱- ۱) مفاتیح الجنان/مناجاه الخائفین.

۲- ۲) کلمه اللّه/المؤلف السید حسن الشیرازی ص ۳۶۹.

و

جاء فی نفس الحدیث: «و إذا کان العبد فی حاله الموت یقوم علی رأسه ملائکه بید کلّ ملک کأس من ماء الکوثر و کأس من الخمر،یسقون روحه حتّی تذهب سکرته و مرارته، و یبشّرونه بالبشاره العظمی،و یقولون له:طبت و طاب مثواک،إنّک تقدم علی العزیز الحکیم،الحبیب القریب،فتطیر الروح من أیدی الملائکه فتصعد إلی اللّه تعالی فی أسرع(من)طرفه عین،و لا یبقی حجاب و لا ستر بینها و بین اللّه تعالی،و اللّه عزّ و جلّ إلیها مشتاق،و تجلس علی عین عند العرش،ثمّ یقال لها:کیف ترکت الدنیا؟فتقول:إلهی و عزّتک و جلالک لا علم لی بالدنیا،أنا منذ خلقتنی خائفه منک،فیقول اللّه تعالی:صدقت یا عبدی، کنت بجسدک فی الدنیا و روحک معی،فأنت بعینی،سرّک و علانیتک،سل أعطک،و تمنّ علیّ فأکرمک،هذه جنتی فتجنّح فیها،و هذا جواری فاسکنه، فتقول الروح:إلهی عرّفتنی نفسک فاستغنیت بها عن جمیع خلقک،و عزّتک و جلالک لو کان رضاک فی أن أقطع إربا إربا،و أقتل سبعین قتله بأشدّ ما یقتل به الناس لکان رضاک أحبّ إلیّ،إلهی کیف أعجب بنفسی و أنا ذلیل إن لم تکرمنی،و أنا مغلوب إن لم تنصرنی،و أنا ضعیف إن لم تقوّنی،و أنا میّت إن لم تحینی بذکرک،و لو لا سترک لافتضحت أوّل مرّه عصیتک،إلهی کیف لا أرضیک و قد أکملت عقلی حتی عرفتک،و عرفت الحقّ من الباطل،و الأمر من النهی، و العلم من الجهل،و النور من الظلمه،فقال اللّه عزّ و جلّ:و عزّتی و جلالی لا أحجب بینی و بینک فی وقت من الأوقات،کذلک أفعل بأحبّائی» (1).

(29)ثم یدخل اللّه روح المؤمن بعد قبضها برضاه فی حزبه المفلحین فی عباده الصالحین حیث المؤانسه و الصفاء.

1- 1) المصدر375/.

فَادْخُلِی فِی عِبٰادِی أی انتظمی فی سلکهم.

(۳۰)و تستقبله دار ضیافه اللّه و منزل کرامته الجنه التی من دخلها لم یخرج منها أبدا.

وَ ادْخُلِی جَنَّتِی جعلنا اللّه من أهل جنته إنّه سمیع الدعاء.

ص:۱۰۶

سوره البلد

اشاره

ص:۱۰۷

بسم اللّه الرحمن الرحیم

فضل السوره

عن أبی عبد اللّه الصادق-علیه السلام-: من كان قراءته فی فریضته «لا أقسم بهذا البلد» كان فی الدنیا معروفا أنّه من الصالحین،و كان فی الآخره معروفا أن له من اللّه مكانا،و كان یوم القیامه من رفقاء النبیین و الشهداء و الصالحین تفسیر سوره الثقلین/ج /۵ص ۵۷۸.

ص:۱۰۹

الإطار العام

حينما يولد ابن أدم تتساوى فى كيانه فرص الخير و الشر،و لا يزال يختار ثم يستفيد من فرص الخير أو الشر الواحده بعد الأخرى حتى تميل كفته نحو ما اختار.فرص الخير هى العناصر النوريه التى لو رجحت حملته الى الجنه،بينما فرص الشر هى العناصر الناريه التى لو تكاثفت هوت به إلى جهنم و ساءت مصيرا.

و لا أعرف شيئا يجرى فيه تحول ذاتى كالإنسان. إنه يتمحض بالتالى للجنه أو للنار،هنالك لا يعود مختارا،و لا يعود يملك حريه اختيار واحد من النجدين،بل يبقى كما اختار أولا:اما الى جنه النور خالدا فيها،أو الى جهنم النار خالدا فيها،أو لبعض الوقت.

كيف يتم اختيار الشر؟انه ليس بحاجه الى العزم و الوعى،بل يكفى الغفله و الاسترسال سبيلا يؤدى به الى النار،كما لو تسلق الإنسان الجبل لا يحتاج سقوطه فى الوادى الى إراده و حكمه،بل ليدع نفسه لحظه فسوف نراه فى الوادى مهشّما بعد لحظات،بينما الذى يختار الجنه عليه ان يتسلح بوعى الذات و عزم الإراده،و لعل

هذه البصيره هی محور سوره البلد.

ذلک أن القسم الاول من السوره يبصرنّا بأنفسنا،و اننا فی کبد(الأرض و المکان)و علينا وعی ذلک حتی نتحدی الصعاب بعزم الاراده،و نعرف أن اللّه قادر علينا فنراقبه،و خبير بنا فلا نخدع أنفسنا؛خصوصا عند الإنفاق،فنزعم:اننا أهلکنا مالا کثيرا.

أما القسم الثانی فيذکرنا بضروره اقتحام العقبه،و تجاوز المنعطف الخطير الذی يجد الإنسان نفسه بين أمرين:بين السقوط فی أشراک الهوی أو التحليق فی سماء الحق.

و بعد أن يبين مثلين لاقتحام العقبه هما:فک رقبه،و الإطعام فی يوم ذی مسغبه،يهدی الی قمه التحول الايجابی عند البعض المتمثله فی الإيمان و التواصی بالصبر و المرحمه.

کما يشير فی السياق فی خاتمه السوره الی التحول السلبی عند البعض الاخر متمثّلا فی الانحياز الی المشأمه حيث النار المؤصده.

[سوره البلد (٩٠): الآيات ١ الى ٢٠]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . لاٰ أُقْسِمُ بِهٰذَا اَلْبَلَدِ (١) وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهٰذَا اَلْبَلَدِ (٢) وَ وٰالِدٍ وَ مٰا وَلَدَ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا اَلْإِنْسٰانَ فِي كَبَدٍ (۴) أَ يَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (۵) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مٰالاً لُبَداً (۶) أَ يَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧) أَ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَ لِسٰاناً وَ شَفَتَيْنِ (٩) وَ هَدَيْنٰاهُ اَلنَّجْدَيْنِ (١٠) فَلاَ اقْتَحَمَ اَلْعَقَبَةَ (١١) وَ مٰا أَدْرٰاكَ مَا اَلْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعٰامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١۴) يَتِيماً ذٰا مَقْرَبَةٍ (١۵) أَوْ مِسْكِيناً ذٰا مَتْرَبَةٍ (١۶) ثُمَّ كٰانَ مِنَ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ تَوٰاصَوْا بِالصَّبْرِ وَ تَوٰاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُولٰئِكَ أَصْحٰابُ اَلْمَيْمَنَةِ (١٨) وَ اَلَّذِينَ كَفَرُوا بِآيٰاتِنٰا هُمْ أَصْحٰابُ اَلْمَشْأَمَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ نٰارٌ مُؤْصَدَةٌ (٢٠)

اللغه

۴(كبد:)أصل الكبد من قولك:كبد الرجل كبدا فهو كبد إذا وجعت كبده و انتفخت،فاتسع فيه حتى استعمل فى كل تعب و مشقه،و منه اشتقت المكابده،و أصل كبده إذا أصاب كبده،و قيل:الكبد:شده الأمر،و منه تكبّد اللبن:

إذا اغلظ و اشتد.

۶(لبدا)الكثير المتراكم،كما اللبده و هى اللحاف الثخين،و منه اشتقت لبّده الأسد.

ص:١١٣

۱۰(النجـدين:)قيل النجـد كالنجف،و سـميت نجـد نجدا لأنها فى رفعه من الأرض،و سـميت النجف نجفا لذلك، و قيل:نجد:هو الطريق الواضح على مرتفع من الأرض يبصره الرائى.

و ما أدراک ما العقبه

بینات من الآیات:

(۱)لکی نعی مدی خطوره قضیه نقیسها بأخری عبر القسم،و حینما یأتی القسم فی کلام اللّه،یضاف الی ذلک بعدان اخران:أولا:یعکس عظمه ما یقسم به بذات النسبه التی یعکس أهمیه ما یقسم علیه،ثانیا:یکشف عن علاقه خفیه أو ظاهره بین الأمرین،و فی فاتحه سوره البلد نجد التلویح بالقسم بالبلد و بالوالد و الولد،لبیان المشاق التی یواجهها الإنسان،فما هی العلاقه بینهما؟انها تتمثل فی أن أعظم ما یکابده البشر یتصل بالأرض و الأولاد.

لاََ أُقْسِمُ بِهََذَا الْبَلَدِ قلنا:ان القسم یهدف إلقاء ظلال من العظمه علی الموضوع،و سوف یحقق هذا الهدف نفیه أو إثباته،و قد یکون نفی القسم یوحی بأهمیه ما یحلف به مما یبالغ فی العظمه،و لذلک قال المفسرون:ان لا هنا زائده،و بعضهم قال:انها تشبه کلمه

ص:۱۱۵

كلا،تنفى أفكار الجاهليين.

و البلد-حسب أقوال المفسرين-:مكه،و شرف مكه واضح.

(٢)و لكن مكه ليست بأشرف من رسول اللّه،بل شرف كلّ أرض بمن يسكنها من عباد اللّه الصالحين،و لذلك

جاء فى الحديث: «المؤمن أعظم حرمه من الكعبه» (١)و يفسر ذلك

حديث أخر: أن رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و اله-نظر الى الكعبه فقال:«مرحبا بالبيت ما أعظمك!و أعظم حرمتك على اللّه!و اللّه للمؤمن أعظم حرمه منك؛لأن اللّه حرّم منك واحده،و من المؤمن ثلاث:ماله، و دمه،و أن يظنّ به ظنّ السوء» ٢أو ليست الكعبه أول بيت وضع للناس، فالهدف إذا هو الإنسان الذى سخرت له الأرض و ما فيها،و أى إنسان أشرف من محمد بن عبد اللّه صلّى اللّه عليه و اله.

وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهٰذَا الْبَلَدِ أى أنت تسكن هذا البلد و تحل فيه،و قال بعضهم معنى الايه:لأقسم بالبلد الذى يستحل النبى فيه.و

قد روى ذلك مأثورا عن الامام الصادق عليه السلام حيث قال: «و كان أهل الجاهليه يعظمون الحرم،و لا يقسمون به،و(لا)يستحلون حرمه اللّه فيه،و لا يعرضون لمن كان فيه،و لا يخرجون منه دابه،فقال اللّه تبارك و تعالى لاٰ أُقْسِمُ بِهٰذَا الْبَلَدِ* وَ أَنْتَ حِلٌّ بِهٰذَا الْبَلَدِ.* وَ وٰالِدٍ وَ مٰا وَلَدَ قال:

يعظمون البلد أن يحلفوا به،و يستحلون فيه حرمه رسول اللّه (٢).

و على هذا يكون شرف المكان بتوفر حاله من الحريه و الأمن لمن يسكنه.

ص:١١۶

١- ١،٢) موسوعه بحار الأنوار/ج ۶٧ ص ٧١.

٢- ٣) تفسير البصائر ج ۵۵ ص ۵٣٣ نقلا عن الكافى.

(٣)ثم يقسم القرآن بوالد و ما ولد،فيقول:

وَ وٰالِدٍ وَ مٰا وَلَدَ فمن هما؟يبدو ان كل والد يكابد حتى ينمو ولده و يشب،كما يكابد كل ولد حتى يكتمل و يصبح والدا،و القسم على هذا مطلق يشمل كل إنسان.

و قال بعضهم بل المراد أدم-عليه السلام-و ذريته،أو إبراهيم-عليه السلام-و نجله إسماعيل،أو كل ذريته الصالحين.

(۴)أيهما أيسر عليك إذا حملت ما يزن خمسه كيلوات و أنت تزعم انه عشره،أو كنت تزعم انه ثلاثه؟!كذلك حينما تواجه الحياه و أنت ترى أنها كما التسلق على جبل أشمّ،فانك تتغلب بسهوله،بعكس ما لو زعمت انها مجرد رحله سياحيه.

و القرآن الكريم يريدنا أن نعرف حقيقه الحياه،و نسموا الى مستواها،لأنه أفضل لديننا و دنيانا من ان نتهرب منها بحثا عن الراحه،القرآن يريدك قويّ الظهر حتى لا يثقل عليك أيّ حمل،و لا يريدك تبحث دائما عن الحمل الخفيف و قد لا تجده..

أو لم تقرأ قول اللّه سبحانه: يٰا أَيُّهَا الْإِنْسٰانُ إِنَّكَ كٰادِحٌ إِلىٰ رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاٰقِيهِ .

بلى.و كل حياه الإنسان كدح،إلاّ أنه قد يغفل عنه فيهرب الى ما هو أشد كدحا،أو يستسهله و يتغلب على صعابه حتى لا يعود يعترف بأيه صعوبه.

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسٰانَ فِي كَبَدٍ و انى لك الفرار من أمر خلقت فيه و هو داخل كيانك بل هو أصل وجودك شئت أم أبيت؟! قالوا:الكبد الشده و النّصب.

الوجود ذاته سلسله انتصارات ضد العدم،أو ليس الوجود نورا يجعل الشيء واقعا!تصور أن النور ذرأت متلاحقه متصله،فاذا توقفت فليس ثمه سوى ظلام.

و الحياه بدورها سلسله صراعات ضد الموت؛إنها هي الاخرى نور متجدد،و هي نتيجه ملايين من العوامل المتزامنه لو فقد بعضها انعدمت.

كما أن حياه كل واحد منا صراع مع الطبيعه،أو تعرف كم مليار جرثومه هجمت عليك خلال رحله حياتك بهدف القضاء عليك،و كم مره تعرضت أو تتعرض لخطر الموت فنجوت منها بإذن اللّه،و حتى على مستوى الظاهر تجد الإنسان في كبد،يصارع من أجل البقاء في ظلمات الرحم،و يواجه أكبر التحديات عند الولاده،حتى اعتبروا ساعتها كساعتي الموت و النشور أشد مما يمر به البشر،و في الطفوله المبكره يعاني من الجوع و العطش و الألم و يتحدى الأخطار،أو ليس تشكل نسبه الوفيات عند الأطفال الأعلى في البلاد الناميه و نسبه عاليه في غيرها؟! راقب طفلا يتعلم المشي و انظر كم يقدم و كم يسقط،و راقبه عند تعلم اللغه كم يعاني من صعوبه،و راقبه عند ما يسعى لاقناع والديه برغبه ملحه كم يبكي و كم يجهد نفسه.كل ذلك جانب من معاناه الطفل.أما معاناه الكبار فإنها لا تنتهي لأن الإنسان خلق شاعرا طموحا،و الشعور يفرز الألم،و الطموح سبيل المعاناه،و هذا هو الذي يميزه عن سائر الأحياء،و من هنا

روى عن الامام الحسن-عليه السلام-انه قال: «لا أعلم خليقه يكابد من الأمر ما يكابد الإنسان،يكابد مضايق الدنيا و شدائد الاخره» (1).

(5)و في هذه المكابده يستوي المؤمن و الكافر،و الغني و الفقير،و الكبير، و الصغير،و كل من سمي إنسان.قد لا تحس أنت بمعاناه رفيقك لأنك لست في

1- 1) المصدر ص 535.

قلبه،فتزعم أن غيرك أفضل منك،و لكن أ و ليسوا هم أيضا بشرا أمثالك.بلى.إذا تعالوا نرضى بواقعنا،و نتحمل المسؤوليه،و لا يقول الواحد:الآن انا صغير،لو كبرت لارتحت مما أعانيه؛لأن الكبار أفضل،أو يقول:انا الآن اعزب لو تزوجت، أو إن سبب متاعبى فقرى فلو أغنانى اللّه بلغت الراحه،أو إن سبب مشاكلى أن أولادى صغار فلو كبروا تخلصت من همومهم،و لكنه ما إن ينتقل من حال إلى حال،أو من مرحله لأخرى حتى تهجم عليه مشاكل جديده،كل مشكله أكبر من أختها.لا تعيش إذا فى الأمنيات الحلوه،فى أحلام اليقظه،لا تقل لا يعاقبنى اللّه، و لماذا؟هل أنت إلا بشر.

أَ يَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ قالوا معناه:أ يظن ابن آدم أن لن يعاقبه اللّه عز و جل؟انه ينظر الى ما أوتى من نعم اللّه فيصيبه الغرور و لا يفكر ان ما لا يملكه أكثر مما يملكه،يقول:لا أحد يقدر علىّ،و هو يعيش فى وسط المشاكل و كبد التحديات.

(۶)أو تدرى كيف يكبر الإنسان؟حينما يحمل قضيه كبيره،و نسبه أدائه لقضيته يكون تساميه،و هكذا حمل اللّه عباده الصالحين المزيد من المسؤوليات، و ابتلاهم بأشد البلاء،حتى

جاء فى الحديث المعروف: «البلاء للأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل »بيد أن بعض الناس كلما حمل رساله أو قضيه أو مسئوليه صغرت نفسه فى عينيه،و قال:كيف أؤدى هذا العمل؟و حاول الفرار منها.حقا عند هذه النقطه يفترق العظماء عن غيرهم،انهم لا يجدون أحدا أحقّ منهم بعمل الخير أو تحمل المسؤوليه،بل تجد بعضهم يبحث عنها بحثا حثيثا.

و لعل الايه هذه تعالج هذه الحاله الشاذه فى نفس الإنسان،حيث تراه إذا أعطى قليلا كبر فى عينيه،و قال:إنه مال كثير،و لا يقول انه قدمه لحياته،بل يراه

مغرما و يقول:اننى أهلكته.

يَقُولُ أَهْلَكْتُ مٰالاً لُبَداً أى مالا كثيرا مجتمعا و لعله يكون كاذبا فى ذلك،فلم ينفق إلاّ قليلا و عظم عمله فى عينه،بخلاف المؤمن الذى لا يخرج أبدا عن حد التقصير فى جنب اللّه، و لذلك فهو يتطلع أبدا الى عمل أكبر و أفضل.

(٧)ثم إنه يزعم:أنه متروك لشأنه كالبهيمه السائحه،و أنه لا أحد يراقبه.

كلا..إن اللّه يراقبه و هو أقرب إليه من حبل الوريد.

أَ يَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٨)إن الذين يتهربون من مسئولياتهم يفرغون حياتهم من محتواها،من لبها،من هدفها.فلما ذا إذا جعل إنسانا،و أوتى الأحاسيس المختلفه:عينا يبصر بها فيعرف الحق و الباطل،و لسانا ينطق به،و شفتين ليطبقها على لسانه ان هم بكلام خاطئ.

أَ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ للبصر و البصيره معا.

(٩)و جعل اللّه للإنسان اللسان الذى ميّزه عن سائر الأحياء بالنطق.

وَ لِسٰاناً وَ شَفَتَيْنِ (١٠)و أعظم النعم أنه منحه الحريه فهداه الى ما هو طريق الحق و ما هو طريق الباطل.

وَ هَدَيْنٰاهُ النَّجْدَيْنِ

ص:١٢٠

و أصل النجد الأرض المرتفعه،و

روى عن النبى-صلّى اللّه عليه و اله-أنه قال: «أيها الناس!هما نجدان:نجد الخير و نجد الشر» (1)و لعل تسميه الطريقين بالنجدين بسبب أنهما طريقان،واضحان،متميزان،ظاهره معالمهما،و معروف روادهما.

(11)كل ما فى الإنسان يعكس المسؤوليه التى حمّل إياها،فقد ألهم الفجور و التقوى،و أودع فى داخله نوازع الشر و حوافز الخير،و سخرت له الأشياء لكى يستخدمها فى واحد من السبيلين،و السؤال:كيف ينبغى أن يتصرف حتى يحقق المسؤوليه التى هى الهدف من خلقه؟عليه أن يقتحم،و ما لم يفعل ذلك يبقى وراء جدر التخلف.

فَلاَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ هل تسلقت الجبال،و هل صادفك طريق وعر ضيّق بين الصخور المتراكمه، و من تحتك الوادى العميق،الحاله النفسيه التى يعيشها المتسلق الشجاع هى الحاله المطلوبه فى تحدى الصعاب فى الحياه و تحمل المسؤوليات،قمه فى الوعى و مضاء فى العزم و شجاعه فى الاقدام.ايه وسوسه أو تردد أو ارتجاج للقدم،أو ايه غفله و تساهل تكفى سببا للسقوط فى الهاويه السحيقه! و قالوا عن الاقتحام:الدخول بسرعه و ضغط و شده،و العقبه:الطريق الصعب الوعر الذى فيه صعود.

(13-12)و أى شىء العقبه؟انها تجاوز شح النفس،و مصارعه هواها بالكرم و الإيثار.

1- 1) تفسير نور الثقلين/ج 5 ص 581.

وَ مٰا أَدْرٰاکَ مَا الْعَقَبَهُ فَکُّ رَقَبَهٍ قالوا عن فک الرقبه:إنه أشمل من عتق رقبه،لأن العتق هو تحریر الرق بصوره کامله،بینما فک رقبه یکون ذلک بالمشارکه مع الآخرین،و أوردوا فی ذلک

حدیثا مأثورا عن رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و اله-یقول الحدیث المرفوع عن البرّاء بن عازب: جاء اعرابی للنبی،فقال:یا رسول اللّه!علمنی عملا یدخلنی الجنه، فقال:«ان کنت أقصرت الخطبه لقد أعرضت المسأله.أعتق النسمه و فک الرقبه»فقال:أ و لیسا واحدا،قال:«لا.عتق الرقبه أن تنفرد بعتقها،و فک الرقبه ان تعین فی ثمنها،و الفیء علی ذی الرحم الظالم،فان لم یکن ذلک فأطعم الجائع،واسق الضمآن،و أمر بالمعروف،و انه عن المنکر،فان لم تطق ذلک فکف لسانک إلاّ من خیر» (1).

(۱۴) أَوْ إِطْعٰامٌ فِی یَوْمٍ ذِی مَسْغَبَهٍ ان الإطعام جید و عند المجاعه حیث یحضر النفوس الشح،و ینتشر الاستئثار، و یصبح الناس فی هلع شدید،یکون الإطعام أعظم ثوابا،لأنه یعتبر تجاوزا لحاله الشح،و اقتحاما لعقبه حب الذات.

(۱۵)و الإطعام قد یکون بهدف الحصول علی مکسب مادیّ أو ریاء و سمعه، و یتبین ذلک عاده عند انتخاب موضعه،فمن الناس من لا یعطی الفقیر درهما و لکنه ینفق علی الموائد الباذخه ألوف الدنانیر.من هنا حدد اللّه کل الإنفاق و قال:

یَتِیماً ذٰا مَقْرَبَهٍ فأولی الناس بالاهتمام بالأیتام أقرباؤهم،و الیتیم،حلقه ضعیفه فی المجتمع،

ص:۱۲۲

۱- ۱) المیزان ج ۳۰ ص ۲۹۵.

لضعفه و قله احترام الناس له،و لذلک تتوالی النصوص القرآنیه التی تشجع علی الاهتمام به.

(۱۶)و المورد الضروری الاخر للإنفاق هو المسکین القریب.

أَوْ مِسْکِیناً ذٰا مَتْرَبَهٍ الذی ألصقته الفقر بالتراب.

(۱۷)و یبدو ان فک الرقبه و الإطعام مثلان لاقتحام العقبه،و أن الکلمه تشمل کل اقتحام لعقبه الهوی،و مجاهده لتیار الشهوات،و إن أعظم ما ابتلی به الإنسان عقبه التسلیم للحق و لمن یمثله من البشر کالرسول و خلفائه عبر العصور،فمن والی الرسول و أئمه الهدی من خلفائه فقد اقتحمها،و إلاّ هوی فی النار،لذلک عبر القرآن عن هذه الطاعه بکلمه«ثم»و قال:

ثُمَّ کٰانَ مِنَ الَّذِینَ آمَنُوا فإن المسافه بین فک رقبه و الإطعام،و بین الایمان التام بکل ما أنزل اللّه و اتباع رسول اللّه مسافه شاسعه،و أن البشر لا یزال یعمل الخیرات و یقاوم شهوات نفسه حتی یعرج الی مستوی التسلیم للّه و الإیمان برسالاته،و اتباع الرسول و خلفائه المعصومین.

و الصبر من الإیمان بمنزله الرأس من الجسد،و أعظم منه التواصی به،فإنه قمه التسلیم للحق و الرضا بالمکاره التی فی طریقه،و أعظم من الصبر الرحمه،فقد تعبر علی أذی الناس و أنت تدعوهم الی الخیر و لکن یمتلأ قلبک بغضا لهم،بینما المؤمن حقّا هو الذی یرحم الناس جمیعا و حتی أعدائه تسعهم رحمته،و أعظم من کل ذلک التواصی

بالمرحمه.و اشاعه ثقافه الصبر و الرحمه فی المجتمع.

وَ تَواصَوْا بِالصَّبْرِ وَ تَواصَوْا بِالْمَرْحَمَهِ (١٨)هؤلاء هم أصحاب الجنه الذین یحظون بالعاقبه الحسنی.

أُولئِکَ أَصْحابُ الْمَیْمَنَهِ و هکذا جعل اللّه شرطا لدخول الجنه یتمثل فی اقتحام العقبه،و من لم یحقق هذا الشرط الأساسی فإن أمانیه فی الجنه تذهب عبثا،و

قد قال الإمام أمیر المؤمنین علیه السلام: «هیهات لا یخدع اللّه عن جنته. » و

جاء فی حدیث مأثور: «حفّت الجنه بالمکاره و حفت النار بالشهوات. » (١٩)أما الکفار الذی سقطوا فی فخّ الهوی،و لم یتساموا الی مستوی التحدی فإنهم یتهاوون فی النار و ساءت مصیرا.

وَ الَّذِینَ کَفَرُوا بِآیاتِنا هُمْ أَصْحابُ الْمَشْأَمَهِ و لا یقبل إنفاقهم؛لأن الایمان شرط مسبق لقبول أی عمل صالح،و العرب کانت تتشاءم من الشمال و لذلک سمتها المشأمه.

(٢٠)و کما سجنوا أنفسهم فی زنزانه الذات،و صدوها عن رحاب الحق الواسعه،فإنهم یعذبون بنار مطبقه علیهم،مغلقه دونهم.

عَلَیْهِمْ نارٌ مُؤْصَدَهٌ نعوذ باللّه من هذه العاقبه السوأی.

ص:١٢۴

سوره الشمس

اشاره

ص:۱۲۵

بسم اللّه الرحمن الرحيم

فضل السوره

عن أبى عبد اللّه-عليه السلام-قال: «من أكثر قراءه «و الشمس...»فى يوم أو ليله لم يبق شىء بحضرته إلاّ شهد له يوم القيامه،حتى شعره و بشره و لحمه و دمه و عروقه و عصبه و عظامه،و جميع ما أقلّت الأرض منه، و يقول الرب تبارك و تعالى:قبلت شهادتكم لعبدى و أجزتها له،انطلقوا به الى جنّاتى حتى يتخيّر منها حيث ما أحبّ،فأعطوه من غير منّ و لكن رحمه منى و فضلا عليه،و هنيئا لعبدى».

تفسير نور الثقلين/ج ۵ ص ۵۸۵

ص:۱۲۷

الإطار العام

عبر خمسه عشر آيه،و ثلاثه مقاطع تبصرنا سوره الشمس بأنفسنا،و كيف نحقق لها الفلاح و نمنع عنها الخيبه.

محور السوره-فيما يبدو-الآيتان(٧-٨)حيث توحيان بالبصيره النافذه.إن بلوغ قمه الكمال عند النفس لا- يتم إلاّ بالتزكيه،بينما الفشل ينتظر من يدس نفسه فی و حل الجاهليه و ركامها.

و قبل بيان هذه البصيره تحملنا الآيات الأولى إلى آفاق السماء و الأرض،و ظواهر الليل و النهار لكی نجعل من العالم المحيط مدرسه لنا و محرابا.

و بعد بيانها تضرب الآيات الأخيره مثلا عليها بواقع ثمود،الذين حملهم طغيانهم الى تكذيب رسول اللّه و عقر الناقه التی كانت لهم آيه مبصره.

و السوره عموما تعمّق حس المسؤوليه فی نفس الإنسان،و من عجب القول ان بعض المفسرين المتأثرين بالفلسفه اليونانيه زعموا أن السوره تدل على الجبر،و هكذا

ص:١٢٨

حمّلوا ربهم سبحانه مسئوليه ضلالهم و فجور كل قوم ضال.كلا..إنّ الإنسان قد سويت نفسه،و ألهمت الفجور و التقوى،و أمر بالتزكيه،فمن قام بها أفلح،و من دس نفسه خاب و خسر أهدافه.

ص:١٢٩

[سوره الشمس (٩١): الآيات ١ الى ١۵]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . وَ اَلشَّمْسِ وَ ضُحٰاهٰا (١) وَ اَلْقَمَرِ إِذٰا تَلاٰهٰا (٢) وَ اَلنَّهٰارِ إِذٰا جَلاّٰهٰا (٣) وَ اَللَّيْلِ إِذٰا يَغْشٰاهٰا (۴) وَ اَلسَّمٰاءِ وَ مٰا بَنٰاهٰا (۵) وَ اَلْأَرْضِ وَ مٰا طَحٰاهٰا (۶) وَ نَفْسٍ وَ مٰا سَوّٰاهٰا (٧) فَأَلْهَمَهٰا فُجُورَهٰا وَ تَقْوٰاهٰا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّٰاهٰا (٩) وَ قَدْ خٰابَ مَنْ دَسّٰاهٰا (١٠) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوٰاهٰا (١١) إِذِ اِنْبَعَثَ أَشْقٰاهٰا (١٢) فَقٰالَ لَهُمْ رَسُولُ اَللّٰهِ نٰاقَةَ اَللّٰهِ وَ سُقْيٰاهٰا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهٰا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوّٰاهٰا (١۴) وَ لاٰ يَخٰافُ عُقْبٰاهٰا (١۵)

اللغه

۶ طَحٰاهٰا :أصل الطحو البسط الواسع،يقال:طحا بك همك،يطحو بك طحوا:إذا انبسط بك الى مذهب بعيد،يقال:

طحا القوم بعضهم بعضا إذا تدافعوا دفعا فانبسطوا، و الطواحی:النّسور تنبسط حول القتلى،و هی فی هذه الحاله فقط تسمى طواحی.

ص:١٣١

فألهمها فجورها و تقواها

بينات من الآيات:

(١)هل للطبيعه لسان ينطق؟بلى.يلهج بحمد ربها،و لكن ليس لكل الناس أذن تتلقى.ان إشاراتها خفيّه فمن التقطها كانت له الكائنات مدرسه مسجدا و طهورا،و لعل من غايات القسم فى القرآن تعليمنا لغه الكائنات.أو تدرى بأيّه صوره؟إن لنفس البشر شفافيه تغطى عليها الرغبات الملحه و الهموم الطاغيه، فالنفس شاعره تحب الجمال،و تعشق النور،و تنجذب الى روعه النظام،و دقه التناغم،و لكن الذين يشتغلون أبدا بلذات البطن و ما دونه،و تلعب بعقولهم خمره التفاخر و التكاثر أنى لهم الاستماع الى همسات روحهم،و الاهتمام بلذات عقلهم من هنا يحتاجون الى من يذكرهم بها،و يستثير فى نفوسهم الإحساس بجمال الطبيعه و روعتها و تناسقها و نظمها الدقيق،يجعلهم ينظرون الى الشمس و ضحاها ببراءه الطفل،و احساس الشاعر،و شفافيه الواله العاشق،كلما أشرقت الشمس على البسيطه و نشرت ضحاها فوق الروابى و السهول،و بث أشعتها عبر النوافذ و المداخل، استلهموا منها درسا جديدا بل روحا جديده.و زخّه عاطفيه.

ص:١٣٢

وَ الشَّمْسِ وَ ضُحٰاهٰا قسما بها..أنظر إليها و كأنك لم تعرفها من قبل ما هذه الكتله العظيمه من النيران،التى لا تزال تحترق منذ ملايين السنين و لا زالت فى كهولتها؛لأن احتراقها يتم بالتفاعل النووى،و نحن لا زلنا على الأرض نتمتع بدفئها وضوئها و فوائدها، و ننتظر نتائج القمر الصناعى الذى بعثناه أخيرا إلى مدارها،و سيصل بإذن اللّه هناك بعد حوالى ثلاث سنوات،و ربما زوّدنا بالمزيد من المعلومات عنها،و لكن دعنا -و نحن ننتظر ذلك-نتدبر فى ضحوه الشمس و هى كما قيل ضد الظلّ أى أشعتها المنبسطه على الأرض،و تتجلى عند ارتفاع الشمس و قال بعضهم:ضحى الشمس هى النهار كله،و يبدو أن القول الاول أظهر و هو أن الضحى من الضح و هو نور الشمس.

(۲)للشمس جمالها الناطق و روعتها الصارخه،أما القمر فجماله صامت و روعته هادئه،لذلك اختاره الشعراء لسهراتهم،و العشاق لنجواتهم،و أهل الطاعه لسبحاتهم.ما هذا الفيض المتدفق من النور الهادئ؟يسبح فى الفضاء و ينتعش به جمال الطبيعه،و يهتدى به السرىّ! وَ الْقَمَرِ إِذٰا تَلاٰهٰا اى يلى الشمس،و من أوتى حسّا رهيفا سمع سبحات الشمس و القمر و نورهما فاهتدى الى ربهما العزيز.

(۳)قسما بضحوه الشمس و نور القمر.قسما بالنهار الذى يحيط الأرض بضيائه و دفئه و حيويته.

وَ النَّهٰارِ إِذٰا جَلاّٰهٰا

ص:۱۳۳

يبدو أنّ الضمير يعود هنا الى الأرض و إن لم تذكر كقوله سبحانه عن الشمس:

«حتى توارت بالحجاب»و لم تذكر الشمس فى السياق.

و قيل:جلى الظلمه و ان لم يجر لها ذكر كما نقول أضحت بارده نريد أضحت الغداه بارده أو الليله بارده،و أنى كان فإن التدبر فى النهار و نوره و جماله يزيد الإنسان بصيره و هدى.

(۴)بعد نهار طويل مجهد يغشى الأرض ظلام الليل و هدوئه،فيستريح على كفه الناس و الأحياء و النبات،و من يتدبر فى النهار و ضيائه و نشاطه و حركته يصعب عليه كيف يغشى الأرض بعد ساعات الليل بسباته و دجاه و سكونه و سكوته.دع فكرك يقارن بينها و ينطلق فى آفاق المعرفه.

وَ اللَّيْلِ إِذٰا يَغْشٰاهٰا و الضمير هنا كما الضمير فى الايه السابقه يعود إلى الأرض،و جاء فى بعض النصوص تأويل هذه الكلمات فى الجوانب المعنويه من حياه المجتمع،و ان الشمس رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و اله-بينما القمر أمير المؤمنين-عليه السلام-أما النهار فأئمه الهدى،بينما الليل أئمه الضلال (۱).

(۵)عند ما يستجلى المتدبر فى ظواهر الطبيعه آيات اللّه فيها يعى الإنسان عظمه السماء و بنائها المتين،و الأرض و إعدادها لراحه البشر،فيذكره اللّه سبحانه بهما قائلا:

وَ السَّمٰاءِ وَ مٰا بَنٰاهٰا أىّ تدبير عظيم،و أيّه حكمه بالغه،و أيّه قوه واسعه،و أى علم محيط وراء بناء

۱- ۱) تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۵۸۵.

السماء و ما فيها من أجرام سماويه مسّخره فى أفلاكها.لا يكاد حتى الخيال العلمى الخصب ملاحقه أبعادها و آفاقها و مبتدئها و منتهاها.

(۶)أنظر إلى الأرض التى تعتبر بالقياس الى سائر أجرام السماء كسمكه صغيره على شاطئ المحيط إذا قستها الى الحيتان الكبار التى تجوب البحار الواسعه،أو كأصغر حرف من أصغر كلمه فى كتاب متواضع بالنسبه الى مكتبه تضم ملايين الأسفار،فاذا نظرت إلى الأرض و بحارها و سهولها و جبالها و أنواع الخلق فيها-مما لا يحصيها العلم-كلّ نظرك و نصب مخك،و قلت:سبحان اللّه!ما أعظم تلك القوه التى دحت الأرض و هيأتها للحياه بعشرات الملايين من وسائل الحياه و الراحه و أسبابها.

وَ الْأَرْضِ وَ مٰا طَحٰاهٰا قالوا:الدحو و الطحو واحد،و معناهما البسط،و قال الماوردى:و يحتمل أنه ما خرج منها من نبات و عيون و كنوز لأنه حياه لما خلق عليها،و يبدو أن أصل الطحو هو تهيئه الشيء و تمهيده و اللّه العالم.

(٧)لماذا خلقت السماء و الأرض،و أحكمتا البناء أ و ليس للإنسان؟!تعالوا و فكروا فى هذا العالم الكبير:إنه آيه على ما خلقهم اللّه فى الأرض من احياء و أشياء.

وَ نَفْسٍ وَ مٰا سَوّٰاهٰا فى أعماق هذه النفس آيات لا يتسنى لغير صاحبها بلوغ أغوارها،كذلك فى أعماق سائر النفوس و سائر الحقائق.انك ترى الشمس من ظاهرها،تلامس جدرانها الخارجيه فهل تعرف ما يجرى هناك فى داخلها،كذلك القمر و النهار

و الليـل،بينمـا نفسـك أقرب الكائنات إليك لا تقـدر على اكتشاف جانب من اغوارها الـذاتيه،فتفكر أىّ خلق عظيم هـذه النفس التى هيئها اللّه سبحانه،و نظم أمرها، بأحسن تنظيم.

(٨)و أعظم مـا فى النفس العقـل الـذى هـداها اللّه به إلى خيرهـا و شـرها،تقواهـا و فجورها،ما يصـلح لها و عليها ان تأتى به،و ما يفسدها و عليها أن تتركه.

فَأَلْهَمَهٰا فُجُورَهٰا وَ تَقْوٰاهٰا كما قال سـبحانه: وَ هَدَيْنٰاهُ النَّجْدَيْنِ و معرفه الفجور قدمت على معرفه التقوى إذ أنّ النفس تعرف أولا أسباب الهلاك،ثم تعرف كيف تتجنبها بوسائل الصلاح.

علما بأن أكثر الواجبات هى سبل للتخلص من المفاسد.

جـاء فى الحـديث المـأثور عن النبى-صـلّى اللّه عليه و اله- أنه كـان إذا قرأ هـذه الايه: فَأَلْهَمَهٰا فُجُورَهٰا وَ تَقْوٰاهٰا رفع صوته بها و قال:«اللهم آت نفسى تقواها.

أنت وليها و مولاها،و أنت خير من زكاها» (١).

و

جاء فى حديث مأثور عن الامام الصادق-عليه السلام-أنه قال: فى تفسيرها:«بين لها ما تأتى و ما تترك» (٢).

(٩)عظيمه جـدّا نعمه العقـل الـذى هو مرآه للطبيعه،تعكس مـا فيهـا من خير و شـر،و حسن و قبـح،و جمال و دمامه،و أعظم منها المشـيئه التى بها يتم انتخاب الإنسان لواحد منهما،و يبلغ بها البشـر أرفع درجات الكمال المتمثله فى الفلاح،أ و ليس الفلاح بلوغ المنى،و تحقيق أبعد الأهداف و الغايات؟!

١- ١) القرطبى ج ٢٠ ص ٧۶،و فى تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۵٨۶ مثله بتغيير قليل.

٢- ٢) تفسير نور الثقلين ج ۵ ص ۵٨۶.

بلی.و لکن کیف یبلغ الإنسان ذلک؟بتزکیه النفس و تطهیرها من حوافز الشر،و رواسب الشرک،و وساوس الشیطان.

قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاٰهٰا قالوا:الزکاه بمعنی النمو و الزیاده،و منه زکاه الزرع إذا کثر ریعه،و منه تزکیه القاضی للشاهد لأنه یرفعه بالتعدیل.

و یبدو لی ان أصل معنی الزکاه التطهیر،و بما أن الشیء الطاهر ینمو بینما لا یکون الخبیث إلاّ نکدا تلازم معنی الزکاه و التطهیر.

و قال بعضهم إن أجواد العرب کانوا ینزلون الرّبا و المرتفعات لیسهل علی أصحاب الحاجه الوصول إلیهم،بینما اللئام کانوا یختارون الأطراف و المنخفضات هربا من الفقراء و طالبی المعروف،فأولئک علوا أنفسهم و زکوها،و هؤلاء أخفوا أنفسهم و دسوها.

(١٠)کما أن من زکی نفسه و طهرها من أدرانها و أنقذها من قیودها و أغلالها ینطلق فی معارج الکمال،و یبلغ الفلاح،فإن من دس نفسه فی أوحال الجهل، و سلاسل العبودیه،للمال و الجاه،فإنه یخیب و لا یبلغ أیّا من أهداف وجوده.

وَ قَدْ خٰابَ مَنْ دَسّٰاهٰا و أصل الدس من التدریس،و کما قالوا:هو إخفاء الشیء فی الشیء،فأبدلت سینه یاء،کما یقال:قصّیت أظفاری،و أصلها قصصت اظفاری،و قد استخدمت الکلمه فی الإغواء کما قال الشاعر:

و أنت الذی دسست عمرا فأصبحت جلائله منه أرامل ضیعا

و السؤال:ما هی علاقه الدس و هو الإخفاء بالخیبه؟إنهما تعبیران متناسقان، ذلک أن الخیبه التی هی خساره غیر متوقعه،و فشل غیر محتمل تأتی نتیجه الإحجام و الانطواء و الانغلاق،و النفس مثل کتله عظیمه من الأحجار الکریمه أخفیت تحت رکام من الرمل و الحجر،ماذا تنفع هذه الکتله لو زدناها رکاما فوق رکامها،إنما تنفع إذا استخرجناها،و نظفناها،و أبعدنا عنها الأجسام الغریبه،کذلک أنت کتله هائله من المواهب و الفرص،بإمکانک أن تستغل کل لحظه من حیاتک فی العروج بنفسک درجه من الکمال،و لکن إذا استسلمت للضغوط،و اشتغلت بالتوافه، و تعللت بالتبریرات و الاعذار فإن عمرک یذهب عبثا.و تخیب ظنونک.

(۱۱)و الدس لا یأتی من فراغ بل ضمن سلسله من العلل،تبدء بالطغیان الذی هو صفه ملازمه للإنسان،أو لیس الطغیان نتیجه الکبر الذاتی.و الکبر یلازم الجهل،و الفرح بما تملکه النفس دون النظر إلی ما لا تملکه؟و من الطغیان یأتی التکذیب بآیات اللّه،و الانغلاق دون الإنذار و من التکذیب ینتج الحرمان،أ رأیت لو دعاک صاحبک الی مائده فی یوم مجاعه فکذبته کیف تحرم نفسک!کذلک الرسل دعونا الی رحمه اللّه فکذّبهم قوم فخابوا مثل ثمود الذین دعاهم طغیانهم الی تکذیب آیات اللّه.

کَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوٰاهٰا قالوا:ای بطغیانها فیکون الطغیان سبب التکذیب.و به

جاءت الروایه المأثوره عن الامام الباقر-علیه السلام-قال: فی تفسیر الایه:و الطغیان حملها علی التکذیب (۱).

و قال بعضهم:بل الطغوی هو العذاب الطاغی الذی کذبوا به،و الأول أظهر.

۱- ۱) المصدر.

(۱۲)و التکذیب کان صفه عامه لثمود و لکنه ترکز فی شخص واحد هو الذی عقر ناقه صالح من بعد أن طلبوها آیه لهم.

إِذِ انْبَعَثَ أَشْقٰاهٰا و هکذا یقوم شخص أو اشخاص معددون بالجریمه،و لکن الآخرین یرضون عنهم لأنهم لا یقومون بها إلاّ ضمن سیاق اجتماعی یساعدهم علیها:سکوت أهل الصلاح،و مجاهره المکذبین،و صلافه المجرمین.من هنا

روی عن الامام علی-علیه السلام-أنه قال:

«أیها الناس! انما یجمع الناس الرّضی و السّخط،و انّما عقر ناقه ثمود رجل واحد،فعمّهم اللّه بالعذاب لما عمّوه بالرضا،فقال سبحانه: فَعَقَرُوهٰا فَأَصْبَحُوا نٰادِمِینَ فما کان الاّ أن خارت أرضهم بالخسفه خوار السکّه المحماه فی الأرض الخوّاره» (۱).

و معنی انبعث:نهض،و إنما سمی عاقر الناقه أشقی ثمود لأنه قام بما لم یجرأ علیه غیره منهم،و

جاء فی حدیث مأثور عن الامام أمیر المؤمنین-علیه السلام-أنه قال له النبی-صلّی اللّه علیه و اله-: «أ تدری من أشقی الأولین؟قلت اللّه و رسوله أعلم؟قال:عاقر الناقه،قال:أ تدری من أشقی الآخرین قلت:اللّه و رسوله أعلم:قال:قاتلک» (۲).

و

روی عن عمار بن یاسر قال: کنت أنا و علی بن أبی طالب فی غزوه العسره نائمین فی صور من النخل و دقعاء من التراب فواللّه ما أهبّنا إلاّ رسول اللّه یحرکنا برجله،و قد تتربنا من تلک الدقعاء،فقال:«ألا أحدثکما بأشقی الناس من

۱- ۱) نهج البلاغه خ ۲۰۱ ص ۳۱۹.

۲- ۲) القرطبی ج ۲۰ ص ۷۸.

رجلین؟»قلنا:بلی یا رسول اللّه قال:«أحیمر ثمود الـذی عقر الناقه،و الـذی یضـربک یا علی علی هذه-و وضع یده علی قرنه-حتی یبل منها هذه و أخذ بلحیته» (۱).

(۱۳)حینما یکون الـذنب تحـدّیا لسـلطان الرب یحل بصاحبه العذاب العاجل، کما کان عند ثمود،إذ أنهم هم الذین طالبوا نبیهم صالحا بآیه مبصـره،و اقترحوا علیه أن تکون ناقه تخرج من الجبل،و تعهـدوا بتصـدیقه عندئـذ،و التسـلیم لأمره،و لکنهم کذبوه و عقروا الناقه بعد ان حذرهم نبیهم من مغبه ذلک طغیانا و عتوا،فنزل العذاب بساحتهم.

فَقٰالَ لَهُمْ رَسُولُ اللّٰهِ نٰاقَهَ اللّٰهِ وَ سُقْیٰاهٰا قالوا:معناه احـذروا ناقه اللّه،کما یقال:الأسـد الأسـد:ای احذره،و الصبی الصبی:أی احفظه من الوقوع فی البئر،و نسبت الناقه الی اللّه تشـریفا لها باعتبارها آیه مبصـره،و کان علیهم أن یتقوا اللّه فیها،اما کلمه«سقیاها»فتعنی ذروها تشرب،و کان لها شرب یوم معلوم،و لهم مثله.

(۱۴)و لکنهم کذبوا رسول اللّه،و عقروا الناقه،و تحدوا أمر ربهم و إنذاره،فأطبق علیه العذاب،و لم یبق من قراهم شیئا.

فَکَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهٰا فَدَمْدَمَ عَلَیْهِمْ رَبُّهُمْ یقال دمدم علی الشیء إذا طبق علیه،و دمدمت علی المیت التراب ای سویت علیه،و یبدو أن الدمدمه هی الاطباق بتدریج،أی بتکرار مره بعد أخری.

۱- ۱) الصور:المجتمع من النخل،الدقعاء:التراب الدقیق علی وجه الأرض.انظر نور الثقلین ج ۵ ص ۵۸۷.

بِذَنْبِهِمْ فلم يفعل بهم ظلما.حاشاه،و انما جزاء لأفعالهم،و كل من يذنب يهىء نفسه لمثل تلك الدمدمه.

فَسَوّاها كما يسوى القبر بعد ان يهال التراب عليه طبقا بعد طبق.

(۱۵)و هل سأل اللّه أحدا فى أولئك الهلكى لماذا اهلكهم؟!كلا..

وَ لا يَخافُ عُقْباها سبحان اللّه و تعالى كيف يخاف عقبى دمدمه و هو جبار السموات و الأرض؟! و هكذا لم تنفعهم الشركاء و الأنداد،و لم تنقذهم الأعذار و التبريرات.أ فلا نرتدع بمصيرهم،كذلك كانت عاقبه قوم دسّوا أنفسهم فخابوا أشد الخيبه،و كذلك تكون عاقبه كل من ضيّع نفسه و دسها،إنها الخيبه و الندم أعاذنا اللّه منهما.

ص:۱۴۱

سوره اللیّل

اشاره

ص:۱۴۳

بسم اللّه الرحمن الرحيم

فضل السوره

عن أبى عبد الله-عليه السلام-قال «من أكثر قراءه...و الليل إذا يغشى...فى يوم أو ليله لم يبق شىء بحضرته إلاّ شهد له يوم القيامه،حتى شعره و بشره و لحمه و دمه و عروقه و عصبه و عظامه،و جميع ما أقلّت الأرض منه، و يقول الرب تبارك و تعالى:قبلت شهادتكم لعبدى و أجزتها له انطلقوا به الى جنّاتى حتى يتخيّر منها حيث ما أحبّ،فأعطوه من غير منّ و لكن رحمه منى و فضلا عليه،و هنيئا لعبدى».

تفسير نور الثقلين/ج ۵ ص ۵۸۵

ص:۱۴۵

الإطار العام

ليس الذكر و الأنثى سواء،و لا الليل و النهار،كذلك فعل الخيرات و ارتكاب المآثم ليسا بسواء.أو يحصد الشعير من زرع القمح، و هل يحصد من زرع الريح سوى العاصفه؟! النفس البشريه تهوى الخلط بين الحقّ و الباطل لتتهرب من المسؤوليه و لكن هيهات،و تتواصل آيات الذكر و سوره للفصل الحاسم بينهما،و يبدو أن محور هذه السوره التذكره بهذه البصيره،و أن من أعطى و اتقى و صدق بالحسنى فإن الله يوفقه للحياه اليسرى،بينما الذى كذب بالحسنى فيدفعه الله للحياه العسرى.

و نتائج التكذيب تمتد من الدنيا حتى الاخره،حيث النار الملتهبه تنتظر المكذبين،أما الذين يتقون ربهم،و يؤتون أموالهم سعيا وراء التزكيه فإن عاقبتهم الحسنى،و لأنهم ابتغوا رضوان ربهم فان الله يعطيهم من النعم حتى يبلغون الرضا.

ص:۱۴۶

[سوره اللیل (۹۲): الآیات ۱ الی ۲۱]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ . وَ اَللَّیْلِ إِذٰا یَغْشیٰ (۱) وَ اَلنَّهٰارِ إِذٰا تَجَلّٰی (۲) وَ مٰا خَلَقَ اَلذَّکَرَ وَ اَلْأُنْثیٰ (۳) إِنَّ سَعْیَکُمْ لَشَتّٰی (۴) فَأَمّٰا مَنْ أَعْطیٰ وَ اِتَّقیٰ (۵) وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنیٰ (۶) فَسَنُیَسِّرُهُ لِلْیُسْریٰ (۷) وَ أَمّٰا مَنْ بَخِلَ وَ اِسْتَغْنیٰ (۸) وَ کَذَّبَ بِالْحُسْنیٰ (۹) فَسَنُیَسِّرُهُ لِلْعُسْریٰ (۱۰) وَ مٰا یُغْنِی عَنْهُ مٰالُهُ إِذٰا تَرَدّٰی (۱۱) إِنَّ عَلَیْنٰا لَلْهُدیٰ (۱۲) وَ إِنَّ لَنٰا لَلْآخِرَةَ وَ اَلْأُولیٰ (۱۳) فَأَنْذَرْتُکُمْ نٰاراً تَلَظّٰی (۱۴) لاٰ یَصْلاٰهٰا إِلاَّ اَلْأَشْقَی (۱۵) اَلَّذِی کَذَّبَ وَ تَوَلّٰی (۱۶) وَ سَیُجَنَّبُهَا اَلْأَتْقَی (۱۷) اَلَّذِی یُؤْتِی مٰالَهُ یَتَزَکّٰی (۱۸) وَ مٰا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزیٰ (۱۹) إِلاَّ اِبْتِغٰاءَ وَجْهِ رَبِّهِ اَلْأَعْلیٰ (۲۰) وَ لَسَوْفَ یَرْضیٰ (۲۱)

ص:۱۴۷

إنّ سعيكم لشتى

بينات من الآيات:

(۱)لا يحس الأعمى باختلاف الألوان و الابعاد،و لا يشعر من عطب ذوقه أو شمّه بتفاوت الاطعمه و الروائح،كذلك الجاهل لا يعرف اختلاف الأشياء، و كلما ازداد الإنسان علما ازداد معرفه بحدود الأشياء و اختلافها،و ميزات كل واحد على الآخر،مثلا:الخبير بالاقمشه يميز بين نوع و آخر،أما الجاهل فلا يشعر لماذا تتفاوت قيمه أنواعها.أ ليس كذلك؟ الحق و الباطل هما صبغتا الطبيعه،لا يفرق بينهما إلاّ العالمون،و ليست المشكله فی هذه القضيه عقليه فقط إذ الهوى أيضا يخالف التمييز بين الحق و الباطل،فهی إذا مشكله نفسيه أيضا،و آيات القرآن تترى فی تحذير الإنسان من خلط الأمور،فكما أن الليل غير النهار،و الذكر غير الأنثى،كذلك يختلف سعی الخير عن سعی الشر.

وَ اللَّيْلِ إِذٰا يَغْشىٰ أی يغطی الطبيعه بظلامه و هدوئه.

(٢)قسما بالليل إذ يحيط بالأشياء،و بالنهار إذ يتجلی بنوره و نشاطه و دفئه.

وَ النَّهٰارِ إِذٰا تَجَلّٰی (٣)منذ نعومه أظفارها تحب الطفله اللعب بتماثيل تزعم أنها أولادها،و منذ نعومه أظفاره يحب الطفل ما يزعم أنه سلاحه،ما الذی فرق بين مشاعرهما؟و تنمو الطفله و تتميز عن الطفل أكثر فأكثر بيولوجيا و سيكلوجيا،و كما يتميز الجنسان عند البشر كذلك فی سائر الأحياء و النباتات،فسبحان الذی خلق الزوجين، يتكامل أحدهما بالآخر! وَ مٰا خَلَقَ الذَّكَرَ وَ الْأُنْثىٰ (٤)و كما اختلف الذكر عن الأنثی،و الليل عن النهار،كذلك يختلف سعی الإنسان.

لو نظرت إلی خليه هل تستطيع أن تتنبأ بأنها سوف تتفتق عن مولود ذكر أم أنثی؟كلا..و لكن الله يقدر لها ذلك حسبما يری من حكمه بالغه،كذلك حين تنظر الی فعله يرتكبها شخص قد لا تعرف أنها ستكون وسيله لانشاء حضاره أو تدمير حضاره و لكن الله يعلم ذلك و يهدينا اليه بفضله.هناك إنفاق فی سبيل الله ينمی المال،و يزكی القلب،و ينشط الدوره الماليه فی المجتمع،و هناك إنفاق يماثله فی الظاهر،و يناقضه فی المحتوی،يوقف مسيره التكامل فی المجتمع.

هناك قتال فی سبيل الله يكون بمثابه عمليه جراحيه ناجحه،و آخر يكون فی

سبيل الطاغوت،يهـدم المجتمع،و يبيـد الحضاره،و الناس لا يرون إلاّ ظاهر القتال دون ان يعرفوا هـدفه و وجهته و نفعه و ضـره..و لكن الله يهدينا الى ان هذا سعى حسن و أن ذاك سعى هدام.

إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتّٰى (۵)كـل ابن أنثى يكـدح فى حيـاته،و يسـعى، و يصـارع الأقـدار،و لكن الـذى يعطى ماله فى سبيل الله،و يتقى الحرام هو الذى ينتفع بعطائه.

فَأَمّٰا مَنْ أَعْطىٰ وَ اتَّقىٰ انه يختلف عمن يعطى و يمن أو يعطى مما سرقه من الناس،أو يختار أفسد ما عنده للعطاء،أو يضعه فى غير محلّه للمدّاحين و المتملقين من حوله،أو يهدف من عطائه رياء و سمعه و سيطره على المستضعفين؛فان عمله لا يتقبل منه لان الله يقول: إِنَّمٰا يَتَقَبَّلُ اللّٰهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ بل يكون وبالا عليه يوم القيامه، و ضيقا و حرجا فى الدنيا.

(۶)ما الذى يجعل سعى الإنسان و عطاءه زكيا نقيّا مرضيّا؟إيمانه بالله، و تصديقه برسالاته و رسله.

وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنىٰ لان الايمان بالله يحدد وجهه الإنسان،فليس سواء من يسعى الى المسجد و من يسعى الى الملهى!ثم هناك من يريـد المسـجد و لا يعرف السبيـل اليـه،فمـن يحـدد لنـا سـبل السـلام،و يضـعنا على المحجـه البيضـاء حـتى نصـل الى حيث الخيرات؟الرسل.فمن كذّب بهم ضل السبيل،و كان كمن يريد مكه و لكنه

يضل طريقه فيصل الى اليمن.

و سميت الرساله بالحسنى لأنها تهدينا إلى أحسن السبل لأحسن الاهداف.

و

قد جاء فى الحديث المأثور عن رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و اله-قال:

«ما من يوم غربت شمس إلاّ بعث بجنبتها ملكان يناديان،يسمعهما خلق اللّه كلهم إلاّ الثقلين:اللهم أعط منفقا خلفا،و أعط ممسكا تلفا» (۱). و قد استوعب الكثير من أصحاب رسول اللّه هذا الدرس فتراهم يؤثرون على أنفسهم و لو كان بهم خصاصه،و ينفقون أموالهم بلا حساب ابتغاء وجه ربهم.هكذا أدبهم رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و اله-حتى تساموا على شح أنفسهم،

جاء فى روايه مأثوره عن الامام الباقر-عليه السلام-:قال: «مرّ رسول اللّه برجل يغرس غرسا فى حائط فوقف له و قال:ألا أدلك على غرس أثبت أصلا و أسرع إيناعا و أطيب ثمرا و أبقى؟قال:بلى.دلّنى يا رسول اللّه؟فقال:إذا أصبحت و أمسيت فقل:

سبحان اللّه،و الحمد للّه،و لا إله إلاّ اللّه،و اللّه أكبر؛فإن لك أن قلته بكل تسبيحه عشر شجرات فى الجنه من أنواع الفاكهه،و هو من الباقيات الصالحات قال:فقال الرجل:فانى أشهدك يا رسول اللّه!ان حائطى هذا صدقه مقبوضه على فقراء المسلمين أهل الصدقه» (۲).

(۷)حينما تكون النيه صالحه،و القلب زكيا،فان سبل الخير تحمل أصحابها إلى حيث السعاده و الفلاح.

فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرىٰ أى الحياه اليسرى،و العاقبه الحسنى،و السؤال:كيف؟الالكترون الصغير

ص:۱۵۱

۱- ۱) القرطبى ج ۲۰ ص ۸۳.

۲- ۲) نور الثقلين ج ۲ ص ۵۹۱.

المتناهی فی الصغر داخل عالم(الذره)یسیر فی سبیله المحدد له،و هکذا المجره المتناهیه فی الکبر تسبح فی أفلاکها المحدده،و کذلک ما بینهما لکل شیء سبیله،فإذا عرفت سبل الأشیاء،و استطعت ان تضبط حیاتک علیها فإنک تسیر لاهدافک،و إلاّ فسوف تصطدم مع سبل الحیاه و سنن اللّه فیها،و لا تبلغ المنی.

(٩-٨)الحیاه منظمه بأدقّ مما نتصور،و أدق مما یعرفه کبار العلماء،حتی قال أحدهم و قد بهرته عظمه تنظیم العالم:العالم کتب بلغه ریاضیه.ان الجزء الواحد من ملیون جزء من الثانیه محسوب عند اللّه،و ان المثقال من ذره خفیفه موزون عند اللّه،و ان اللمحه و الخطفه و النیه محسوبه عند اللّه،و لکن بعض الناس یزعمون بجهلهم أنهم فی غابه تسودها الفوضی،فیکذبون بالحق،و یبخلون، و یستکبرون فی الأرض،و نهایتهم العسری.

وَ أَمّٰا مَنْ بَخِلَ وَ اسْتَغْنیٰ* وَ کَذَّبَ بِالْحُسْنیٰ فلم ینفق،و تشبّث بما یملک،و زعم أن المال یخلده،و ینقذه من الهلکه، و اضافه علی ذلک کذب برساله ربّه.

(١٠)انه یجد طریقا سهلا الی المهالک،کمن یسقط من علّ لا یحتاج الی وعی و إراده و عزم و اختیار.أ رأیت الذی یقود سیاره سریعه فی طریق جبلی لو غفل عن المقود هل یحتاج الی عزم إراده لکی یرتطم بالصخور،أو تهوی به فی الوادی؟انه یتیسر لمصیره.

فَسَنُیَسِّرُهُ لِلْعُسْریٰ کما قال ربنا سبحانه: وَ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِکْرِی فَإِنَّ لَهُ مَعِیشَةً ضَنْکاً (١).

١- ١) طه١٢۴/.

(۱۱)من ضیق نفس البشر و محدودیه أفقه أنه یفرح بما أوتی حتی یستغنی به عما لا یملک و یتملکه الغرور به،و الاستغناء و الغرور یدفعانه إلی الطغیان،کما یقول ربنا سبحانه: إِنَّ الْإِنْسٰانَ لَیَطْغیٰ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنیٰ (۱).

و من فرط غرور المرء بماله یزعم أن ماله یصنع له المعجزات،و انه یمنع عنه کل سوء،و لکن هیهات.

وَ مٰا یُغْنِی عَنْهُ مٰالُهُ إِذٰا تَرَدّٰی أی سقط فی الهاویه بفعل ذنوبه!و قیل:معناه إذا مات.

و

قد جاء فی حدیث مأثور عن الامام الرضا-علیه السلام- فی تفسیر هذه الایه:انها نزلت فی أبی الدحداح،قال:ان رجلا من الأنصار کان لرجل فی حائطه نخله،فکان یضربّه،فشکا ذلک إلی رسول اللّه فدعاه،فقال:أعطنی نخلتک بنخله فی الجنه،فأبی،فسمع ذلک رجل من الأنصار یکنّی أبا الدحداح،فجاء الی صاحب النخله فقال:بعنی نخلتک بحائطی،فباعه فجاء إلی رسول اللّه،فقال:یا رسول اللّه!قد اشتریت نخله فلان بحائطی،فقال رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و اله-تلک بدلها نخله فی الجنه،فأنزل اللّه تعالی علی نبیه: وَ مٰا خَلَقَ الذَّکَرَ وَ الْأُنْثیٰ... الآیات (۲) (۱۲)من المسؤول عن عملک أنت أم ربک؟کلّ منا یجیب بفطرته و بلا تردد أنه هو الذی اختار نوع عمله، فهو إذا مسئول عنه،و مجزی به؛إنما یوفر اللّه سبحانه له فرص الهدایه کامله،فمن اهتدی فلنفسه و من ضل فعلیها،و هکذا أتم السیاق بیان مسئولیه الإنسان عن أفعاله،و أن سعیه شتی،فمن اختار العطاء

۱- ۱) العلق۶/.

۲- ۲) نور الثقلین ج ۵ ص ۵۸۹.

و التصديق يسّره اللّه للحسنى،و من اختار البخل و التكذيب يسّره اللّه للعسرى.

أقول:أكمل هذه البصيره ببيان:أن الهدى عليه،و السعى علينا،و لذلک فالإنسان هو الذى يتحمل مسئوليه سعيه.

إِنَّ عَلَيْنٰا لَلْهُدىٰ و قال سبحانه: وَ عَلَى اللّٰهِ قَصْدُ السَّبِيلِ و قال إِنَّ عَلَيْنٰا بَيٰانَهُ و على الإنسان ان ينتظر هدى اللّه و بيانه.فإذا هداه بادر باتباع هداه و تنفيذ بيانه.

(۱۳)و إن الرب الجبار هو المسيطر على شؤون الاخره و الدنيا،فإذا اتبع أحد هداه فبتوفيقه و تيسيره،و إذا ضلّ و عصى ففى اطار قدرته،فلا يعصى اللّه عن غلبه أو ضعف،و لا يتهرب العصاه عن حدود مملكته.

وَ إِنَّ لَنٰا لَلْآخِرَةَ وَ الْأُولىٰ ان العصاه يتّكلون على أنفسهم،و يزعمون أن هامش الاختيار و الامتلاک الذى أوتوا يوفر لهم إمكانيه تحدى مالكهم و مليک السموات و الأرض،و لكنهم فى ضلال بعيد،فاللّه هو مالک الدنيا كما هو ملک الاخره،و لذلک فبيده أمرهم و جزاؤهم فى الدارين جميعا.

(۱۴)و لذلک فهو يعاقبهم فى الدنيا بتسهيل سبيل العسر لهم،و استدراجهم فيه بسوء اختيارهم له،و يعاقبهم فى الاخره بنار تتقد و تبتلع الأشقياء.

فَأَنْذَرْتُكُمْ نٰاراً تَلَظّٰى انها نار ملتهبه،تنتظر كلّ الأشقياء،و علينا الحذر منها،لان اللّه قد أنذرنا جميعا،فلا يقولن أحد:أنا بعيد عنها لانى أملک مالا،أو جاها،أو انتمى

-ظاهرا-الی دین الإسلام،و أوالی الرسول و آل بیته.کلا..إنما یتقی النار من اتقی اللّه فی الدنیا.

(۱۵)أما الأشقی فانه یحترق بلهیبها،و یصطلی بحرها لانّه لم یصنع لنفسه من دونها سترا من الایمان و صالح الأعمال.

لاٰ یَصْلاٰهٰا إِلاَّ الْأَشْقَی (۱۶)و علامه الأشقی الکفر بالرساله،و عصیان الشریعه.

اَلَّذِی کَذَّبَ وَ تَوَلّٰی یبدو أن التکذیب حاله نفسیه و عقلیه،بینما التولی حاله عملیه،أی کذب بقلبه و لسانه،و تولی بعمله و مواقفه.

(۱۷)أما الذی اتقی اللّه-فقد اتقی نار غضبه.صلاته تقیه،صومه یجنبه، إنفاقه یستره،نیته الصالحه تحمیه من تلک النار المتقده.

وَ سَیُجَنَّبُهَا الْأَتْقَی و لماذا لم یقل ربنا:التقی،ربما لان التقی الذی لم یبلغ مستوی«الأتقی» کان قد ارتکب بعض الخطایا فاستحق به لهبا من النار بقدرها ان لم یغفرها اللّه له،و قد قال ربنا سبحانه: وَ آخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللّٰهِ إِمّٰا یُعَذِّبُهُمْ وَ إِمّٰا یَتُوبُ عَلَیْهِمْ وَ اللّٰهُ عَلِیمٌ حَکِیمٌ (۱).

و هکذا الذی شقی ببعض الموبقات قد یغفر اللّه له کما قال سبحانه: إِنَّ اللّٰهَ لاٰ یَغْفِرُ أَنْ یُشْرَکَ بِهِ وَ یَغْفِرُ مٰا دُونَ ذٰلِکَ لِمَنْ یَشٰاءُ وَ مَنْ یُشْرِکْ بِاللّٰهِ فَقَدِ افْتَریٰ

۱- ۱) التوبه۱۰۶/.

إِثْماً عَظِيماً (۱)و إلی ذلک تشیر

الروایه المأثوره عن الامام الباقر علیه السلام: «النیران بعضها دون بعض» (۲).

و هکذا یبین السیاق حالتین متقابلتین تماما لتکونا-کما اللیل یقابل النهار-مثلا لاختلاف السعی.

(۱۸)و من أبرز صفات:«الأتقی»التصدّق بماله لکی یطهر قلبه من الشح و البخل و حب الدنیا.

اَلَّذِی یُؤْتِی مٰالَهُ یَتَزَکّٰی کل من یملک مالا ینفقه،و لکن أکثرهم ینفقون أموالهم،ثم تکون علیهم حسره؛لأنهم لا یبحثون عن الزکاه،و نقاوه القلب بقدر ما یبحثون عن الذات و تکریس الانانیه،إلاّ المتّقون الذین یعرفون أن حب الدنیا أصل کل انحراف، فیطهرون بالزکاه قلوبهم من حبها.

وَ مٰا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَهٍ تُجْزیٰ فلم ینفق ماله جزاء علی نعمه سبقت إلیه من المنفق علیه،و لم یطلب لانفاقه جزاء حتی و لو کان من نوع طلب الشکر،أو محاوله إخضاع الفقیر لسلطته، و تکریس حاله الطبقیه بهذا الإنفاق،کإنفاق الکثیر من المترفین و المسرفین.

(۲۰)کلاّ..إنما ینفق لوجه اللّه،و ابتغاء مرضاته،و سعیا وراء الجنه التی

ص:۱۵۶

۱- ۱) النساء۴۸/.

۲- ۲) نور الثقلین ج ۵ ص ۵۹۲.

وعد اللّه المنفقين.

إِلَّا ابْتِغٰاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلىٰ و وجه اللّه رضاه و ما أمر به،و مما أمر به طاعه أوليائه.

(۲۱)لأنه ابتغى رضوان اللّه فإن اللّه يرضيه بفضله.

وَ لَسَوْفَ يَرْضىٰ و هـل هنـاك غـايه أسـمى من الرضا؟أليس الإنسان دائم التطلع عريض الطموح،فكيف يرضـى؟بلى.أنّى كانت رغبات الإنسان عظيمه فإن الجنه أعظم،و فضل اللّه أكبر.

و هذه السوره بمجملها و لا سـيما خاتمتها تكرس فى الإنسان حس المسؤوليه، بيد أن بعض القدريه حاولوا تفسـيرها بما يتناسب و نظريه الجبر التى تنتزع حس المسؤوليه عن القلب،فـإذا كـان كلّ شـىء كتب بالقلم و حتى عمل الإنسان فأين مسـئوليه؟و لماذا يحرضنا اللّه على العطاء و لا نملك من أنفسنا شيئا،و لماذا يحذرنا النار و لسنا الذين نقرر الدخول فيها أو اجتنابها؟هكذا جاء فى صحيـح مسـلم عن أبى الأـسود الـدؤلى قال:قال لى عمران بن حصـين:أ رأيت ما يعمل الناس اليوم و يكـدحون فيه أين قضـى و مضى عليهم من قدر سبق،أو فيما يستقبلون مما آتاهم به نبيهم.و ثبتت الحجه عليهم؟!فقلت:بل شىء قضى عليهم و مضى عليهم، قـال:فقـال:أ فلاـ يكون ظلمـا؟ففزعت من ذلـك فزعـا شديـدا،و قلت:كـل شـىء خلق اللّه و ملك يـده،فلا يسأل عما يفعل و هم يسألون، فقال لى:يرحمك اللّه.إنى لم أرد فيما سألتك إلاّ لاحرز عقلك.

و

أن رجلين من مزينه أتيا رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و اله-فقالا:يا

ص:۱۵۷

رسول اللّه!أ رأيت ما يعمل الناس اليوم و يكدحون فيه.أ شيء قضى عليهم و مضى،من قدر قد سبق،أو فيما يستقبلون به مما آتاهم به نبيهم و ثبتت الحجه عليهم؟فقال:«لا بل شيء قضى عليهم و مضى فيهم،و تصديق ذلك فى كتاب اللّه عز و جل وَ نَفْسٍ وَ مٰا سَوّٰاهٰا فَأَلْهَمَهٰا فُجُورَهٰا وَ تَقْوٰاهٰا (١).

و يبدو لى أن هناك خلطا فظيعا حدث عند البعض بين الايمان بالقضاء و القدر،و بين الأخذ بنظريه الجبر اليهوديه التى زعموا فيها:أن يد اللّه مغلوله، و أن اللّه لا يقدر على تغيير شيء مما قدّر سبحانه،و أن العباد مكرهون على ما يفعلون،و أن اللّه يجازيهم بغير صنع منهم فى أفعالهم أو مشيئته.

و منشأ هذا الخلط تطرف بعض المؤمنين ضد نظريه التفويض للقدريه التى زعمت أن اللّه ترك عباده لشأنهم،دون أن يأمر أو ينهى أو يقدّر شيئا.

و النظريه القاصده هى الوسطى التى فاتت الكثير من المفسرين،و هى التى تصرح بها آيات اللّه،و التى هى لب الشريعه و خلاصه الرسالات الالهيه و هى:أن اللّه قضى و قدّر،و كان مما قضى حريه الإنسان فى حدود مشيئته،و مسئوليتهم عن أفعالهم،و أنه سبحانه هو الذى منح العباده قدره المشيئه،كما أعطاهم سائر القدرات ليفتنهم فيها،و بيّن لهم الخير و الشر و ألهمهم الفجور و التقوى.

و الرسول-صلّى اللّه عليه و اله-بيّن ذلك،و لكن الناس فسّروا كلام الرسول بالخطإ كما فسروا القرآن كذلك،فالروايه السابقه-مثلا-لا تخطأ القرآن فى مدلولها،إذ أن الرسول بين أن اللّه قد قضى عليهم ما ألهمهم من الفجور و التقوى،فإن فجروا فبإذنه(لا بأمره و لا بفعله)و إن اتقوا فبإذن و بأمره (لا بفعله).

١- ١) أنظر القرطبى ج ٢٠ ص ٧۶.

و كذلك النص التالى انما يدل على أن اللّه سبحانه لم يترك عباده سدى.

و فى النص-كما نقرأه-تصريح بضروره السعى و الكدح،و إذا كان كل شىء قد تم فلم السعى،و لماذا الكدح؟

جاء فى الصحيحين و الترمذى عن على-عليه السلام-قال: «كنا فى جنازه بالبقيع،فأتى النبى-صلّى اله عليه و اله-فجلس و جلسنا معه،و معه عود ينكت به فى الأرض.فرفع رأسه الى السماء فقال:ما من نفس منفوسه إلاّ قد كتب مدخلها»فقال القوم:يا رسول اللّه!أ فلا نتكل على كتابنا،فمن كان من أهل السعاده فإنه يعمل للسعاده.و من كان من أهل الشقاء فإنه يعمل للشقاء؟ قال:اعملوا فكل ميّسر.أما من كان من أهل السعاده فإنّه ييسّر لعمل السعاده،و أمّا من كان من أهل الشقاء فإنه ييسّر لعمل الشقاء»ثم قرأ: فَأَمّٰا مَنْ أَعْطىٰ وَ اتَّقىٰ* وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنىٰ* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرىٰ* وَ أَمّٰا مَنْ بَخِلَ وَ اسْتَغْنىٰ* وَ كَذَّبَ بِالْحُسْنىٰ* فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرىٰ (1).

ماذا نفهم من هذا الحديث؟هل الجبر أم المسؤوليه؟إن تلاوه الرسول للآيه تدل على أنه-صلّى اللّه عليه و اله-حرّضنا للعطاء و البذل،و لكنه ربط العاقبه بأمر اللّه،بلى.لسنا نحن الذين نقرر السعاده و الشقاء،و إنما اللّه سبحانه و لكن بأعمالنا و بما نختاره،أ و لم يقل سبحانه: كُلُّ نَفْسٍ بِمٰا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (2)و قال: إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتّٰى فنسب السعى الى الإنسان،و الرسول رفض فكره الجبر،و الاتكال على الكتاب الذى لا يفيد فيه حسب زعمهم.

۱- ۱) القرطبى ج ۲۰ ص ۸۴.

۲- ۲) المدّثر/۳۸.

سوره الضّحی

اشاره

ص: ۱۶۰

بسم اللّه الرحمن الرحيم

فضل السوره

عن أبی عبد اللّه-علیه السلام-قال: «من أكثر قراءه و الضحی فی یوم أو لیله لم یبق شیء بحضرته إلاّ شهد له یوم القیامه،حتی شعره و بشره و لحمه و دمه و عروقه و عصبه و عظامه،و جمیع ما أقلّت الأرض منه،و یقول الرب تبارك و تعالی:قبلت شهادتكم لعبدی و أجزتها له،انطلقوا به الی جنّاتی حتی یتخیّر منها حیث ما أحبّ،و أعطوه من غیر منّ و لكن رحمه منی و فضلا علیه،و هنیئا لعبدی».

تفسیر نور الثقلین ج ۵ ص ۵۸۵.

ص:۱۶۳

الإطار العام

من رحم الظلام يتنفس الفجر،و من رحم المأساه يولـد أمل التغيير،و عنـد ما تأخّر الوحى قليلا،و زاد قلب الرسول شوقا، و نفوس المؤمنين و جلا،و أراجيف المشـركين انتشـارا،هنالك جلجل الوحى فى هضاب مكه من جديـد،و شقّ فجره طريقه إلى القلوب العطشى،إلى النور و الدفئ و الحنان،فاستقبلته بحفاوه و وعته بعمق.

هكذا رحمه اللّه تهيأ الظروف من قبل لتكون أوقع أثرا و أبلغ نفاذا،أ رايت اليتيم حين تتناوله يد الرحمه كيف يحن على الأيتام و المحرومين،أو رأيت الضـال حين يهتـدى كيـف يمتص قلبه الهـدى كمـا تمتص حبه الـتراب النـدى فى ضـحوه الهجير؟! هكـذا يرضـى المؤمن بالقدر،فلو لا الليل إذا سـجى لم يعرف القلب قيمه الضـحى، و لولا العطش لم يتلذذ الكبد بشربه ماء هنيئه.و لولا التحديات لما حدث التطور، و لو لا الماسى لما قامت القدرات.

و يبدو أن محور سوره الضحى كما سوره ألم نشرح هى هذه البصيره التى مهدت

ص:۱۶۴

لها بالقسم بالضحی،و اللیل إذا سجی،ثم ببیان أن تأخیر الوحی لم یکن للوداع،بل لحکمه بالغه قد تکون تکریسه فی النفوس،ثم ذکّرت الرسول-صلّی اللّه علیه و اله-کیف منّ اللّه علیه بألوان النعم بعد الصعاب،علیه أن یسعی لإسعاد الناس و هدایتهم بکل ما أوتی من حول و قوه.

[سوره الضحی (۹۳): الآیات ۱ الی ۱۱]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ . وَ اَلضُّحیٰ (۱) وَ اَللَّیْلِ إِذٰا سَجیٰ (۲) مٰا وَدَّعَکَ رَبُّکَ وَ مٰا قَلیٰ (۳) وَ لَلْآخِرَهُ خَیْرٌ لَکَ مِنَ اَلْأُولیٰ (۴) وَ لَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضیٰ (۵) أَ لَمْ یَجِدْکَ یَتِیماً فَآویٰ (۶) وَ وَجَدَکَ ضَالاًّ فَهَدیٰ (۷) وَ وَجَدَکَ عٰائِلاً فَأَغْنیٰ (۸) فَأَمَّا اَلْیَتِیمَ فَلاٰ تَقْهَرْ (۹) وَ أَمَّا اَلسّٰائِلَ فَلاٰ تَنْهَرْ (۱۰) وَ أَمّٰا بِنِعْمَهِ رَبِّکَ فَحَدِّثْ (۱۱)

ص:۱۶۷

و لسوف یعطیک ربک فترضی

بینات من الآیات:

(۱)لماذا لا یجوز للناس ان یحلفوا بخلق اللّه،بینما یحلف اللّه یمینا بما خلق،و جاء فی حدیث مستفیض ما یلی:

عن الامام الباقر علیه السلام: «ان للّه عزّ و جلّ ان یقسم من خلقه بما شاء، و لیس لخلقه أن یقسموا إلاّ به» (۱).

و فی هذا المعنی جاءت روایات کثیره أخری.

الجواب:اننا حین نحلف بشیء نعطیه قیمه ذاتیه یخشی أن تتحول الی حاله من التقدیس المنافیه لصفاء التوحید و نقائه،و بینما ربنا حین یقسم بشیء فإنه یعطیه قیمه،و یجعلنا نلتفت إلی أهمیته کذلک فی فاتحه هذه السوره القسم بالضحی حیث ارتفاع النهار،و میعاد الإنسان مع الکد و النشاط.

۱- ۱) نور الثقلین ج ۵ ص ۵۸۸.

وَ الضُّحىٰ (٢)و ما يلبث النهار ينقضى،و خلايا جسد الإنسان تتلف،و أعصابه تتعب، و يحتاج الى راحه و سبات فيأتى الليل بظلامه الشامل،و سكونه الوديع.

وَ اللَّيْلِ إِذٰا سَجىٰ قالوا:سجى:يعنى سكن،و ليله ساجيه:أى ساكنه،و البحر إذا سجى:اى سكن و أنشدوا:

فما ذنبنا ان جاش بحر ابن عمّكم و بحرك ساج لا يوارى الدّعا مصا

(٣)و كما جسد الإنسان بحاجه الى سبات الليل،فان روحه عطشى إلى الوحى،أو ليس للنفوس إقبال و ادبارّ،و كما أن الليل لا يدل على نهايه النور،كذلك تأخر الوحى لا يعكس انتهاءه،بل كان الوحى يتنزل حسب الحاجه،و لم يهبط جمله واحده ليكون أثبت لافئده النبى و المؤمنين،و قال سبحانه: وَ قٰالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لاٰ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وٰاحِدَةً كَذٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤٰادَكَ وَ رَتَّلْنٰاهُ تَرْتِيلاً (١).

هكذا تأخر الوحى قليلا عن الرسول-صلّى اللّه عليه و اله-ليعرف الجميع أنه ليس بشعر منه،و لا باكتتاب لصحف الأولين،و لا بإبداع من ذاته،و إنما هو الوحى الذى يتنزل بأمر اللّه متى شاء و كيفما شاء،و لكى تنتشر أراجيف قريش و تتراكم كما انتشرت حبال سحره فرعون فخيّل الى الناس بأنها سحر عظيم، هنالك أمر اللّه موسى-عليه السلام-بأن يلقى عصاه تلقف ما أفكوا.فكانت أشد وطأه،و أبعد أثرا،كذلك الوحى حينما عاد الى هضاب مكه كما الضحى يأتى بعد ليل ساج فتتلاشى ظلام الاشاعات من أرجاء البيت الحرام،و تتبدد شكوك ضعاف المسلمين،و يبدأ نهار الرساله نشيطا مندفعا.

١- ١) الفرقان٣٢/.

مٰا وَدَّعَکَ رَبُّکَ وَ مٰا قَلیٰ أی ما ودعک الوداع الأخیر،و لا أبغضک-حتی و لو بصوره مؤقّته-و قد اختلفت أحادیث الرواه عن سبب تأخر الوحی و یمکن الجمع بینهما،و نحن نذکر فیما یلی طائفه منها لما فیها من فوائد هامه،بالاضافه إلی أنها توضّح جانبا من حیاه الرسول،و تساهم بقدر ما فی فهم القرآن:

روی عن الامام الباقر-علیه السلام- فی تفسیر السوره أن جبرئیل-علیه السلام-أبطأ علی رسول اللّه،و أنه کانت أول سوره نزلت أقرأ باسم ربک الذی خلق ثم أبطأ علیه،فقالت خدیجه-رضی اللّه عنها-:لعل ربک قد ترکک فلا یرسل إلیک،فأنزل اللّه تبارک و تعالی: مٰا وَدَّعَکَ رَبُّکَ وَ مٰا قَلیٰ (۱).

و

فی حدیث آخر: ان المسلمین قالوا لرسول اللّه:ما ینزل علیک الوحی یا رسول اللّه؟!فقال«و کیف ینزل علی الوحی و أنتم لا تنقّون براجمکم (۲)و لا تقلّمون أظافرکم»و لما نزلت السوره قال النبی لجبرئیل:«ما جئت حتی اشتقت إلیک» فقال جبرئیل:«و انا کنت أشدّ إلیک شوقا،و لکنی عبد مأمور،و ما نتنزّل إلاّ بأمر ربّک» (۳).

و روی عن ابن عباس:أنه احتبس عنه الوحی خمسه عشر یوما،فقال المشرکون:إن محمدا ودعه ربه و قلاه،و لو کان أمره من اللّه لتابع علیه کما کان یفعل بمن کان قبله من الأنبیاء (۴)فنزلت السوره.

۱- ۱) نور الثقلین ج ۵ ص ۵۶۴.

۲- ۲) ای العقد التی تکون فی ظهر الأصابع.

۳- ۳) مجمع البیان ج ۱۰ ص ۵۰۴.

۴- ۴) القرطبی ج ۲۰ ص ۹۲.

و هذه الأسباب متداخله،فقد يكون سبب تأخير الوحی الظاهر أكثر من سبب واحد،و أنّی كان فقد امتحن المؤمنون،و زاد شوق الرسول الی الوحی،كما ذهبت إشاعات المشركين أدراج الرياح،و عرف الناس أن كلامهم باطل،و أمرهم فرط.

(۴)و كما يتفجر ضحی الشمس بعد ليل ساج،و كما يتنزل الوحی بعد انقطاع و انتظار كذلك الاخره التی تتأخر زمنيا عن الاولی خير و أبقی،و علی المؤمن ألاّ يستعجل النتائج فقد يكون فی تأخيرها مصلحه كبری.

وَ لَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولىٰ قيل:ان له فی الاخره ألف ألف قصر من اللؤلؤ ترابها من المسك،و فی كل قصر ما ينبغی له من الأزواج و الخدم،و ما يشتهی،علی أتم الوصف (۱).

و قال بعضهم:الاخره تعنی المستقبل،و فيها بشاره للنبی بأنه سيفتح له فتحا مبينا.

(۵)و يبدو لی أن أعظم ما بشربه النبی لقاء جهاده فی اللّه،و عنائه الشديد الذی فاق عناء الأنبياء جميعا كانت الشفاعه،ذلك أن قلبه الكبير كان ينبض بحب الإنسان،و هدفه الأسمی كان إنقاذ البشريه من إصر الشرك و الجهل و أغلال العبوديه و التخلف و الفقر و المرض،و حتی

فی يوم القيامه حيث كان يقول جميع الناس و الأنبياء معهم:نفسی نفسی،تری رسول اللّه-صلّی اللّه عليه و اله- يدعو ربه بالشفاعه و يقول:أمتی أمتی، و فی أشد لحظات حياته عند ما نزلت به سكرات الموت كان يقول لقابض روحه:شدّد علیّ و خفف عن أمتی.إن هذا القلب الكبير لا يملؤه إلاّ حبّ اللّه و حب عباده،و لا يرضيه سوی إنقاذ عباد اللّه فی الدنيا من

۱- ۱) مجمع البيان ج ۱۰ ص ۵۰۵.

الضلال بالدعوه و الجهاد،و فی الاخره من النار بالشفاعه،و لذلک جاءت الایه التالیه تفسیرا للآیه السابقه:

وَ لَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضیٰ و ماذا یرضی الرسول غیر الشفاعه فی أمته؟من هنا

جاءت الروایه المأثوره عن الامام علی-علیه السلام-حیث قال:«قال:رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و اله-: یشفّعنی اللّه فی أمّتی حتی یقول اللّه سبحانه لی:رضیت یا محمد!فأقول یا ربّ رضیت» (۱).

و

روی عنه-علیه السلام-انه قال لأهل القرآن: إنکم تقولون ان أرجی آیه فی کتاب اللّه تعالی: قُلْ یٰا عِبٰادِیَ الَّذِینَ أَسْرَفُوا عَلیٰ أَنْفُسِهِمْ لاٰ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَهِ اللّٰهِ قالوا:إنا نقول ذلک،قال:و لکنا-أهل البیت-نقول:إن أرجی آیه فی کتاب اللّه قوله تعالی: وَ لَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضیٰ (۲).

و

فی حدیث آخر: «إنها الشفاعه لیعطینها فی أهل لا إله إلاّ اللّه حتی یقول:

ربّ رضیت» (۳).

و قد أتعب رسول اللّه نفسه،و حمل ذوی قرباه علی أصعب المحامل من أجل اللّه،و لبلوغ درجه الوسیله(التی أظنها هی الشفاعه بذاتها)

جاء فی حدیث مأثور عن الامام الصادق-علیه السلام- انّه دخل یوما علی فاطمه-علیها السلام- و علیها کساء من ثلّه الإبل،و هی تطحن بیدها،و ترضع ولدها،فدمعت عینا رسول اللّه لما أبصرها،فقال:یا بنتاه تعجلی مراره الدنیا بحلاوه الاخره،فقد أنزل

۱- ۱) القرطبی ج ۲۰ ص ۹۵.

۲- ۲) المصدر.

۳- ۳) المصدر ص ۹۶ و نص هذان الحدیثان فی حدیث واحد عن علی علیه السلام فی نور الثقلین.

اللّه علیّ« وَ لَسَوْفَ یُعْطِیکَ رَبُّکَ فَتَرْضیٰ »و قال الصادق-علیه السلام-:

«رضا جدّی أن لا یبقی فی النار موحّد» (۱).

(۶)لقد ترعرع رسول اللّه یتیما،فقد والده و هو لا یزال فی بطن امه ثم فقد والدته فی الطفوله المبکره،و ذاق-کبشر-کلما یعانیه یتیم الأبوین من حرمان عاطفی،فجعله اللّه ینبوع الحب و الحنان.

أَ لَمْ یَجِدْکَ یَتِیماً فَآویٰ کان رسول اللّه بطلعته البهیه،و جذابیته الاخّاذه،و بما حباه اللّه من برکه تفیض علی من حوله مأوی القلوب التی تهوی التقرب الیه و تتنافس علی خدمته،ألم تسمع قصه عبد المطلب-جده العظیم-کیف کان یشرف شخصیّا علی راحته،و من بعده عمه أبو طالب-سید بنی هاشم-یستمیت فی الدفاع عنه،و یفضّله علی أولاده فی الخدمه.

سبحان اللّه!کیف یتجلی بآیاته للخلق،فیجعل یتیم الأبوین أعظم شخصیه عبر التاریخ،الذی أحبه أهل الأرض و أهل السماء،فلم یحبّوا أحدا مثله.

و قد أثار البعض السؤال التالی:لأیّه حکمه جعل اللّه خاتم أنبیائه یتیم الأبوین؟تجیب الروایه التالیه علی ذلک:

یقول الامام الصادق-علیه السلام-:

«لئلاّ یکون لمخلوق علیه حقّ» (۲).

و هناک تفسیر آخر للیتیم نجده للیتیم نجده فی بعض النصوص سنذکره ضمن تفسیر الآیات التالیه إنشاء اللّه.

۱- ۱) نور الثقلین ج ۵ ص ۵۹۵.

۲- ۲) نور الثقلین ج ۵ ص ۵۹۵.

(۷) وَ وَجَدَکَ ضَالاًّ فَهَدیٰ لقد قدر اللّه للنبی-صلّی اللّه علیه و اله-ان یکون خاتم النبیین قبل ولادته، بل کان نورا یحدق بعرش اللّه،و

قد قال-صلّی اللّه علیه و اله-: «کنت نبیا و آدم بین الماء و الطین. ».بل کان مثلا للنور الذی خلقه اللّه فی البدء ثم خلق الخلق به.

جاء فی حدیث شریف: «أول ما خلق اللّه نوری» (۱).

و قد قلّبته ید الرحمه الالهیه فی أصلاب شامخه،و أرحام مطهره،حتی قال ربنا تعالی: وَ تَقَلُّبَکَ فِی السّٰاجِدِینَ .

و عند ولادته من أبوین کریمین-عبد اللّه سلام اللّه علیه،و امنه بنت وهب سلام اللّه علیها-أظهر اللّه آیات عظیمه فی العالم،إیذانا بولادته فسقطت شرفه من ایوان کسری،و غاضت بحیره ساوه،و فاضت بحیره سماوه،و انطفأت نار المجوس بعد مئات السنین من اشتعالها.

و قرن اللّه به منذ ولادته ملکا یسلک به طریق المکارم،

قال الامام أمیر المؤمنین -علیه السلام-:

«و لقد قرن اللّه به من لدنّ کان فطیما أعظم ملک من ملائکته،یسلک به طریق المکارم،و محاسن أخلاق العالم،لیله و نهاره» (۲).

و هکذا أدبه اللّه فأحسن تأدیبه کما قال-صلّی اللّه علیه و اله-عن نفسه.

إلاّ أن ذلک کله لا یعنی أن القرآن من وحی نفسه،بل إنه کان غافلا عن القرآن من قبل ان یقضی الیه وحیه،لذلک قال سبحانه:

۱- ۱) موسوعه بحار الأنوار ج ۱ ص ۹۷.

۲- ۲) نهج البلاغه خ ۱۹۲ ص ۳۰۰.

وَ إِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغافِلِينَ (۱)و قال: وَ ما كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ وَ لا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذاً لَارْتابَ الْمُبْطِلُونَ (۲)و قال: وَ كَذٰلِكَ أَوْحَيْنا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ما كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتابُ وَ لَا الْإِيمانُ وَ لٰكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا (۳).

و بهذا المفهوم كان الرسول ضالاّ عن الشريعه الجديده،و ليس ضالا عن أيّه شريعه،و عن الهدى الجديد لا عن اى هدى.هكذا قال بعض المفسرين.

بينما نجد تفسيرا آخر ينسجم مع مقام الرسول:انّه كان ضاله العالمين،يبحثون عنه،فهدى اللّه إليه الناس،و هذا تفسير أهل البيت عليهم السلام،و هو إن لم يكن تفسير ظاهر القرآن فلا ريب انه تفسير بطن من بطونه،أو ليس للقرآن سبعه أبطن؟ هكذا

روى عن الامام الرضا-عليه السلام- فى قوله:« أَ لَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوىٰ »قال:«فردا لا مثيل لك فى المخلوقين،فآوى الناس إليك« وَ وَجَدَكَ ضَالًّا »أى ضالاّ فى قوم لا يعرفون فضلك فهداهم إليك« وَ وَجَدَكَ عائِلًا »تعول أقواما بالعلم فأغناهم اللّه بك» (۴).

و هناك تفسيرات أخرى للآيه تعكس اهتمام المؤمنين بمقام الرسول-صلّى اللّه عليه و اله-و عدم نسبه الضلاله اليه كأن يكون الضلال بمعنى الضياع عن الطريق فى طفولته،أو عند ما سافر الى الشام للتجاره،و لكن التفسيرين الأولين اولى.

(۸)و كان الرسول يعيش فى قبيله بنى هاشم،التى كانت تتميز بالسؤدد، و الخلق الرفيع،و تعتبر المرجع الدينى فى مكه المكرمه،و لكنها لم تكن ذا مال كبير،

۱- ۱) يوسف/۳.

۲- ۲) العنكبوت/۴۸.

۳- ۳) الشورى/۵۲.

۴- ۴) نور الثقلين ج ۵ ص ۵۹۵.

و بالـذات أبو طـالب الـذى أصـبح شـيخ بنى هـاشم بعـد عبـد المطلب بـالرغم من فقره حتى قيل: ما ساد فقير إلا ابو طالب،و من المعروف تاريخيّا انه-عليه السلام- قبل بتكفل أولاده من قبل أخوته لضيق ذات يده.

و لكن اللّه منّ على الرسول بالسعه،حيث آمنت به واحده من أثرى قريش و هى خديجه بنت خويلد التى تزوجها الرسول-صلّى اللّه عليه و اله-فأصبح غنيّا بفضل اللّه.

وَ وَجَدَكَ عٰائِلاً فَأَغْنىٰ و قد مضى تفسير آخر للآيه:ان الرسول كان يعيل الناس،فأغناهم اللّه بعلم الرسول و هداه.

(٩)لقد نهض النبى من أرض الحرمان،فكان نصير المحرومين،و قد أوصاه الرب بمداراه اليتيم،و نهاه عن قهره،و تجاوز حقه.

فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاٰ تَقْهَرْ ان احساس اليتيم بـالنقص يكفيه قهرا،و لا بـد أن يقوم المجتمع بتعويض هـذا النقص بالعطف عليه،لكى لا يتكرس هذا النقص فى نفسه،فيصاب بعقده الضّعه،و يحاول أن ينتقم عند ما يكبر من المجتمع،و يتعالى على أقرانه،و يستكبر فى الأرض و..و..

و لعل التعبير بعدم القهر يشمل أمرين:الاول:دفع حقوق اليتيم إليه، الثانى:عدم أخذ الحق من عنده بالقهر و التسلط.

و قد راعى القرآن الجانب النفسى لليتيم مع انه بحاجه عاده الى معونه ماديّه

ص:١٧۶

أيضـا،أو تـدری لماذا؟أولا:لان کل الأیتام یحتاجون الی عطف معنویّ،بینما قـد لا یحتاج بعضـهم الی عون مادیّ،ثانیا:لان النهی عن قهرهم یتضمن النهی عن استضعافهم المادی أیضا.

و قد وردت نصوص کثیره فی فضیله الاهتمام بالایتام و النهی عن ظلمهم،

فقد روی عن رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و اله- «من مسح علی رأس یتیم کان له بکل شعره تمرّ به علی یده نور یوم القیامه» (۱).

و

قال: «أنا و کافل الیتیم کهاتین فی الجنه،إذا اتقی اللّه عز و جل»و أشار بالسبّابه الوسطی (۲).

و

روی عن رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و اله- «إنّ الیتیم إذا بکی اهتز لبکائه عرش الرحمن،یقول اللّه تعالی لملائکته:یا ملائکتی من ذا الذی أبکی هذا الیتیم الذی غیّبت أباه فی التراب؟فیقول الملائکه:ربنا أنت أعلم،فیقول اللّه تعالی لملائکته:یا ملائکتی!اشهدوا أنّ من أسکته و أرضاه أن أرضیه یوم القیامه» (۳).

(۱۰)و کما الیتیم الفقیر السائل،أوصی الإسلام به خیرا،فقال ربنا سبحانه:

وَ أَمَّا السّٰائِلَ فَلاٰ تَنْهَرْ و من عاش و رأی الحرمان،و لـدغته لسـعات الجوع کان أحری باحترام مشاعر السائل کإنسان،و سواء وفّق لمساعـدته أو لا ـ فـإنّ علیه أن یتجنب نهره و زجره، و إغلاـظ القول له،فـإن فی ذلـک إفساد لنفسه،حیث یشـرع فی التعالی علی الناس و الاستکبار فی الأرض،و عباده الدنیا و زینتها،کما أن فی ذلک إفساد نفسیه

۱- ۱) نور الثقلین ج ۵ ص ۵۹۷.

۲- ۲) المصدر.

۳- ۳) القرطبی ج ۲۰ ص ۱۰۱.

السائل،و زرعها بعقده الضّعه،فربما دار دولاب الزمن و استغنى السائل و افتقر المسؤل!كما أن فى ذلك إفساد للمجتمع بتكريس الطبقيه فيه.

و قد وصّى الإسلام بالسائل كثيرا ألاّ ينهر،

فقد روى عن رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و اله-: «ردّوا السائل ببذل يسير،أو ردّ جميل،فإنه يأتيكم من ليس من الانس و لا من الجن ينظر كيف صنيعكم فيما خوّلكم اللّه» (۱).

و نهى الإسلام من السؤال،و اعتبره ذلاّ،و لكنه نهى أيضا عن رد من يسأل،

جاء فى حديث مأثور عن الامام الباقر-عليه السلام-أنه قال: «لو يعلم السائل ما فى المسأله ما سأل أحد أحد،و لو يعلم المعطى ما فى العطيّه ما رد أحد أحدا» (۲).

(۱۱)الرزق طعام الجسد،و شكره طعام الروح،و من فقد الشكر أحسّ بجوع دائم،أ و ليس أعظم الغنى غنى النفس؟ أولئك الذين يستشعرون الفقر النفسى يشبهون تماما المصابون بمرض الأفكل، تسرى فى عروقهم قشعريره بارده و لو تحت عشرين دثارا.

و العطف على اليتيم،ورد السائل بالإنفاق أو بالكلام الطيب مظهران للشكر، إلاّ أن لشكر نعم اللّه مظاهر شتى أمر الإسلام بها جميعا عبر كلمه حكمه جامعه، فقال:

وَ أَمّٰا بِنِعْمَهِ رَبِّکَ فَحَدِّثْ و الحديث عن النعمه يشمل ثلاثه أبعاد:

ص:۱۷۸

۱- ۱) المصدر.

۲- ۲) نور الثقلين ج ۵ ص ۵۹۸.

أولا:الاعتراف به،و بيانه أمام الملا لكى لا يحسبه الناس فقيرا و هو مستغن بفضل اللّه،

فقد روى عن الامام الصادق-عليه السلام-فى تفسير الايه:

فحدث بما أعطاك الله،و فضلك،و رزقك،و أحسن إليك،و هداك (۱).

ثانيا:أن يرى أثر نعمته على حياته،فلا يبخل على نفسه مما رزقه اللّه،مما يخالف حاله الترهب الذى نهى عنه الإسلام

فقد جاء فى الحديث المأثور عن الامام أمير المؤمنين-عليه السلام- حين اشتكى اليه الربيع بن زياد أخاه عاصم بن زياد،و قال:انه لبس العباءه،و ترك الملا،و أنه قد غمّ اهله و أحزن ولده بذلک، فقال أمير المؤمنين-عليه السلام-:«علىّ بعاصم بن زياد»فجىء به فلما رآه عبس فى وجهه و قال له:أما استحيت من أهلک،أما رحمت ولدک؟أ ترى اللّه أحل لک الطيبات،و هو يكره أخذک منها!أنت أهون على اللّه من ذلک،أو ليس اللّه يقول: وَ الْأَرْضَ وَضَعَهٰا لِلْأَنٰامِ* فِيهٰا فٰاكِهَةٌ وَ النَّخْلُ ذٰاتُ الْأَكْمٰامِ أو ليس يقول: مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيٰانِ* بَيْنَهُمٰا بَرْزَخٌ لاٰ يَبْغِيٰانِ الى قوله: يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجٰانُ فباللّه لابتذال نعم اللّه بالفعل أحبّ اليه من ابتذالها بالمقال، فقد قال عز و جل: وَ أَمّٰا بِنِعْمَهِ رَبِّکَ فَحَدِّثْ فقال عاصم:يا أمير المؤمنين! فعلى ما اقتصرت فى مطعمک على الجشوبه،و فى ملبسک على الخشونه؟فقال:

«ويحک!إن اللّه عز و جل فرض على أئمه العدل ان يقدّروا أنفسهم بضعفه الناس كيلا يتبيغ بالفقير فقره»فالقى عاصم بن زياد العباء و لبس الملاء (۲).

و ينبغى أن يأخذ الإنسان من زينه الحياه الدنيا بقدر حاجته،

فقد روى عن رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و اله-أنه قال: «إنّ اللّه جميل يحب الجمال،و يحب أن يرى أثر نعمته على عبده» (۳).

۱- ۱) المصدر.

۲- ۲) المصدر ص ۶۰۱.

۳- ۳) القرطبى ج ۲۰ ص ۱۰۲.

ثالثا:شكر من أنعم عليه من أرباب النعم،و الإنفاق على الآخرين،

فقد جاء فى الحديث المأثور عن النبى-صلّى اللّه عليه و اله-: «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير،و من لم يشكر الناس لم يشكر اللّه،و المتحدّث بالنعم شكر،و تركه كفر، و الجماعه رحمه،و الفرقه عذاب» (1).

و بقى ذكر رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و اله-خالدا رغم أنف المعاندين له، فقد روى عن معاويه أنه سمع المؤذن يقول:اشهد ان لا إله الا اللّه و ان محمدا رسول اللّه،فلم يملك إهابه،و اندفع يقول:

«للّه أبوك يا ابن عبد اللّه،لقد كنت عالى الهمه،ما رضيت لنفسك إلا ان يقرن اسمك باسم رب العالمين» (2)و روى مطرف بن المغيره قال:وفدت مع أبى على معاويه،فكان أبى يتحدث عنده ثم ينصرف إلى،و هو يذكر معاويه و عقله،و يعجب بما يرى منه،و اقبل ذات ليله،و هو غضبان فأمسك عن العشاء،فانتظرته ساعه،و قد ظننت انه لشىء حدث فينا أو فى عملنا،فقلت له:مالى أراك مغتما منذ الليله؟قال:يا بنى!جئتك من أخبث الناس،قال: ما ذاك؟ قال:خلوت بمعاويه فقلت له:إنك قد بلغت مناك يا أمير المؤمنين!فلو أظهرت عدلا و بسطت خيرا،فانك قد كبرت،و لو نظرت الى إخوتك من بنى هاشم فوصلت أرحامهم فواللّه ما عندهم اليوم شىء تخافه.

فثار معاويه و اندفع يقول:

١- ١) المصدر.

٢- ٢) حياه الامام الحسين/باقر شريف القرشى/ج ٢ ص ١٥١.

«هیهات!!هیهات ملک أخو تیم فعدل،و فعل ما فعل،فواللّه ما عدا ان هلک ذکره،إلا أن یقول قائل:ابو بکر،ثم ملک أخو عدی فاجتهد و شمر عشر سنین، فواللّه ما عدا ان هلک ذکره،الا أن یقول قائل:عمر،ثم ملک أخونا عثمان،فملک رجل لم یکن أحد فی مثل نسبه،فعمل به ما عمل فواللّه ما عدا ان هلک ذکره،و ان أخا هاشم یصرخ به فی کل یوم خمس مرات:اشهد ان محمدا رسول اللّه،فأی عمل یبقی بعد هذا،لا أمّ لک إلاّ دفنا دفنا..» (1).

1- 1) شرح نهج البلاغه لابن الحدید المعتزلی/ج 2 ص 297.

سوره الشّرح

اشاره

ص:۱۸۳

الإطار العام

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

جاء فی النصوص المأثوره عن أهل البیت-علیهم السلام- أن هذه و ما سبقتها کسوره واحده،یجوز الجمع بینهما فی صلاه فریضه بخلاف غیرها ،

فقد روی عن الصادق-علیه السلام-أنه قال: «لا یجمع سورتین فی رکعه واحده إلاّ الضحی و ألم نشرح،و ألم تر کیف و لإیلاف» (1)و ذلک لتعلق إحداهما بالأخری،و السؤال:کیف؟ إنّ اللّه سبحانه عدّد طائفه من مننه علی الرسول فی السوره الاولی،و بین طائفه أخری فی الثانیه،و لعلّ السوره الاولی تتصل بالنعم الشخصیه،بینما الثانیه تبین النعم المتصله به کصاحب رساله.

و یؤیّد الوصل بینهما ما

روی عنه-صلّی اللّه علیه و اله- من سبب نزول السوره حیث قال:سألت ربی مسأله وددت أنی لم أسألها،قلت:یا رب!

ص:185

1- 1) نور الثقلین/ج 5 ص 593

اتخذت إبراهيم خليلاً،و كلمت موسى تكليما،و سخّرت مع داود الجبال يسبحن، و أعطيت فلانا كذا..،فقال عزّ و جلّ:ألم أجدك يتيما فآويتك؟!ألم أجدك ضالا فهديتك؟!ألم أجدك عائلا فأغنيتك؟!ألم أشرح لك صدرك؟! ألم أوتك ما لم أوت أحدا قبلك،خواتيم سوره البقره؟!أ لم أتخذك خليلا كما اتخذت إبراهيم خليلا؟!قلت:بلى يا رب (1)

ص:186

1- 1) القرطبی/ج 20 ص 102

[سوره الشرح (۹۴): الآیات ۱ الی ۸]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ . أَ لَمْ نَشْرَحْ لَکَ صَدْرَکَ (۱) وَ وَضَعْنٰا عَنْکَ وِزْرَکَ (۲) اَلَّذِی أَنْقَضَ ظَهْرَکَ (۳) وَ رَفَعْنٰا لَکَ ذِکْرَکَ (۴) فَإِنَّ مَعَ اَلْعُسْرِ یُسْراً (۵) إِنَّ مَعَ اَلْعُسْرِ یُسْراً (۶) فَإِذٰا فَرَغْتَ فَانْصَبْ (۷) وَ إِلیٰ رَبِّکَ فَارْغَبْ (۸)

اللغه

۷ فَرَغْتَ :قیل:ان الفراغ هو الهم و الحزن،و استدلوا بقوله:

« وَ أَصْبَحَ فُؤٰادُ أُمِّ مُوسیٰ فٰارِغاً إِنْ کٰادَتْ لَتُبْدِی بِهِ »أی مهموما محزونا،و علی هذا المعنی:فاذا أصابک الهم،فانصب للّه قائما.

ص:۱۸۷

ألم نشرح لک صدرک

بينات من الآيات:

(١)هكذا جاء الخطاب الالهى لرسوله يفيض حنانا و عطفا،و يذكر المسلمين بفضيله رسولهم،و يلقى حبه و احترامه فى روعهم،و يقول:

أَ لَمْ نَشْرَحْ لَکَ صَدْرَکَ لقد بلغ محمد بن عبد اللّه-صلّى اللّه عليه و اله-أسمى درجه من الكمال مما لم يبلغ أحد قبله،و لا يمكن لأحد أن يبلغه غيره،كل ذلك بفضل اللّه و منّه و توفيقه،و علينا أن نميّز تماما بين إكرام مخلوق لكرامته عند اللّه،و وصفه بالكمال الذى حباه ربه و إعظامه؛لانّ اللّه أمر بذلک و فى حدود أمر اللّه،و بين أن نفعل مثل ذلک بعيدا عن اللّه..ألا ترى أنّنا حين نشهد للنبى بالرساله فى الصلاه،نقول:

و أشهد أنّ محمدا عبده و رسوله،فلما ذا نؤكّد على أنّه عبد اللّه؟أحد أسباب ذلك لكى لا يدفعنا حبنا للرسول إلى الغلو فيه،كما فعل النصارى فى ابن مريم

-علیهما السلام-.

و الآیات فی سوره الضحی و هذه ترفع شأن الرسول إلی أسمی المراتب،و لکن بصیغه تنفی فی ذات الوقت بدعه الغلو التی ابتلیت بها الأمم فیما یتصل بالصالحین منهم،و إنّک لتری-مع کل هذا الوضوح فی التعبیر-أنّ عامّه المسلمین لا تخلوا نظراتهم حول النبی و سائر أولیاء اللّه من شوائب الغلو،جهلا بأنّ مقاماتهم السامیه لیست بذواتهم،بل بما حباهم اللّه سبحانه،و إلاّ فهم بشر کسائر البشر لولا رحمه اللّه.

و قد شرح اللّه صدر النبی بالایمان،و شرحه بالیقین،و شرحه بالرساله،حتی جعله یتحمل ما تشفق الجبال من حمله،حتی واجه ذلک المجتمع الجاهلی الفظ الجافی الحاد العنیف بتلک الأخلاق الحمیده التی نعتها اللّه جل ثناؤه بالقول:

وَ إِنَّکَ لَعَلیٰ خُلُقٍ عَظِیمٍ (۱).

لقد وسع قلبه لما مضی من الزمان و لما قد یأتی،و هیمن بقلبه الکبیر علیهما جمیعا،و لا یزال الزمن یتقدم و یتطور و رسول اللّه یقوده و حتی قیام الساعه.

و لقد شرح اللّه صدر الرسول بأولئک الصفوه من أصحابه الذین حملوا رسالته، و تابعوا مسیرته و فی طلیعتهم ابن عمه الامام علی-علیه السلام-الذی کان منه بمنزله هارون من موسی-حسب الحدیث المتفق علیه-أو لم یؤید اللّه کلیمه موسی -علیه السلام-بأخیه هارون،و کان استجابه لدعائه،حیث قال: رَبِّ اشْرَحْ لِی صَدْرِی الی قوله: وَ اجْعَلْ لِی وَزِیراً مِنْ أَهْلِی* هٰارُونَ أَخِی .

(۲)حینما یشرح اللّه القلب بالایمان فإنه یتسع للمشاکل و الصعاب،و یقدر

ص:۱۸۹

۱- ۱) القلم۴/

على مواجهه أعتى التحديات،أو تدرى كيف؟لان القلب يومئذ يضحى طاهرا من وساوس الشيطان،نقيّا من رواسب الشرك،بعيدا عن أغلال التبرير و الخداع الذاتى،سليما من البغضاء و الضغائن و الحسد و الظنون و التمنيات،و آنئذ يكون صاحبه خفيف المؤنه،نشيط التحرك،كما لو نشط من عقال،و لعل القرآن يشير الى ذلك بقوله:

وَ وَضَعْنٰا عَنْكَ وِزْرَكَ لان الوزر هو الحمل الثقيل،و وضع الحمل رفعه،فأى حمل أشدّ ثقلا من حب الدنيا،و الخوف من أهلها،و التثاقل إلى الأرض؟و نجد تأييد ذلك

فى الحديث المأثور عن النبى-صلّى اللّه عليه و اله- حيث سئل فقيل له:يا رسول اللّه!أ ينشرح الصدر؟قال:«نعم»قالوا:يا رسول اللّه!و هل لذلك علامه يعرف بها!قال:

«نعم.التجافى عن دار الغرور،و الانابه إلى دار الخلود،و الاعداد للموت قبل نزول الموت» (1)فاذا كان شرح الصدر-فى حسب هذا الحديث-يتم بالتجافى عن الدنيا، فان وضع الوزر يكون أحد مظاهره،كما نجد تصديق ذلك فى قوله سبحانه صفه الرسول: وَ يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَ الْأَغْلاٰلَ الَّتِي كٰانَتْ عَلَيْهِمْ (2)و الإصر هو الحمل الثقيل،و قد فسرت بالشرك و الخرافات،كما أن أحد معانى الأغلال:القيود النفسيه التى تمنع التحرك.

و قد تم كل ذلك بالوحى المتمثل فى الكتاب،و أى مؤمن ليستفيد منه نصيبا عند ما يتلوه حق تلاوته،فينشرح به صدره و يتخفف عن وزره و أثقاله.

1- 1) نور الثقلين/ج 5 ص 603

2- 2) الأعراف157/

(۳)و أیّ وزر عظیم هو ضیق النفس و حرج القلب؟!إنه ینقض ظهر صاحبه،و بالذات إذا حمل رساله اللّه إلی العالمین،انه وقر کبیر لا یقدر علیه إلاّ من شرح اللّه صدره بالایمان و الیقین و التوکل علیه،و تفویض الأمر الیه،هکذا قال شعیب-علیه السلام-حینما تحدی فساد قومه و قال: إِنْ أُرِیدُ إِلاَّ الْإِصْلاٰحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَ مٰا تَوْفِیقِی إِلاّٰ بِاللّٰهِ عَلَیْهِ تَوَکَّلْتُ وَ إِلَیْهِ أُنِیبُ (۱).

اَلَّذِی أَنْقَضَ ظَهْرَکَ قالوا:أی أثقله،حتی سمع نقیضه،و هو صریره الذی یکون من شدّه الحمل.

(۴)عند ما یخلص العبد لربه حیاته،و یصفو من أدران الدنیا و مصالحها و شهواتها،و یتخلص من قیود الماده أو أغلالها فإنه یصبح قرین الرساله،یسمع بها،و یعلو ذکره بسبب تصدّیه لنشرها و ذوبانه فی بوتقتها،کذلک سید المرسلین استخلصه اللّه لنفسه،فأصبح ذکره قرین ذکر اللّه،و طاعته امتدادا لطاعه اللّه، و کلامه و سنته و سیرته و آدابه جزء من احکام اللّه،فقال ربنا سبحانه: وَ مٰا آتٰاکُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مٰا نَهٰاکُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا (۲)هکذا رفع ذکره،الا ترى کیف یهتف المؤذنون باسمه مع کل شارقه و غاربه،و عبر ملایین الحناجر المؤمنه.

وَ رَفَعْنٰا لَکَ ذِکْرَکَ و ذکر الرسول مرفوع فی الدنیا بتأیید اللّه لدینه الذی یظهره علی الدین کله و بقبول شفاعته فی الاخره التی یرضیه بها،و الیوم و بعد أربعه عشر قرنا من نزول القرآن الکریم نجد اسم الرسول محمد-صلّی اللّه علیه و اله-هو أشهر اسم فی العالم،و شخصیته الکریمه أحب الی قلوب الملایین من أیّ شخصیه أخری،و إذا

۱- ۱) هود/۸۸

۲- ۲) الحشر/۷

ذكروا أعظم شخصيه عبر التاريخ فسوف يكون هو الاول،لا ريب حتى عند غير المسلمين.

(۵)من يتيم عائل يحيط به الأعداء اضحى رسول اللّه سيّد قومه،ثم بانى أمه، ثم شيّد البشريه جميعا،من فعل ذلك به أو ليس اللّه؟فلما ذا نيأس من روحه، و نتراجع ببعض الأذى الذى يصيبنا فى سبيله؟ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً انه يلازمه أنى سار،لان العسر يحمل فى ذاته بذور اليسر،و لان العسر حاله عابره فى حياه الإنسان،أ و ليس قد خلق اللّه الخلائق ليرحمهم،و انما يبتليهم بالعسر و الشده؟أو ليس قد سبقت رحمه ربنا غضبه؟إذا فالعسر لا يدوم،و الدليل على ذلك سيره الرسول التى أخلدها القرآن للعبره بها،لأنها مثل أعلى لحياتنا نحن المسلمين،نتبع هداها فيرزقنا اللّه روحها و عقباها،و بتعبير آخر:الذى يتبع سيره الرسول بقدر أو آخر فإنّ الخطوط العريضه لحياته سوف تتشابه مع تلك السيره فى عسرها و يسرها،فى صعابها و فى عواقبها الحسنى.

و لقد قال ربنا سبحانه: لَكُمْ فِى رَسُولِ اللّهِ أُسْوَهٌ حَسَنَهٌ (۱)فمن تأسى برسول اللّه فى حياته حصل على جزء من مغانم سيره الرسول و مكتسباتها.

(۶)وراء العسر الواحد يسران:يسر فى الدنيا و آخر فى الاخره،يسر نابع من رحمه اللّه التى وسعت كل شىء، و يسر منبعث من الصبر و الاستقامه،و بالتالى من رحمه اللّه الخاصه بالمؤمنين،لذلك كرّرت الايه:

إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً

۱- ۱) الأحزاب/۲۱

قالوا:إن من عاده العرب إذا ذكروا اسما معرّفا ثم كرروه فهو هو،و إذا نكّروه ثم كرروه فهو غيره،و هما اثنان ليكون أقوى للأمل و أبعث للصبر.

و لذلک

جاء فی الحدیث المروی عن الرسول-صلّی اللّه علیه و اله-: أنّه خرج مسرورا فرحا،و هو یضحک،و یقول:«لن یغلب عسر یسرین!» (۱)و جاء علی لسان الشاعر:

إذا ضاقت بک الأحوال یوما توسّل بألم نشرح

تجد عسرین مع یسرین لا تحزن و لا تفرح

(۷)کیف جعل اللّه مع عسر واحد یسرین إثنین؟إنما بتوکل المؤمن علی ربه، و اجتهاده فی العمل،حتی إذا فرغ من مسئولیه لمسؤولیه أخری فمن دون توان أو انقطاع.

فَإِذٰا فَرَغْتَ فَانْصَبْ قالوا:فإذا فرغت من الصلاه فانصب للدعاء،قبل أن تقوم من مقامک،أو إذا فرغت من أمور الدنیا فانصب للعباده،أو إذا فرغت فی نهارک عن أمور الخلق فانصب باللیل فی طاعه الحق.

و یبدو أن کل هذه المعانی صحیحه لان الکلمه تسعها، و معناها-فیما یظهر-الفراغ من عمل و الاجتهاد فی عمل جدید،و العمل الاول یکون أسهل من الثانی لأنه قد بذل جهده فیه،و لذلک جاء التعبیر ب«فانصب».

ذلک أن القلب المتّقد شوقا إلی رضوان اللّه،و ولها الی الزلفی منه لا ینی یحمل

۱- ۱) نور الثقلین/ج ۵ ص ۶۰۴

الجسد على الأعمال الصالحه،لا يفرغ من واحد حتى تراه يشتغل بالثانى و يجتهد فيه و ينصب لتحقيقه،إنّ نفسه منه فى نصب لان أهدافه كبيره،و تحسّسه بالزمن و سرعه انصرامه عنه،و بالموت و تسارع خطاه إليه،و بالأجل الذى لا يستأخر و لا يستقدم ساعه حلوله،و بالقبر الذى ينتظره لنومه طويله،و بالحساب ينتظره بكل هيبته و دقّته..أقول:إن عمق تحسّسه بكل ذلك يقضّ مضجعه،و يسلب راحته،و يلهيه عن اللهو،و يشغله عن اللعب،و يصوّمه عن لذّات الدنيا إلاّ بقدر حاجته،و يزهّده فى درجاتها الزائله.

هكذا كان أولياء اللّه الصالحين و لا يزالون فطوبى لهم ثم طوبى لهم،و هكذا تجدهم عند نزول الموت بهم يتحسرون لا لفراق الأحبه،و انعدام لذات الدنيا.

كلا..و إنما لأنهم بالموت يفقدون لذه قيامهم بالليل و مناجاتهم مع رب العباد،كما يفقدون لذّه العطش فى صيام الهواجر.

كذلك

يصفهم الامام على-عليه السلام-فى خطبه المتقين حيث يقول:

«و لولا الأجل الّذى كتب اللّه عليهم لم تستقرّ أرواحهم فى أجسادهم طرفه عين،شوقا إلى الثّواب،و خوفا من العقاب.عظم الخالق فى أنفسهم فصغر ما دونه فى أعينهم،فهم و الجنّه كمن قد رآها،فهم فيها منعّمون،و هم و النّار كمن قد رآها،فهم فيها معذّبون.قلوبهم محزونه،و شرورهم مأمونه،و أجسادهم نحيفه، و حاجاتهم خفيفه،و أنفسهم عفيفه.صبروا أيّاما قصيره أعقبتهم راحه طويله.تجاره مربحه يسّرها لهم ربّهم.أرادتهم الدّنيا فلم يريدوها،و أسرتهم ففدوا أنفسهم منها.أمّا اللّيل فصافون أقدامهم،تالين لأجزاء القرآن يرتّلونها ترتيلا.يحزّنون به أنفسهم و يستثيرون به دواء دائهم.فإذا مرّوا بآيه فيها تشويق ركنوا إليها

طمعا،و تطلّعت نفوسهم إليها شوقا،و ظنّوا أنّها نصب أعينهم.

و إذا مرّوا بآيه فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم،و ظنّوا أنّ زفير جهنّم و شهيقها فى أصول آذانهم،فهم حانون على أوساطهم، مفترشون لجباههم و أكفّهم و ركبهم،و أطراف أقدامهم،يطلبون إلى اللّه تعالى فى فكاك رقابهم.و أمّا النّهار فحلماء علماء،أبرار أتقياء.قد براهم الخوف برى القداح ينظر إليهم النّاظر فيحسبهم مرضى،و ما بالقوم من مرض؛و يقول:لقد خولطوا!» (۱)و قد كان رسول اللّه المثل الأعلى لهذه الصفات،فقد قام الليل حتى تورمت قدماه، و عانى من الجوع حتى شد على بطنه حجر المجاعه،و طلبته الدنيا فكشح عنها.

و لم يزل خلال أيام رسالته المحدوده يهدم بنى الجاهليه فى كلّ يوم ليقيم مكانها صرح الإسلام،فما فرغ من مهمّه الا لينصب للثانيه،حتى إذا أكمل اللّه به الدين نصب نفسه لمهمه الخلافه من بعده،فاستوزر عليا-عليه السلام-إماما من بعده،و كانت تلك أصعب مراحل حياته،حيث واجه مخالفه واسعه من بعض أصحابه و لكنه نهض به بكل عزم و استقامه.

من هنا

جاء فى تفسير الآيه عن الامام الصادق-عليه السلام-: «فإذا فرغت من نبوتك فانصب عليّا،و إلى ربّك فارغب فى ذلك» (۲) (۸)و ما الذى يجعل المؤمنين فى حركه ذاتيه،و نشاط لا ينقطع؟إنه حب اللّه و الرغبه اليه،و من و له بأحد استسهل الصعاب من أجله،و أى حبّ أكبر فى صدور المؤمنين من حبهم للّه و قد قال اللّه: وَ الَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلّٰهِ (۳)لذلك جاء النداء

۱- ۱) نهج البلاغه/خ ۱۹۳ ص ۳۰۳

۲- ۲) تفسير نور الثقلين/ج ۵ ص ۶۰۵

۳- ۳) البقره۱۶۵/

للرسول و من خلاله للامه:

وَ إِلىٰ رَبِّکَ فَارْغَبْ لقد کان قلبه عند ربه،تنام عیناه و لا ینام قلبه،و کان إذا جنّ علیه اللیل تفرغ للابتهال و الاجتهاد،دعنا نستمع الی قصه ترویها عائشه عن قیامه باللیل، حسبما

جاء فی روایه الامام الصادق-علیه السلام-قال: کان لیله النصف من شعبان و کان رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و اله-عند عائشه،فلما انتصف اللیل قام رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و اله-عن فراشه،فلما انتبهت وجدت رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و اله-قد قام عن فراشه،فداخلها ما یدخل النساء (ای الغیره)و ظنّت أنه قام إلی بعض نسائه،فقامت و تلففت بشملتها-و أیم اللّه ما کانت قزّا و لا کتانا و لا قطنا،و لکن سداه شعرا و لحمته أو بار الإبل-فقامت تطلب رسول اللّه فی حجر نسائه حجره حجره فبینما هی کذلک إذ نظرت إلی رسول اللّه ساجدا کثوب متلبّد بوجه الأرض،فدنت منه قریبا فسمعته یقول فی سجوده:

«سجد لک سوادی و خیالی،و آمن بک فؤادی،هذه یدای و ما جنیته علی نفسی،یا عظیم!ترجی لکلّ عظیم،اغفر لی العظیم،فإنه لا یغفر الذّنب العظیم إلاّ الربّ العظیم».

ثم رفع رأسه و أهوی ثانیا الی السجود،و سمعته عائشه یقول:

«أعوذ بنور وجهک الذی أضاءت له السموات و الأرضون،و انکشفت له الظلمات،و صلح علیه أمر الأولین و الآخرین من فجأه نقمتک،و من تحویل عافیتک،و من زوال نعمتک.اللهم ارزقنی قلبا تقیّا نقیّا،و من الشرک بریّا،

لا کافرا و لا شقیّا» ثم عفر خدیه فی التراب و قال:«عفّرت وجهی فی التراب و حقّ لی أن أسجد لک» (۱)

ص:۱۹۷

۱- ۱) مفاتیح الجنان(اعمال النصف من شعبان)ص ۱۶۹

سوره التين

اشاره

ص:۱۹۹

بسم اللّه الرحمن الرحيم

فضل السوره

فی کتاب ثواب الأعمال للشیخ الصدوق،بإسناده عن أبی عبد اللّه الصادق -علیه السلام-أنه قال: «من قرأ«و التین»فی فرائضه و نوافله أعطی من الجنّه حیث یرضی».

تفسیر نور الثقلین/ج ۵ ص ۶۰۶

ص:۲۰۱

الإطار العام

من لا يضع معلوماته فی إطار علمی رصین لا ینتفع بها شیئا،و القرآن الکریم یمنحنا ذلک الإطار.أ رأیت لو لم تعرف نفسک من أنت،من أین جئت،و الی أین تذهب،و ماذا یصلحک،و ماذا یضربک،کیف تستطیع أن تنتفع بمعلوماتک عما حولک؟فهل تفیدک معرفه الدواء لو لم تعرف المریض و مرضه؟ و سوره التین تهدینا الی بصیره الذات..و التی هی تمهید لبصائر الحیاه،بل هی خلاصتها.

ص:۲۰۲

سوره التين

[سوره التين (۹۵): الآيات ۱ الى ۸]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . وَ اَلتِّينِ وَ اَلزَّيْتُونِ (۱) وَ طُورِ سِينِينَ (۲) وَ هٰذَا اَلْبَلَدِ اَلْأَمِينِ (۳) لَقَدْ خَلَقْنَا اَلْإِنْسٰانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (۴) ثُمَّ رَدَدْنٰاهُ أَسْفَلَ سٰافِلِينَ (۵) إِلاَّ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (۶) فَمٰا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (۷) أَ لَيْسَ اَللّٰهُ بِأَحْكَمِ اَلْحٰاكِمِينَ (۸)

اللغه

(طور سينين):قيل:هو جبل الطور بسيناء،و قيل:كل جبل ذا شجر مثمر.

(ممنون):الممنون:المقطوع،يقال:منّه السير يمنّه منّا إذا قطعه،و المنين:الضعيف.

ص:۲۰۳

ألیس اللّه بأحکم الحاکمین

بینات من الآیات:

(۱)و تفتتح هـذه السوره بالقسم بما یصلح إطارا لهـذه البصـیره.فما هو التین و الزیتون؟ وَ التِّینِ وَ الزَّیْتُونِ تتمیز الفاکهه عن سائر الطعام بسهوله تناولها دون معالجه،فاللحم لا یستساغ نیّا،و الحبوب بحاجه الی معالجه و إعداد،بینما العنب مثلا یجنی و یؤکل بلا معـالجه، بینما یتمیز أنواع من الطعام بامکانیه تخزینه،و بزیاده فوائـده للجسم،بیـد أنّ ألوانا من الفاکهه تجمع إلی میزاتها کفاکهه میزات الطعام،بإمکانیه تخزینها و غناها بالمواد الضروریه للجسد و منها التین،فهی سهله التناول کأنها قد صنعت بقدر فمک، طیّبه المذاق،جلیله الفائده،تجفّف لاوقات الحاجه،و

قد روی عن رسول اللّه -صلّی اللّه علیه و آله-فی فضلها أنه قال: «لو قلت أن فاکهه نزلت من الجنه

لقلت هذه هى،لان فاكهه الجنه بلا عجم،فكلوها فإنها تقطع البواسير،و تنفع من النقرس» (1).

و كـذلك فـاكهه الزيتون التى هى من أعظم الفواكه نفعا للجسـد و بالـذات لان زيتها يعتبر الـدهن النادر الـذى لا يضـر الجسـد شيئا،و

جاء فى حديث مأثور عن النبى -صلّى اللّه عليه و آله-: «كلوا الزيتون و ادّهنوا به فإنه من شجره مباركه» (2).

(2)فى كنف جبل مشجّر تحلو الحياه لما فيه من فوائد و منظر و حمايه،من هنا جاء ذكر الطور بعد ذكر طعام الإنسان فقال ربنا:

وَ طُورِ سِينِينَ و قيل فى معنى«سـينين»الحسن باللغه السـريانيه،و قيل:ان كل جبل ذا أشـجار مثمره يسمى بسينين،فقد قال مقاتل و الكلبى:«سينين»كلّ جبل فيه شجر مثمر (3).

(3)و أنى كان فإن الصوره تنسجم مع القسم بالتين و الزيتون من جهه و بالبلد الأمين من جهه أخرى،حيث قال ربنا سبحانه:

وَ هٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ذلك أن أصول مـدنيّه الإنسان:الطعام،و الأرض،و السـلام.فإذا كان التين و الزيتون مثلا لارقى أنواع الطعام،و طور سينين لأحسن الاراضى و أكثرها بركه، فان البلد الأمين مثل لأفضل البلاد و هى بلاد الأمن،و يتناسب هذا الإطار مع

1- 1) نور الثقلين ج 5 ص 607.

2- 2) القرطبى ج 20 ص 112.

3- 3) المصدر.

محور السوره المتمثل فی خلق الإنسان بأحسن تقویم،ذلک لان تسخیر الحیاه له، و إعداد طعامه و أرضه،و توفیر الأمن،و بالتالی توفیر وسائل المدنیّه له بعض جوانب حسن صنعه إلیه، و جمیل عطائه له.

و قد فسرت هذه الکلمات تفسیرات أخری لا تتنافی وسعه کلمات القرآن و تخومها المتعدده،فقالوا: اَلْبَلَدِ الْأَمِینِ: مکه شرفها اللّه وَ طُورِ سِینِینَ: الجبل الذی نادی اللّه جل ثناؤه فیه موسی-علیه السلام-أما اَلتِّینِ فقیل:انه البیت المقدس أو المسجد الحرام أو مسجد دمشق،بینما الزیتون الجبل الذی علیه بیت المقدس،أو ان التین هو مهبط سفینه نوح حیث جبل الجودی.

و

جاء فی روایه مأثوره عن النبی-صلّی اللّه علیه و آله-: ان اللّه تبارک و تعالی اختار من کل شیء أربعه.إلی أن قال:و اختار من البلدان أربعه:فقال تعالی: وَ التِّینِ وَ الزَّیْتُونِ* وَ طُورِ سِینِینَ* وَ هٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِینِ فالتین:المدینه، و الزیتون:بیت المقدس،و طور سینین:الکوفه،و هذا البلد:مکه (1).

(۴)قسما بتلک الدیار المقدسه.و قسما بتلک النعم التی تصنع حضاره البشر إن الإنسان قد خلق خلقا سویّا حسنا.

لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسٰانَ فِی أَحْسَنِ تَقْوِیمٍ تتجلی قدره اللّه فی صنع جسده،من استقامه قامته،إلی شبکه أعصابه،الی قدرات مخه،الی مرونه جسمه و ما فیه من قدره احتمال للظروف المختلفه،مما یدل علی أنه قد اعدّ لدور أعظم من مجرد دوره الحیاتی أو البنائی؛إنه لیس مجرد فرد متطوّر،أنه مخلوق مکرّم،سخر اللّه له الأحیاء و النباتات و الطبیعه،فاذا دوره

۱- ۱) نور الثقلین ج ۵ ص ۶۰۶.

الحقیقی لیس فی جسمه و إنما فی روحه،فی تلک الومضه المبارکه من نور المشیئه التی منح من دون سائر الأحیاء،فی ذلک القبس من نور العقل و العلم و المعرفه الذی زود به و میز به عن سائر الخلائق.

و هذا المعنی هو الذی ینسجم مع سیاق السوره،فالقوام الحسن الذی منّ اللّه به علی الإنسان لیس تقویم جسده فقط؛لان هذا التقویم مقدمه لما هو أهم و هو قوام روحه؛و لان المؤمن و الکافر یشترکان فیه،و لا معنی لردّ الکفار وحدهم إلی أسفل سافلین.

إن الإنسان قد خلق لیکون ضیف ربه الأعلی فی جنان الخلد،لیکون جلیس مقعد صدق عند ملیک مقتدر،لیکون مثل ربه العظیم یقول:للشیء کن فیکون، لیکون فی خطّ ذلک الإنسان الذی یعرج الی ربه و یعرج حتی یکون قاب قوسین أو أدنی.

(۵)و لکن هذه الفرصه المبارکه التی منحت له تنعکس تماما عند ما لا یستفید منها،فیکون کالمتسلق جبلا عظیما ان زلت قدمه هوی إلی الوادی السحیق.

ثُمَّ رَدَدْنٰاهُ أَسْفَلَ سٰافِلِینَ إلی این؟إلی جهنم و ساءت مصیرا،حیث یتمنی لو یکون ترابا.

(۶)ما دام الإنسان قد خلق فی أحسن تقویم فلیترک نفسه مع الأقدار تحمله أنی اتجهت؟کلا..إذ أن ذلک یؤدی به الی أسفل سافلین،لا بد من الوعی و النشاط حتی لا یهبط الی الدّرک الأسفل،و مثله فی ذلک مثل الذی یوضع فی قمه جبل سامق،فتهب علیه عاصفه شدیده ان لم یستخدم کل وعیه و قوته و عزمه لطوّحت به الی الوادی.

هكذا استثنى الذكر اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ فقط،و هم الذين يبقون فى القمه حيث و جعلهم اللّه.

إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ لا ينقطع أجرهم،و تتواتر عليهم نعم اللّه،أو ليس ربّنا لا تزيده كثره العطاء إلاّ جودا و كرما.

(٧)لا يحتاج أى حيوان إلى العنايه فى أمور حياته بقدر ما يحتاج الإنسان، فالطفل البشرى تتضاءل احتمالات بقائه من دون عنايه مناسبه قد يظل يعتمد على والديه فتره طويله،كما أن الإنسان نفسه لا يملك وسائل دفاعيه كافيه فى مقاومه سائر الاخطار،بينما أوتى كل حيوان أدوات كافيه للدفاع،بينما أوكل هذا الأمر بالنسبه إلى الإنسان الى عقله و ذكائه،كل ذلك يدل على أنه مخلوق متحضّر،يحتاج فى وجوده و فى تكامله الى النظام.

فَما يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ما الذى يدعوك إلى تكذيب الجزاء أيها الإنسان!و من دون الايمان بالجزاء لا يمكن أن يبقى الإنسان حيث جعله اللّه فى قمه الخلائق،كما أنّه من دون الايمان بالجزاء لا معنى للالتزام بالدين(الشريعه)بينما الدين ضروره عقليه يهتدى إليها الإنسان،أليس الإنسان قد خلق اجتماعيا فهو بحاجه الى نظام،و أفضل نظام هو الذى يوحى به الرب،أو ليس فى الإنسان فرص التكامل الروحى و التقرب إلى اللّه، فهو إذا بحاجه الى رسل و رسالات ينجزون له هذه الفرص،و من جهه أخرى:

الا تجدون الإنسان كيف ينهار إلى منتهى الوحشيه و الفساد من دون روادع، فيستخدم ذكاءه و قدراته فى تدمير نفسه،ألم تر كيف نشر الفساد فى البر و البحر؟ ألم تسمع أنباء الحروب العالميه،أو لم تقرأ عما يعده لنفسه من وسائل التدمير؟!كل

ذلک یشـهد علی أن هذا الکائن العظیم لا یتکامل إلا بنظام إلهی عظیم..إنه من دون الدین سفینه جباره بلا ربّان،طائره کبیره بلا طیّار،فما هو مصیره یا تری؟! (٨)و لو لا الجزاء الموعود لکان خلق الإنسان عبثا أو حتی ظلما سبحان اللّه! فکیف یتساوی عند اللّه من یهبط إلی أسـفل سافلین فینشر الفساد فی الأرض، و من یتسامی الی قمه الخیر و الإحسان؟إن ایات اللّه فی الخلیقه تهدینا الی أن ربنا هو أحکم الحاکمین،فتشهد ذلک علی أنه جعل لهذا الإنسان جزاء یبلغه فی یوم الدین.

أَ لَیْسَ اللّٰهُ بِأَحْکَمِ الْحٰاکِمِینَ

جاء فی الحـدیث عن قتاده: و کان رسول اللّه-صـلّی اللّه علیه و آله-إذا ختم هـذه السوره قال:بلی.و أنا علی ذلک من الشاهدین (١).

ص:٢٠٩

١- ١) مجمع البیان/ج ١٠ ص ٥١٢.

سوره العلق

اشاره

ص:۲۱۰

بسم اللّه الرحمن الرحيم

فضل السوره

عن أبى عبد اللّه الصادق-عليه السلام-قال: «من قرأ فى يومه أو ليلته اقرأ باسم ربك ثم مات فى يومه أو ليلته مات شهيدا،و بعثه اللّه شهيدا، و أحياه شهيدا،و كان كمن ضرب بسيفه فى سبيل اللّه عزّ و جل مع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله».

تفسير نور الثقلين/ج ۵ ص ۶۰۸

ص:۲۱۳

الإطار العام

فى نفس ابن آدم كبر دفين،يستثيره شعوره بالغنى،و يذهب به إحساسه بالحاجه،و إذا لم ينتبه الإنسان الى هذا الداء العضال فإن نعم اللّه عليه لا تزيده إلاّ طغيانا،و الطغيان مطيه الهلاك.

و أما إذا تذكر الإنسان،و عرف أنه بذاته جاهل فقير مسكين مستكين،و أنّ اللّه هو الذى علّم بالقلم،و أنّه حينما يقرأ فإنّ اللّه هو الأكرم،أهل الحمد و الكبرياء و ليس هذا المتعلّم الذى يطغى بعلمه و عرف أنّ الثروه نعمه من اللّه لا بدّ من حمد اللّه عليها و شكره لا الطغيان بها،و مواجهه الحق بها،و كذلك الجاه و العشيره.

لو عرف ذلك اطمأنت نفسه،بل استطاع أن يعالج بإذن اللّه كبر ذاته عبر نعم ربه،فكلّما زادت النعم ازداد شكرا للّه و تواضعا لعباد اللّه،و أداء لحقوق اللّه.

هكذا يبدو محور سوره العلق:معالجه طغيان الإنسان عند ما يحظى بنعمه العلم أو المال و الجاه.معالجته بالمزيد من التعبد،و هكذا تختم السوره بالأمر بالسجود الذى هو معراج الإنسان إلى ربه.

ص:۲۱۴

[سوره العلق (۹۶): الآیات ۱ الی ۱۹]

اشاره

بِسْمِ اَللّهِ اَلرَّحْمنِ اَلرَّحِیمِ . اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ اَلَّذِی خَلَقَ (۱) خَلَقَ اَلْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ (۲) اِقْرَأْ وَ رَبُّکَ اَلْأَکْرَمُ (۳) اَلَّذِی عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (۴)
عَلَّمَ اَلْإِنْسانَ ما لَمْ یَعْلَمْ (۵) کَلاّ إِنَّ اَلْإِنْسانَ لَیَطْغی (۶) أَنْ رَآهُ اِسْتَغْنی (۷) إِنَّ إِلی رَبِّکَ اَلرُّجْعی (۸) أَ رَأَیْتَ اَلَّذِی یَنْهی (۹)
عَبْداً إِذا صَلّی (۱۰) أَ رَأَیْتَ إِنْ کانَ عَلَی اَلْهُدی (۱۱) أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوی (۱۲) أَ رَأَیْتَ إِنْ کَذَّبَ وَ تَوَلّی (۱۳) أَ لَمْ یَعْلَمْ بِأَنَّ اَللّهَ
یَری (۱۴) کَلاّ لَئِنْ لَمْ یَنْتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنّاصِیَةِ (۱۵) ناصِیَةٍ کاذِبَةٍ خاطِئَةٍ (۱۶) فَلْیَدْعُ نادِیَهُ (۱۷) سَنَدْعُ اَلزَّبانِیَةَ (۱۸) کَلاّ لا تُطِعْهُ وَ
اُسْجُدْ وَ اِقْتَرِبْ (۱۹)

ص:۲۱۵

إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنى

بينات من الآيات:

(١)لم تكن المره الاولى للوحى و لكنها كانت الاخيره،و كانت العظمى حيث جلجل الوحى فى جبال مكه،و هبط الأمين جبرئيل،و حمل معه نورا يتألق سناه عبر الزمن.

كان النبى محمد-صلّى اللّه عليه و آله-يقلّب وجهه فى السماء ينتظر ساعه الانطلاق الكبير،كان يعلم أنه رسول اللّه و لكن متى يتنزل عليه الوحى ليأمره بأن يصدع بالحق؟هذا الذى كان يبحث عنه بشوق كبير.

كانت الكعبه تستصرخه لينقذها من الصخور الصمّاء التى نصبت من حولها و عبدت من دون اللّه جهارا،و كانت تستنجد به لأنّها حوّلت من بيت اللّه الذى وضعه للناس جميعا،إلى عاصمه مستكبرى قريش، يفرضون باسمها على الجزيره سيادتهم الظالمه.

ص:٢١۶

و كـانت الانسـانيه المعـذّبه فى أرجـاء الجزيره تنتظره بفـارغ الصبر،فهنـا البنـات يقتلن بغير ذنب،و هنـاك يقتلون الأولاد أيضا،و الحقوق تنتهك،و الزنا يتفشى، و الفقر و المسكنه و التخلف أصبحت سمه المجتمع أنّى يمّمت شطرك.

و أمّـا الثقـافه فقـد أصـبحت فى خـدمه الطغاه و المترفين،على أنّها كانت ركاما من الأساطير و الخرافات،و وسـيله لاثاره النعرات العشـائريه،و العصبيـات التـافهه، و المفـاخر الكاذبه،و أداه لتكريس الأحقاد و الضـغائن،و العلاقات الاقتصاديه أصـبحت مجموعه أغلال و قيود على نشاط الإنسان،على انها كانت قائمه على أساس الظلم و القهر و الطبقيه المقيته.

و كانت الأوضاع خارج الجزيره ليست بأحسن أبدا،حيث جرف التحريف و النفاق اتباع موسى و عيسى-عليهما السلام-الى أبعد حدود الضلال.

و كـانت الثقـافه ربّـانيه إلى هـذا الإنسـان الغـارق فى أوحـال الجهل و التخلف، و بعث اللّه أعظم ملائكته الروح القـدس ليؤدب مصطفاه من خلقه،المختار محمد، و بعث جبرئيل الأمين ليلقى فى روعه الوحى.

و إليك بعض ما

جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام فى نهج البلاغه:

«و أشـهد ان محمدا عبده و رسوله،أرسـله بالدين المشـهور،و العلم المأثور، و الكتاب المسطور،و النور الساطع،و الضياء اللامع،و الأمر الصادع.إزاحه للشـبهات،و احتجاجا بالبينات،و تحذيرا بالآيات،و تخويفا بالمثلات و الناس فى فتن انجذم فيها حبل الدين و تزعزعت سوارى اليقين،و اختلف النجر،و تشـتت الأـمر،و ضـاق المخرج،و عمى المصـدر،فالهـدى خامـل،و العمى شامل.عصـى الرحمن،و نصر الشيطان،و خذل الايمان فانهارت دعائمه،و تنكرت معالمه، و درست سبله،و عفت شركه،أطاعوا الشيطان فسلكوا مسالكه،و وردوا مناهله.

بهم سارت أعلامه و قام لواؤه.فى فتن داستهم بأخفافها،و وطئتهم بأظلافها.

و قامت على سنابكها..فهم فيها تائهون حائرون،جاهلون مفتونون.فى خير دار و شر جيران.نومهم سهود،و كحلهم دموع.بأرض عالمها ملجم،و جاهلها مكرم». (۱)

و قال:«ان اللّه بعث محمدا-صلّى اللّه عليه و آله-نذيرا للعالمين،و أمينا على التنزيل،و أنتم معشر العرب على شر دين،و فى شر دار،منيخون بين حجاره خشن،و حيّات صم.تشربون الكدر،و تأكلون الجشب،و تسفكون دماءكم، و تقطعون أرحامكم.الأصنام فيكم منصوبه،و الاثام بكم معصوبه» (۲).

و قال:«أرسله على حين فتره من الرسل،و طول هجعه من الأمم،و اعتزام من الفتن،و انتشار من الأمور،و تلظ من الحروب.و الدنيا كاسفه النور،ظاهره الغرور.على حين اصفرار من ورقها،و إياس من ثمرها،و اغوار من مائها.قد درست منار الهدى،و ظهرت أعلام الردى،فهى متجهمه لأهلها.عابسه فى وجه طالبها.ثمرها الفتنه،و طعامها الجيفه،و شعارها الخوف،و دثارها السيف» (۳).

و قال عليه السلام عن بعثه النبى صلى الله عليه و آله :«بعثه و الناس ضلّال فى حيره،و خابطون فى فتنه.قد استهوتهم الأهواء،و استزلتهم الكبرياء،و استخفتهم الجاهليه الجهلاء.

حيارى فى زلزال من الأمر،و بلاء من الجهل.فبالغ-صلّى اللّه عليه و آله-فى النصيحه،و مضى على الطريقه،و دعا الى الحكمه و الموعظه الحسنه» (۴).

لم يشكك محمد-صلّى اللّه عليه و آله-ان هذا وحى يوحى إليه،لان اللّه

۱- ۱) نهج البلاغه خ ۲ ص ۴۶.

۲- ۲) المصدر خ ۲۶ ص ۶۸.

۳- ۳) المصدر خ ۸۹ ص ۱۲۱.

۴- ۴) المصدر خ ۹۵ ص ۱۴۰.

لا- يختار من رسله من يشك فى وحيه،لم يشك إبراهيم-عليه السلام-أن رؤياه حق فبادر ليقتل ابنه،و لم يشك موسى-عليه السلام-أن الذى يكلمه عند الشجره هو اللّه،فأخذ يناديه بكل جوارحه،و لم تشك مريم أن اللّه قد رزقها غلاما زكيا،كما لم يشك عيسى بن مريم-عليهما السلام-أنه عبد اللّه و رسول اللّه الى بنى إسرائيل،فهل من المعقول أن يشك خاتم النبيين فى ذلك و هو أشرفهم و أعظمهم؟! نور الشمس دليلها،و نور العلم دليله،و اطمئنان اليقين هو ذاته شاهد صدق عليه،و الوحى أشد وضوحا من الشمس،و أبهى ضياء من العلم،و أكبر سكينه و اطمئنان من اليقين.

أو ليس الوحى من اللّه و اللّه شاهد عليه،فكيف يرتاب رسول اللّه فيه،أو ليس اللّه بقادر على أن يرى رسوله ما يجعله على يقين من أمره،أو يبعث الى الناس من لا يزال يشك فى الوحى حاشا للّه!! و أنى لا يمكننى أن اصدق بتلك الروايات التى تنقل حول الرسول، و أنه قال لخديجه بعد ان نزل عليه الوحى:ما لى يا خديجه!و أخبرها الخبر،و قال:خشيت على نفسى،فقالت له:كلا..أبشر فو اللّه لا يخزيك اللّه أبدا،إنك لتصل الرحم، و تصدق الحديث،و تحمل الكلّ و تقرى الضيف،و تعين على نوائب الدهر.

بلى.لا أستطيع أن أفهم هذا النوع من النصوص التى تخالف ظاهر القرآن، و تكون ذريعه للمستشرقين للنيل من رسول الإسلام،و أعتقد أن الرسول كان ينتظر الوحى بفارغ الصبر،فلما نزل عليه جبرئيل عرّفه اللّه بصدقه،فلما نودى:

اِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِی خَلَقَ قرأ:باسم اللّه الرحمن الرحيم،و كانت تلك بدايه الرساله بالرغم من أن فاتحه

الکتاب هی سوره الحمد،إلاّ أنّها کانت فاتحه الکتاب حسب ما قدر اللّه له ان یکون فی صورته النهائیه،بینما کانت الآیات الخمس الأوائل فی سوره العلق فاتحه التنزیل.و من المعروف أن هناک فرقا بین ما أنزل فی لیله القدر حین أنزل الکتاب کله و بین ما نزل منجّما خلال ثلاث و عشرین عاما من دعوه الرسول صلّی اللّه علیه و آله.

من هنا

جاء فی الحدیث:عن الامام الصادق-علیه السلام-: «أول ما نزل علی رسول اللّه بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیمِ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ و آخره إِذٰا جٰاءَ نَصْرُ اللّٰهِ وَ الْفَتْحُ » (۱).

و السؤال:ما هی دلالات هذه الکلمه الاولی من الوحی؟ لعل الوحی کان یفتتح علی البشریه عهد القراءه باعتبارها ظاهره ملازمه للإنسان بعد عهد النبی-صلّی اللّه علیه و آله-و فعلا و بالرغم من وجود ظاهره الکتابه منذ مئات السنین قبل الإسلام إلا أنّها انتشرت بالإسلام بصوره مطرده حتی أصبحت الیوم سمه الإنسان الظاهره.

و القراءه أشد وضوحا من الاستماع،لانّها تفرض التفاعل بین الإنسان و النص الذی یتلی علیه أکثر من مجرد الاستماع إلیه،و ربما سمی لذلک کتاب ربنا بالقرآن.

و لکن القراءه لیست مطلوبه بصفه عامه إنّما التی تکون باسم اللّه،لماذا؟لان اسم اللّه یحدد الهدف من القراءه.لا یکون من أجل التعالی علی الناس،و خدمه الطغاه و تضلیل السذّج من الناس،بل تکون من أجل تزکیه النفس،و خدمه الناس و هدایتهم.

۱- ۱) نور الثقلین ج ۵ ص ۶۰۹.

و حين يكون العلم-و وسيلته القراءه-باسم اللّه ترى الملوك صافين على أبواب العلماء،و الناس ملتفون حولهم،و هم يقودونهم فى معاركهم ضد المترفين و المستكبرين.

(٢)لقد خلق اللّه الإنسان من علقه،من دم جامد يعلق،و من قبل خلقه من ماء مهين،ثم أكرمه حتى فضلّه على كثير مما خلق تفضيلا.أيّه نقله عظيمه كانت بين حالته كعلقه و دم،و بينه كإنسان يمشى سويّا على قدميه؟إن من يعرف قليلا عن خلقه الإنسان و ما أودع اللّه فى جسده و روحه من آيات عظمته لا بد ان ينبهر بتلك النقله العظيمه أليس كذلك؟و لكن نقله عظيمه أخرى تنتظره الآن،هذه المرّه لا بد أن تتم هذه النقله بعزيمه من عنده و رحمه من ربه.هى النقله الحضاريه بين إنسان أمّى و آخر يقرأ باسم ربه،و لعله لذلك جاءت الايه تذكرنا بأصل خلقه الإنسان.

خَلَقَ الْإِنْسٰانَ مِنْ عَلَقٍ و من شك فى قدرته على أن يسمو إلى درجات عاليه فلينظر إلى نعمه اللّه كيف خلقه من علقه،إنه قادر على أن يبعثه خلقا آخر بالعلم و الهدى.

(٣)تعال نفكر فى أبعاد القراءه:كيف علّم اللّه الإنسان الكتابه فأخذ ينقل تجاربه من جيل لاخر،و من أمه لأخرى،و تراكمت التجارب حتى أضحت اليوم سيلا متدفّقا لا تكاد قنواتها العلميه على سعتها تقدر على استيعابها.أ رأيت لو لم يعلّم الإنسان الكتابه هل كان إلاّ مثل فصيل من القرده أو من الانعام.سبحان اللّه! انك ترانا لا زلنا نكفر بنعمه اللّه،بل كلما زادت نعم اللّه على البشر ازدادوا كفرا بها طغيانا،فمن أجل الاّ يصبح العلم سببا للطغيان،و اداه للظلم و الفساد يذكرنا الرب بأنه أنّى تقدم البشر فى آفاق العلم فعليه أن يشكر ربه،و يعترف بأن اللّه هو

الأكرم،لأنه علّم بالقلم،و لم يكن الإنسان شيئا لو لم يعلّمه ربه.

اِقْرَأْ وَ رَبُّکَ الْأَکْرَمُ كما نقول:كل و احمد اللّه،أو اصبر و ربك الكريم،أو أعط و اللّه يخلف على المنفقين،كذلك-فيما يبدو لى-ذكرتنا الايه بأن اللّه هو الأكرم،فأىّ صفه حميده هى منه،فهو الجواد الذى أعطى الإنسان موهبه القلم،و هو الأعلى الذى لا يتسامى أحد فى مدارج العلم و الكمال إلاّ به.

(۴)و من آيات كرمه و حمده أنه علم الإنسان بسبب القلم فلم يكن القلم سوى وسيله،أ رأيت لو قرّرت أن تعلّم الجدار هل يتعلّم شيئا؟أو ليس لأنه ليس بذى أهل للتعلم؟كذلك كلّما تقدم الإنسان فى حقول العلم لا بد أن يزداد لربّه تواضعا، و لا يصبح كفراعنه المال يطغون فى الأرض و يسعون فيها فسادا.

اَلَّذِی عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (۵) عَلَّمَ الْإِنْسٰانَ مٰا لَمْ یَعْلَمْ و هكذا جاءت النصوص تترى فى ضروره التواضع و الزهد عند العلماء:

فقد جاء فى حديث مأثور عن الامام الصادق-عليه السلام-: «تواضعوا لمن تعلمونه العلم،و تواضعوا لمن طلبتم منه العلم،و لا تكونوا علماء جبّارين،فيذهب باطلكم بحقكم» (۱).

عن البرقى مرفوعا إلى أمير المؤمنين-عليه السلام-قال: قال عيسى بن مريم-عليه السلام-:يا معشر الحواريّين!لى إليكم حاجه اقضوها لى،قالوا:

۱- ۱) أصول الكافى ج ۱ ص ۳۶.

قضیت حاجتک یا روح اللّه!فقام فغسل أقدامهم،فقالوا:کنّا نحن أحقّ بهذا یا روح اللّه!فقال:إن أحقّ الناس بالخدمه العالم،إنّما تواضعت هکذا لکیما تتواضعوا بعدی فی الناس کتواضعی لکم،ثم قال عیسی-علیه السلام- بالتواضع تعمر الحکمه لا بالتکبّر،و کذلک فی السهل ینبت الزرع لا فی الجبل (۱).

(۶)و مشکله الإنسان أنه لا یستوعب نعم اللّه،فیطغی بها و یهلک نفسه بذلک و قد یهلک الآخرین معه.أ رأیت لو أعطیت قنبله نوویّه لمن لا یعرف کیف یتصرف بها فطغی بها،أو یکون فی ذلک خیر أم شرّ مستطیر؟ کَلّا إن الإنسان لیس بطبعه فی مستوی استیعاب هذه الحقیقه و هی أن العلم من عند اللّه و علیه الا یطغی به،أو أن المال من عنده سبحانه،و علیه أن یتصرف فیه کما یریده اللّه.

إِنَّ الْإِنْسانَ لَیَطْغیٰ (۷)متی یطغی؟عند ما یحس أنه أصبح غنیّا.

أَنْ رَآهُ اسْتَغْنیٰ أی رأی نفسه قد استغنی،و فی أدب العرب لا یرجع ضمیرین متصلین إلی مصدر واحد،فلا یقال:ضربه،نظرتنی،بل یقولون:ضرب نفسه و نظرت نفسی،إلا أفعال القلوب التی تتعدی الی مفعولین مثل حسب،فیقولون:

(حسبتنی)و قال اللّه تعالی:«أ رأیتک»و رأی هنا لیس بمعنی النظر بالعین إذ ان

۱- ۱) المصدر ص ۳۷.

ذلک من أفعال الجوارح،بل بمعنی النظر بالقلب.

و سیاق الایه یهدینا الی أن خطأ علمیا ینشأ عن الإنسان فیزعم أنه قد استغنی، و یتسع ذلک لاحتمالین:

الاول:أن یری نفسه مستغنیا بما أوتی من علم فینطبق علی علماء السوء کما قال سبحانه: لاٰ تَحْسَبَنَّ الَّذِینَ یَفْرَحُونَ بِمٰا أَتَوْا وَ یُحِبُّونَ أَنْ یُحْمَدُوا بِمٰا لَمْ یَفْعَلُوا (۱)و ینسجم ذلک أیضا مع قوله سبحانه: أَ رَأَیْتَ الَّذِی یَنْهیٰ عَبْداً إِذٰا صَلّٰی إذ ان هذا من شأن علماء السوء و أنصاف المثقفین،الذین یتصدّون لأمور الدین،و یأمرون و ینهون بما تشاء أهواؤهم،و یشیر إلی هذا التأویل

الحدیث المأثور عن الامام علی -علیه السلام- أنه خرج فی یوم عید،فرأی أناسا یصلون فقال:«یا أیها الناس! قد شهدنا نبی اللّه فی مثل هذا الیوم فلم یکن أحد یصلی قبل العید أو قال النبی» فقال رجل:یا أمیر المؤمنین!الاـ تنهی أن یصلوا قبل خروج الامام؟فقال:

«لا أرید أن أنهی عبدا إذا صلی،و لکنا نحدثهم بما شهدنا من النبی أو کما قال» (۲).

و هکذا لا ینبغی لعلماء الدین أن یفرطوا فی الأمر،و التی فیما لا یتصل بالبدع الظاهره فی الامه،فقد ینهون أحدا عن عمل صالح و هم لا یشعرون،کما یفعل بعض المتصدّین للشؤون الدینیه الیوم،یستغلون ثقه الناس فیهم،و فی نهیهم عن التعاون مع المؤمنین أو عن دعم المؤسسات الخیریه لأنها لیست تحت سیطرتهم،أو لأنهم یخالفون الخطّ الذی ینتهجه أصحاب تلک المؤسسات.

الثانی:أن یظنّ أنه مستغن بما أوتی من فضل اللّه،فیزعم أن المال هو کل شیء

۱- ۱) آل عمران۱۸۸/.

۲- ۲) نور الثقلین ج ۵ ص ۶۱۰.

فی حیاته،فلا یأبه بنواقصه و نقاط ضعفه من الناحیه الدینیه أو العلمیه أو الخلقیه أو الاجتماعیه،إنما یختصر نفسه فی زاویه المال حتی تفسد علاقاته مع أهله و ذوی قرباه،و یتعامل معهم بروح استکباریه.لماذا؟لأنه یملک بعض المال.کلا..

إن الثروه واحده من فرص الحیاه،فلما ذا تضیّع سائر أبعاد حیاتک لها،أ رأیت لو کنت غنیّا لا تأکل أو لا تنام أو لا تمارس الجنس.بلی.تفعل کل ذلک لأنها فرص حیاتک ألیس کذلک؟فلما ذا تسجن نفسک فی زنزانه الطغیان،و تفصلها عن إخوانک و أسرتک و سائر البشر،و تضیع عن نفسک التمتع بلذه العلم،و جمال الأدب،و جلال الأخلاق،و حتی تحرمها من کمالات الدین.

و قد أولت الایه فی أبی جهل الذی طغی بماله،و حاول أن ینهی رسول اللّه عن صلاته،و معروف ان أبا جهل واحد من أولئک المترفین،و ان فی کل عصر طاغیه یسیر علی خطاه،فکم هجمت شرطه الانظمه الفاسده علی مواقع الصلاه،و کم ذبحوا أبنائها المؤمنین،و لطخوا اروقه الجوامع بدماء الصالحین الزاکیه!! (۸)ان تملک مالا أو تحوز علما أو شرفا حسن،بل إنک خلقت لتعمر الأرض، و تسخر ما فیها لمصلحتک،ثم تتکامل روحیّا عبرها،و لکن ان تستغنی بما تملک و تفرح،و تنسی نصیبک من الاخره.إنها نکسه فی وجودک،لأنه یحرمک عن خیرات أعدّت لک.

و السؤال:کیف یتخلص الإنسان من الاحساس بالاستغناء،أ و لیس قلب البشر ضیّق،و صدره حرج،أ و لیس قد خلق هلوعا:یطیر فرحا إذا امتلک دینارا، و یتمیّز غیضا إذا فقده! إنما یعید الإنسان توازنه إذا تصور الاخره و ما أعدّ فیها من نعیم لا یقاس بما فی الدنیا،و ما أعد فیها من عذاب عظیم،فآنئذ تتضاءل فی عینه الدنیا و ما فیها،و لذلک

أمرنا الإسلام بزياره المقابر عند هجمه المشاكل،فمن تصور الموت و أهواله خفّت عنه لسعه المشاكل،أو لم يقل الشاعر العربى:و الجرح يسكنه الذى هو آلم.

من هنا ذكّرنا الرب هنا بالرجوع الى اللّه لأنه العلاج الأمثل لطغيان النفس.

إِنَّ إِلىٰ رَبِّكَ الرُّجْعىٰ (٩)و عاد السياق الى بعض ممارسات الطغاه.

أَ رَأَيْتَ الَّذِی یَنْهىٰ تفكّر فى ذلك فإن على الإنسان أن يعود الى فطرته ليحكّمها فى شؤون الناس.

(١٠)أ رأيت كيف يقطع سبيل الخير،و يصد العبد عن التقرب الى الرب.

عَبْداً إِذٰا صَلّٰى إن الصلاه و التعبد و الابتهال إلى اللّه أبسط حقوق الإنسان،إنه كالتنفس، كالطعام،كالسكن كيف يتجرأ البعض سلبه من البشر،حقا..إنها جريمه كبرى.

و هى تكشف عن مدى الظلال الذى يبلغه الإنسان حينما يستغنى فيطغى.

(١١)قد يبرر الذى ينهى العبد عن صلاه ربه فعلته الشنيعه بأن هذه الصلاه باطله بسبب أو آخر،و لكنه لا يفكر فيما لو كانت صحيحه،و كان العبد على الهدى، فأىّ جريمه كبرى يكون قد ارتكب.

أَ رَأَيْتَ إِنْ كٰانَ عَلَى الْهُدىٰ (١٢)كيف و بأى مقياس ترى نفسك-يا من تنهى عباد اللّه عن صلاتهم- أفضل منهم،فلعل هذا الذى تنهاه عن صلاته إمامك و قائدك،لأنه يتأمرك

بالتقوى.و أنت تنهاه عن الصلاه؟! أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوىٰ (١٣)بينما يكون من ينهاه مكذّبا بالرساله،كافرا بها.

أَ رَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَ تَوَلّٰى ما هى تكون عاقبته؟أ ليست النار يصليها مذموما مدحورا.

(١۴)كيف يجعل نفسه مقياسا للحق و اللّه سبحانه يراه و يحيط علما به و بما يتعلم و بما يخطر بباله من نيّه سوء؟انه قد يخدم الناس و يبرر لهم عمله بأنه انما نهى عن الصلاه لأنها تضر الناس،أو لأنها غير متكامله أو ما أشبه،إلاّ أنه لا يستطيع ان يخفى عن ربه نيته السيئه.

أَ لَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللّٰهَ يَرىٰ (١۵)و تتواصل آيات الذكر تقرع هؤلاء الذين يفترون على اللّه كذبا، و يستكبرون فى الأرض بغير الحق بأن اللّه سبحانه سيأخذهم بشده و عنف من نواصيهم.

كَلاّٰ ليس كما يزعم بأن اللّه لا يراه.انه سبحانه يراه،و يحصى عليه ذنوبه،فيأخذه ان لم يتب أخذا شديدا.

لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعاً بِالنّٰاصِيَهِ قالوا:إذا قبضت على شيء و جذبته جذبا شديدا يسمّى سفعا،و يقال:سفع

بناصيه فرسه،و انشدوا:

قوم إذا كثر الصياح رأيتهم من بين ملجم مهره أو سافع

و لعل اختيار الناصيه لأنّها واجهه الإنسان و أعزّ ما فيه.

حينما تدخل قوه الغيب فى معادله صراع الإنسان مع نظيره تتغير المعادله كليّا، أ فليس فى ذلک ظلم؟كلا..لان اللّه سبحانه لا يفعل ذلک عبثا،إنما بعد إنذار من عنده و تحدّ من قبل الفرد.

نَاصِیَهٍ کَاذِبَهٍ خَاطِئَهٍ كذبت بالحق،و افترت على اللّه،و أخطأت بالعمد فى اختيار طريقه،و تنسجم هذه الأوصاف مع علماء السوء الذين يصدون عن سبيل اللّه باسم الدين.

(١٧)إنهم يزعمون أن الأنداد ينفعونهم شيئا فى ذلک اليوم الرهيب كما فى الدنيا.و يتهربون-بهذا الزعم الساذج-من شده وقع الإنذار.كلا..دعهم يجمعون كلّ من يحضر ناديهم،و لينظروا كيف يدعو اللّه زبانيه العذاب! فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ يبدو لى أن استخدام كلمه النادى التى هى اسم لمحل الاجتماع-مكان أهل النادى-للإشاره الى كل أهل النادى،كما قال سبحانه: وَ سْئَلِ الْقَرْيَهَ أى كل من فى القريه.

(١٨) سَنَدْعُ الزَّبَانِيَهَ قالوا:العرب تسمى الشرطه بالزبانيه،المأخوذه من كلمه زبن،بمعنى الدفع،

و انشدوا:

مطاعيم فی القصوی مطاعین فی الوغی زبانیه غلب عظام حلومها

و فی نزول الایه

ورد عن ابن عباس قال: لما أتی أبو جهل رسول اللّه انتهره رسول اللّه،فقال ابو جهل:أ تنتهرنی یا محمد!فواللّه لقد علمت ما بها أحد أکثر نادیا منی، فانزل اللّه سبحانه:فلیدع نادیه (۱).

و

قد روی عن ابن عباس أیضا أنها نزلت فی أبی جهل حینما صفع ابن مسعود عند ما تلا علی قریش سوره الرحمن،فعاد ابن مسعود الی النبی باکیا،فنزل جبرئیل یبشر الرسول-صلّی اللّه علیه و آله-بالفتح،و کان من أمر ابن مسعود أنه مر فی یوم بدر علی أبی جهل ینازع الموت فجلس علی صدره لیحز رأسه،فقال له:لقد جلست مجلسا عالیا،فنهره ابن مسعود قائلا:الإسلام یعلو و لا یعلی علیه،فلما قطع رأسه أخذ یجره علی الأرض من ناصیته،و هکذا تحققت بشاره جبرئیل،و تؤوّلت الایه فی الدنیا قبل الاخره.

(۱۹)و فی ختام السوره ینهی القرآن من طاعه أولئک الطغاه الذین استغنوا بما لدیهم من مال أو معرفه،لان طاعتهم عصیان للّه،و قد یکون شرکا ظاهرا أو خفیا، و هو-بذلک-یحرم الإنسان من التقرب الی اللّه سبحانه.

کَلاّ لا تُطِعْهُ وَ اسْجُدْ وَ اقْتَرِبْ و حین یکفر الإنسان بطغاه المال و أدعیاء العلم بالرغم مما لهم من إغراء و تضلیل و إرهاب،یستعید استقلاله الذی هو جوهر إنسانیته،و یستعدّ نفسیا للسجود،و من خلال السجود للتقرب الی اللّه.

۱- ۱) نور الثقلین ج ۵ ص ۶۱۰.

و الایه تهدینا:إلی أن السجود معراج البشر إلی اللّه،فاذا سجدت اقتربت الی اللّه،بلی.ألیس ذات الإنسان فقر و عجز و ذلّه،أو لیس یتحسس البشر هذه الحقیقه عند السجود،عند ما یضع ناصیته فوق التراب تذللا؟و إذا عرف الإنسان حقیقه نفسه رفع حجاب الکبر الذی یفصله عن معرفه ربه،و استشعر بفیض نوره یغمر فؤاده،من هنا

جاء فی الأثر المروی عن النبی-صلّی اللّه علیه و آله- «أقرب ما یکون العبد من ربه إذا کان ساجدا» (۱).

و

روی عن الامام الرضا-علیه السلام-: أقرب ما یکون العبد من اللّه و هو ساجد،و ذلک قوله:عز و جل: وَ اسْجُدْ وَ اقْتَرِبْ (۲).

و قد أوجب فقهاء الإسلام السجده عند تلاوه هذه الایه،و اعتبروا سجده سوره العلق من العزائم الأربع التی یفرض فیها السجود،و الثلاثه الاخری:الم السجده و«فصلت»و«النجم».

و هکذا

روی عن الامام أمیر المؤمنین علیه السلام انه قال: عزائم السجود أربع:الم و حم تنزیل من الرحمن الرحیم و النجم و اقرأ باسم ربک.

اما ذکر السجده

فقد روی ان الامام الصادق علیه السلام یقول فی سجده العزائم: «لا إله إلا اللّه حقّا حقّا،لا إله الا اللّه ایمانا و تصدیقا،لا إله إلاّ اللّه عبودیه ورقّا،سجدت لک یا ربّ!تعبّدا ورقّا،لا مستنکفا و لا مستکبرا بل أنا عبد ذلیل خائف مستجیر،ثم یرفع رأسه و یکبر» (۳).

۱- ۱) المصدر ص ۶۱۲.

۲- ۲) المصدر ص ۶۱۱.

۳- ۳) المصدر.

سوره القدر

اشاره

ص:۲۳۱

بسم اللّه الرحمن الرحيم

فضل السوره

-۱

فی کتاب ثواب الأعمال باسناده عن سیف بن عمیره عن أبی جعفر -علیه السلام-: «من قرأ انا أنزلناه فی لیله القدر فجهر بها صوته کان کالشاهر سیفه فی سبیل اللّه عز و جل،و من قرأها سرّا کان کالمتشحط بدمه فی سبیل اللّه،و من قرأها عشر مرات محی اللّه عنه ألف ذنب من ذنوبه.» ۲-و

باسناده عن أبی عبد اللّه-علیه السلام-قال: «من قرأ انا أنزلناه فی لیله القدر فی فریضه من فرائض اللّه نادی مناد:یا عبد اللّه!غفر اللّه لک ما مضی فاستأنف العمل.»

-٣

فی مهج الدعوات لابن طاوس رحمه اللّه انه قیل للصادق -علیه السلام-:بما احترست من المنصور عند دخولک علیه؟فقال:«باللّه و بقراءه إنـا أنزلناه ثم قلت:یا اللّه یا اللّه سبعا،إنّی أتشـفع إلیک بمحمـد و آله -صـلّی اللّه علیه و آله-من أن تقلبه لی،فمن ابتلی بذلک فلیصنع مثل صنعی، و لولا أننا نقرؤها و نأمر بقراءتها شیعتنا لتخطّفهم الناس و لکن هی و اللّه لهم کهف».

تفسیر نور الثقلین ج ۵ ص ۶۱۲

ص:۲۳۴

الإطار العام

لانّ الحقيقه واحده تنبسط فتصبح مفصّلات،و تتركّز فتكون هدى و بيّنات،فإنّ القرآن قد يبسطها عبر آياته كما فى سوره البقره،و قد يجملها فى سوره قصيره كما فى سوره القدر التى لو تدبرنا فيها بعمق لقرأنا فيها آيات الكتاب جميعا.

لقد أنزل اللّه كتابه فى ليله القدر التى هى ليله عظيمه لا يكاد يحيط العقل بأبعادها،لانّها خير من ألف شهر.لماذا؟لانّها ميعاد الإنسان الصالح مع ملائكه اللّه و أعظم منهم مع الروح..و هم حين يهبطون ينزلون بما يقدّر اللّه من كلّ أمر.

فى هذه الليله التى تتواصل ملائكه اللّه و الروح مع عباد اللّه الصالحين فى الأرض تتجلّى رحمه اللّه و بركاته و مغفرته التى تتمثّل فى كمله(السلام)و تستمر الليله حتى مطلع الفجر.

و هكذا بيّنت هذه السوره كيف يتّم الاتصال بين الإنسان و بين ملائكه اللّه و الروح..و هذه الصله التى تتجلّى فى القرآن كما فى الأقدار الحكيمه و البركات هى من أعظم الحقائق القرآنيه.

ص:۲۳۶

[سوره القدر (۹۷): الآیات ۱ الی ۵]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ . إِنّٰا أَنْزَلْنٰاهُ فِی لَیْلَهِ اَلْقَدْرِ (۱) وَ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا لَیْلَهُ اَلْقَدْرِ (۲) لَیْلَهُ اَلْقَدْرِ خَیْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ (۳) تَنَزَّلُ اَلْمَلاٰئِکَهُ وَ اَلرُّوحُ فِیهٰا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ کُلِّ أَمْرٍ (۴) سَلاٰمٌ هِیَ حَتّٰی مَطْلَعِ اَلْفَجْرِ (۵)

و ما أدراک ما لیله القدر

بینات من الآیات:

(۱)عنـد ما انهمر فیض الوحی علی قلب الرسول-صلّی اللّه علیه و آله-فی لیله القدر فی شـهر رمضان،و تنزلت ملائکه الرحمه و الروح بالقرآن،رساله السـلام، و بشـیر الرحمه،عندئذ خلّد اللّه هذه المناسبه المبارکه التی عظمت فی السموات و الأرض،و جعلها لیله مبارکه خیرا من ألف شهر.

انها حقا عید الرحمه،فمن تعرض لها فقد حظی بأجر عظیم!!فقال اللّه سبحانه:

إِنّا أَنْزَلْنٰاهُ فِی لَیْلَهِ الْقَدْرِ و کذلک قال ربنا سبحانه: إِنّا أَنْزَلْنٰاهُ فِی لَیْلَهٍ مُبٰارَکَهٍ إِنّا کُنّا مُنْذِرِینَ* فِیهٰا یُفْرَقُ کُلُّ أَمْرٍ حَکِیمٍ (۱).

ص:۲۳۸

۱- ۱) الدخان۳/-۴

کـذلک نزل القرآن کله علی قلب الرسول فی تلـک اللیله،ثم نزل بصوره تـدریجیّه طیله ثلاث و عشـرین عاما،لتأخـذ موقعها من النفوس،و لیکون کتاب تغییر یبنی الرسول به أمه و حضاره،و مستقبلا مشرقا للانسانیه.

و کذلک قال ربنا سبحانه: شَهْرُ رَمَضٰانَ الَّذِی أُنْزِلَ فِیهِ الْقُرْآنُ (۱).

و معروف أن القرآن تنزل بصورته المعهوده فی أیام السنه جمیعا،فله إذا نزله أخری جمله واحده.

و السؤال:لماذا سـمیت هـذه اللیله بلیله القـدر؟ یبـدو أن أهم ما فی هـذه اللیله المبارکه تقدیر شؤون الخلائق،و قد اسـتنبط اللفظ منه،فهی لیله الأقدار المقدره،کما قال ربنا:« فِیهٰا یُفْرَقُ کُلُّ أَمْرٍ حَکِیمٍ ».

و قال بعضهم:بل لأنها لیله جلیله القدر،قد أنزل اللّه فیها کتابا قدیرا،و لان الذی یحییها یکون عند اللّه ذا قدر عظیم.

(۲)من ذا الـذی یسـتطیع أن یـدرک أبعاد تلک اللیله التی بارکها اللّه لخلقه بالوحی،و جعلها زمانا لتقـدیر شؤون العالمین،من ذا الـذی یـدرک عظمه الوحی، و جلال الملائکه،و معـانی السـلام الالهی.إنهـا لیست فوق الإدراک بصوره مطلقه، و لکنها فوق استیعاب الإنسان لجمیع أبعادها،و علی الإنسان ألاّ یتصور أنه قد بلغ علم لیله القدر بمجرد معرفه بعض أبعادها،بل یسعی و یسعی حتی یبلغ المزید من معانیها،و کلما تقدم فی معرفتها کلما استطاع الحصول علی مغانم أکبر منها.

وَ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا لَیْلَهُ الْقَدْرِ

ص:۲۳۹

۱- ۱) البقره۱۸۵/

سبق القول من البعض:أن هذه الجمله وردت فی القرآن لبیان أهمیه الحقیقه التی تذکر بعدها.

بینما تترک الحقیقه مجمله إذا ذکرت عباره و ما یدریک..هکذا قالوا،و اعتقد أنّ کلتا الجملتین تفیدان تعظیم الحقیقه التی تذکر بعدها.

(۳)کیف نعرف أهمیه الزمان؟ألیس عند ما یختصر المسافه بیننا و بین أهدافنا،فاذا حصلت فی یوم علی ملیون دینار،و کنت تحصل علیه خلال عام ألیس هذا الیوم خیر لک من عام کامل؟کذلک لیله القدر تهب للإنسان الذی یعرف قدرها ما یساوی عمرا مدیدا:ثلاثا و ثمانین سنه و أربعه أشهر،و بتعبیر أبلغ:ألف شهر.

لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ أجل الواحد منا مسمی عند اللّه و قد یکون قصیرا،قد لا یبلغ الواحد منا معشار أهدافه فیه،فهل یمکن تحدّی هذا الواقع؟بلی.و لکن لیس بالصوره التی یتخیّلها الکثیر،حیث یتمنون تطویل عمرهم،و قلیل هم الذین یحققون هذه الامنیه،لان عوامل الوفاه عدیده و أکثرها خارج عن إراده الإنسان،فما هو إذا السبیل الی تمدید العمر؟إنّما بتعمیقه،و مدی الانتفاع بکل لحظه لحظه منه،تصور لو کنت تملک قطعه صغیره من الأرض،و لا تستطیع توسیعها فکیف تصنع؟إنک سوف تبنی طوابق فیها بعضها تحت الأرض و بعضها یضرب فی الفضاء و قد تناطح السحب، کذلک عاش بعض الناس سنین معدودات فی الأرض و لکنهم صنعوا عبرها ما یعادل قرونا متطاوله،مثلا عمر رسولنا الکریم-صلّی اللّه علیه و آله-لا یتجاوز الثلاث و الستین،و أیام دعوته ثلاث و عشرون عاما منها،و لکنها أبعد أثرا من عمر نوح المدید، بل من سنیّ الأنبیاء جمیعا و هکذا خص اللّه أمّته بموهبه لیله القدر،

التی جعلها خیرا من الف شهر،لیقدروا علی تمدید أعمارهم فی البعد الثالث(أی بعد العمق)و لعل الخبر المأثور عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله یشیر إلی ذلک،

فقد روی أن رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله و سلم-أری أعمار الأمم قبله فکأنه تقاصر أعمار أمته ألا یبلغوا من العمر مثل ما بلغ غیرهم فی طول العمر،فأعطاه اللّه تعالی لیله القدر،و جعلها خیرا من ألف شهر. (۱)

و

فی حدیث آخر: أنه ذکر لرسول اللّه رجل من بنی إسرائیل أنه حمل السلاح علی عاتقه فی سبیل اللّه ألف شهر،فعجب من ذلک رسول اللّه عجبا شدیدا،و تمنّی أن یکون ذلک فی أمته،فقال:«یا رب!جعلت أمتی أقصر الناس أعمارا، و أقلها أعمالا،فأعطاه اللّه لیله القدر،و قال: لَیْلَهُ الْقَدْرِ خَیْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ الذی حمل الاسرائیلی السلاح فی سبیل اللّه لک و لامتک من بعدک الی یوم القیامه فی کل رمضان» (۲)إنک قد تحیی لیله القدر بالطّاعه فیکتب اللّه اسمک فی السعداء،و یحرم جسدک علی نار جهنم أبدا،و ذلک بما یوفقک له من إصلاح الذات إصلاحا شاملا،من هنا

جاء فی الدعاه المأثور فی لیالی شهر رمضان مجموعه من البصائر التی تتحول بتکرار تلاوتها إلی أهداف و تطلعات یسعی نحوها المؤمن بجد و مثابره،و یجتهد فی طلبها من ربه.

«اللهم أعطنی السعه فی الرزق،و الأمن فی الوطن،و قرّه العین فی الأهل و المال و الولد،و المقام فی نعمک عندی و الصحه فی الجسم،و القوه فی البدن، و السلامه فی الدین،و استعملنی بطاعتک و طاعه رسولک محمد -صلّی اللّه علیه و آله-أبدا ما استعمرتنی،و اجعلنی من أوفر عبادک عندک نصیبا

ص:۲۴۱

۱- ۱) القرطبی/ج ۲۰-ص ۱۳۳

۲- ۲) نور الثقلین/ج ۵-ص ۶۱۵

فی کلّ خیر أنزلته و تنزله فی شهر رمضان فی لیله القدر» (۱)و هکذا ینبغی أن یکون هدفک فی لیله القدر تحقیق تحوّل جذری فی نفسک، تحاسب نفسک بل تحاکمها أمام قاضی العقل،و تسجل ثغراتها السابقه، و انحرافاتها الراهنه،و تعقد العزم علی تجاوز کل ذلک بالندم من ارتکاب الاخطاء، و العزم علی ترکها و الالتجاء الی اللّه لیغفر لک ما مضی و یوفقک فیما یأتی.

و قد جاء فی تأویل هذه الایه:انها نزلت فی دوله الرسول التی کانت خیر من دول الظالمین من بنی أمیه،حیث

نقل الترمذی عن الحسن بن علی علیهما السلام:

«أن رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله-أری بنی أمیه علی منبره فساءه ذلک، فنزلت إِنّٰا أَعْطَیْنٰاکَ الْکَوْثَرَ یعنی نهرا فی الجنه،و نزلت إِنّٰا أَنْزَلْنٰاهُ فِی لَیْلَهِ الْقَدْرِ وَ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا لَیْلَهُ الْقَدْرِ* لَیْلَهُ الْقَدْرِ خَیْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ یملکها بعدک بنو امیه» (۲)و کانت حکومه بنی أمیه الف شهر لا تزید و لا تنقص.

و هکذا فضیله حکومه العدل و أثرها العظیم فی مستقبل البشریه أکثر من ألف شهر من حکومه الجور.

(۴)لماذا أمست لیله القدر خیرا من ألف شهر؟لأنها ملتقی أهل السماء بأهل الأرض،حیث یجددون ذکری الوحی،و یستعرضون ما قدر اللّه للناس فی کل أمر.

تَنَزَّلُ الْمَلاٰئِکَهُ و الکلمه أصلها تتنزل،و صیغتها مضارع تدل علی الاستمرار،فنستوحی منها:

ص:۲۴۲

۱- ۱) کلمات من دعاء أبی حمزه الثمالی المأثور لاسحار شهر رمضان/انظر مفاتیح الجنان-ص ۱۹۶

۲- ۲) القرطبی/ج ۲۰-ص ۱۳۳

أن ليله القدر لم تكن ليله واحده فى الدهر،و إنما هى فى كل عام مره واحده، و لذلك أمرنا النبى-صلّى اللّه عليه و آله- بإحيائها.

فقد جاء فى الأثر عن رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله- أنه لما حضر شهر رمضان-و ذلك فى ثلاث بقين من شعبان-قال لبلال:«ناد فى الناس»فجمع الناس،ثم صعد المنبر،فحمد اللّه و أثنى عليه،ثم قال:«أيها الناس!إن هذا الشهر قد خصكم اللّه به،و حضركم،و هو سيد الشهور،ليله فيه خير من ألف شهر» (۱)و

روى عن الامام أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال لابن العباس: «ان ليله القدر فى كلّ سنه و انه ينزل فى تلك الليله أمر السنه،و لذلك الأمر ولاه بعد رسول اللّه»فقال ابن عباس من هم؟قال(عليه السلام)«أنا و أحد عشر من صلبى» (۲) وَ الرُّوحُ ما هو الروح؟هل هو جبرائيل-عليه السلام-أم هم أشراف الملائكه؟أم هم صنف أعلى منهم و هم من خلق اللّه،أم هو ملك عظيم يؤيد به أنبياءه؟ استفاد بعضهم من الايه التاليه:أن الروح هو جبرئيل-عليه السلام-حيث قال نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (۳) و استظهر البعض من الايه التاليه:أن الروح هى الوحى،فان الملائكه يهبطون

۱- ۱) نور الثقلين/ج ۵-ص ۶۱۸

۲- ۲) المصدر/ص ۶۱۹

۳- ۳) الشعراء/۱۹۳

فی لیله القدر به قال اللّه تعالی: وَ کَذٰلِکَ أَوْحَیْنٰا إِلَیْکَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنٰا (۱)و جاء فی حدیث شریف ما یدل علی أن الروح أعظم من الملائکه،

فقد روی عن الامام الصادق-علیه السلام- أنه سئل هل الروح جبرئیل علیه السلام ؟فقال:

جبرئیل من الملائکه،و الروح أعظم من الملائکه،ألیس أن اللّه عز و جل یقول:

تَنَزَّلُ الْمَلاٰئِکَهُ وَ الرُّوحُ (۲) و قد قال ربنا سبحانه: وَ أَیَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ مما یدل علی أن الروح هو ما یؤید اللّه به أنبیاءه.

و یبدو أن الروح خلق نورانی عظیم الشأن عند اللّه،و أن اللّه لیس یؤید أنبیاءه -علیهم السلام-به فقط،و إنما حتی الملائکه و منهم جبرائیل یؤیدهم به،و بهذا نجمع بین مختلف الاحتمالات و الادله،و اللّه العالم.

فِیهٰا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ عظیمه تلک اللیله التی تتنزل الملائکه فیها،و عظیمه لان الأعظم منهم و هو الروح یتنزل أیضا،و لکن لا ینبغی أن نتوجه الی عظمه الروح بعیدا عن عظمه الخالق سبحانه،فإنهم عباد مکرمون،مخلوقون مربوبون،و لیسوا أبدا بأنصاف آلهه، و لیس لهم من الأمر أی شیء و لذلک فإن تنزّلهم لیس باختیارهم و إنما بإذن ربهم.

مِنْ کُلِّ أَمْرٍ قالوا:معناه لأجل کلّ أمر،أو بکل أمر،فالملائکه-حسب هذا التفسیر- یأتون لتقدیر کل أمر،و لکن ألیس اللّه قد قدر لکل أمر منذ خلق اللوح و أجری علیه

۱- ۱) الشوری/۵۲

۲- ۲) تفسیر نمونه/ج ۲۶-ص ۱۸۴ نقلا عن تفسیر البرهان/ج ۴-ص ۴۱۸

القلم؟بلى.إذا فما الذى يتنزل به الملائكه فى ليله القدر؟يبدو أن التقديرات الحكيمه قد تمت فى شؤون الخلق،و لكن بقيت أمور لم تحسم و هى تقدر فى كل ليله قدر لايام عام واحد،فيكون التقدير خاصّا ببعض جوانب الأمور،و ليس كل جوانبها،بلى.تشمل التقديرات جميع الأمور،و لكن من كلّ أمر جانبا،و هكذا يكون حرف«من»للتبعيض و هو معناه الاصلى،و هو أيضا ما يستفاد من النصوص المأثوره فى هذا الحقل:

سأل سليمان المروزى الامام الرضا-عليه السلام-و قال:ألا تخبرنى عن إِنّا أَنْزَلْنٰاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ فى أى شىء نزلت،قال:«يا سليمان!ليله القدر يقدر اللّه عز و جل فيها ما يكون من السنه الى السنه،من حياه أو موت،أو خير أو شر أو رزق،فما قدره اللّه فى تلك الليله فهو من المحتوم» (1)و هكذا تختلف بصائر الوحى عن تصورات البشر،فبينما يزعم الإنسان أنه مجبور لا اثر لمشيئته فى حياته يعطيه الوحى قيمه ساميه،حيث يجعله قادرا على تغيير مجمل حياته:من سعاده و شقاء،و خير و شر،و نفع و ضر،كل ذلك بإذن اللّه،و عبر الدعاء الى اللّه فى ليله القدر.

إن البشريه فى ضلال بعيد عن حقيقه المشيئه،فهم بين من ظنّ أنه صاحب القرار،و قد فوض اللّه الأمور إليه تفويضا مطلقا،فلا ثواب و لا عقاب و لا مسئوليه و لا أخلاق،و بين من زعم أنه مضطرّ تسوقه الأقدار بلا حريه منه و لا اختيار.

و لكن الحق هو أمر بين أمرين:فلا جبر لاننا نعلم يقينا أن قرارنا يؤثر فى حياتنا،أو لست تأكل و تشرب و تروح و تأتى حسب مشيئتك و قرارك؟و كذلك لا تفويض لان هناك أشياء كثيره لا صنع لنا فيها:كيف ولدت،و اين تموت،

1- 1) نور الثقلين/ج 5-ص 630

و ماذا تفعل غدا،و کم حال القضاء بینک و بین ما کنت تتمناه،و کم حجزک القدر عن خططک التی عقدت العزمات علی تطبیقها؟ بلی.إن اللّه منح الإنسان قدرا من المشیئه لکی یکون مصیره بیده،إما إلی الجنه و إما إلی النار،و لکن ذلک لا یعنی أنه سیدخل الجنه بقوته الذاتیه أو النار بأقدامه،و إنما اللّه سبحانه هو الذی یدخله الجنه بأفعاله الصالحه،أو یدخله النار بأفعاله الطالحه.

إذا الإنسان یختار،و لکن اللّه سبحانه هو الذی یحقق ما اختاره من سعاده و شقاء،و أن اَللّٰهَ لاٰ یُغَیِّرُ مٰا بِقَوْمٍ حَتّٰی یُغَیِّرُوا مٰا بِأَنْفُسِهِمْ ،و هاهنا تترکز أهمیه الدعاء و بالذات فی لیله القدر التی هی ربیع الدعاء،و قد تتغیر حیاه الإنسان فی تلک اللیله تماما،فکم یکون الإنسان محروما و شقیا إن مرت علیه هذه اللیله دون أن یستفید منها شیئا.

و یتساءل البعض:ألیس هذا یعنی الجبر بذاته؟فإذا کانت لیله تحدد مصیر الإنسان فلما ذا العزم و السعی و الاجتهاد فی سائر أیام السنه؟! کلا..لیس هذا من الجبر فی شیء،و نعرف ذلک جیّدا إذا و عینا البصائر التالیه:

البصیره الاولی:یبدو أن التقدیر فی هذه اللیله لا یطال کل جوانب الحیاه، فهناک ثلاثه أنواع من القضایا:نوع قدر فی لیله واحده فی تاریخ الکون،

فقد روی عن الامام أمیر المؤمنین-علیه السلام-قال:«قال رسول اللّه -صلی اللّه علیه و آله و سلم-: أ تدری ما معنی لیله القدر؟فقلت:لا یا رسول اللّه!فقال:إن اللّه تبارک و تعالی قدّر فیها ما هو کائن إلی یوم القیامه،فکان فیما

قدّر-عزّ و جل-ولايتک و ولايه الائمه من ولدک الی يوم القيامه» (۱)و النوع الثانی:تقديرات تتم فی السنه التی يعيشها الإنسان،بينما النوع الثالث:تبقی مفتوحه تخضع لمشيئه الإنسان و هی الفتنه،مثلا:إن اللّه يقدر للإنسان فی ليله القدر الثروه،أما كيف يتعامل الإنسان مع الثروه هل ينفق منها أم يبخل بها و يطغی،فان ذلک يخضع لمشيئه الإنسان و به يتم الابتلاء،كذلک يقدر اللّه للإنسان المرض أما صبر المريض أو جزعه فانه يتصل بإرادته.

و مع ذلک فإن للّه البداء،إذ لا شیء يحتّم علی ربنا سبحانه،و قد قال سبحانه:

يَمْحُوا اللّهُ مٰا يَشٰاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتٰابِ (۲)و

قد جاء فی حديث مأثور عن الامام الصادق عليه السلام قال: «إذا كانت ليله القدر نزلت الملائكه و الروح و الكتبه الی السماء الدنيا،فيكتبون ما يكون من قضاء اللّه فی تلک السنه،فإذا أراد اللّه أن يقدّم شيئا أو يؤخره،أو ينقص أمر الملک أن يمحو ما شاء،ثم أثبت الذی أراد»قلت:و كل شیء هو عنده و مثبت فی كتاب؟قال:«نعم»قلت فأیّ شیء يكون بعده؟قال:«سبحان اللّه!ثم يحدث اللّه أيضا ما يشاء تبارک و تعالی» (۳).

هكذا تبقی كلمه اللّه هی العليا،و مشيئته هی النافذه،و لكن الاتكال علی البداء،و تفويت فرصه ليله القدر نوع من السذاجه،بل من السفه و الخسران.

البصيره الثانيه:أن اللّه يقدر لعباده تبعا لحكمته البالغه و لقضائه العدل، فلا يقضی لمؤمن صالح متبتل ما يقدر لكافر طالح،و ما ربک بظلام للعبيد.و هكذا

۱- ۱) المصدر/ص ۶۲۹

۲- ۲) الرعد/۳۹

۳- ۳) تفسير نور الثقلين/ج ۵ ص ۶۳۱

يؤثّر الإنسان فى مصير نفسه بما فعله خلال العام الماضى،و ما يفعله عند التقدير فى ليله القدر،و ما يعلمه اللّه من سوء اختياره خلال السنه،مثلا:يقدر اللّه لطاغوت يعلم أن لا يتوب بالعذاب فى هذه السنه لأنه سوف يظلم الناس خلالها،و لو افترضنا أنه وفّق للتوبه و لم يظلم الناس خلالها،فان للّه البداء فى أمره، و يمحو عنه السقوط و يمد فى ملكه،و قد قال ربنا سبحانه: إِنَّ اللّهَ لاٰ يُغَيِّرُ مٰا بِقَوْمٍ حَتّٰى يُغَيِّرُوا مٰا بِأَنْفُسِهِمْ [(١)](#)البصيره الثالثه:أن الناس يزعمون أن هناك احداثا تجرى عليهم،لا صنع لهم فيها كموت عزيز،و الاصابه بمرض عضال،و الابتلاء بسلطان جائر،أو بالتخلف،أو بالجفاف،و لكن الأمر ليس كذلك إذ أن حتى هذه الظواهر التى تبدو أنها خارج إطار مشيئه الإنسان انّما تقع بإذن اللّه و تقديره و قضائه،و أن اللّه لا يقضى بشىء إلاّ حسبما تقتضيه حكمته و عدالته،و من عدله أن يكون قضاؤه و تقديره حسب ما يكسبه العباد،أو لم يقل ربنا سبحانه: ظَهَرَ الْفَسٰادُ فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ بِمٰا كَسَبَتْ أَيْدِي النّٰاسِ [(٢)](#)و ان فى ذلك لكرامه بالغه لمشيئه الإنسان أن يجعل اللّه تقديره وفق قرار ما، أ ليس كذلك.

(۵)السلام كلمه مضيئه تغمر الفؤاد نورا و بهجه،لأنها تتسع لما تصبو إليه النفس،و تتطلع نحوه الروح،و يبتغيه العقل،فلا يكون الإنسان فى سلام عند ما يشكو من نقص فى أعضاء بدنه،أو شروط معيشته،أو تطلعات روحه،فهل للمريض سلام،أم للمسكين عافيه،أم للحسود أمن؟كلاّ..إنّما السلام يتحقق

١- ١) الرعد١١/

٢- ٢) الروم۴١/

بتوافر الكثير الكثير من نعم اللّه التى لو افتقرنا إلى واحده منها فقدنا السلام. أو لم تعلم كم مليون نعمه تتزاحم على بدنك حتى يكون فى عافيه،و كم مليون نعمه تحيط بمجمل حياتك و تشكلان معا سلامتها،و ليله القدر ليله السلام،حيث يقول ربنا سبحانه:

سَلاٰمٌ هِيَ حَتّٰى مَطْلَعِ الْفَجْرِ حينما تنسب هذه الموهبه الالهيه الى الزمن نعرف أنها تستوعبه حتى لتكاد تفيض منه،فالليل السلام كل لحظاته سلام لكل الأنام،كما اليوم السعيد كله هناء و فلاح،بينما اليوم النحس تتفجر النحوسه من أطرافه.

فما ذا يجرى فى ليله القدر حتى تصبح سلاما الى مطلع الفجر؟ لا ريب أن اللّه سبحانه يغفر فى تلك الليله لفئام من المستغفرين،و ينقذهم -بذلك-من نار جهنم،و أى سلام أعظم من سلامه الإنسان من عواقب ذنوبه فى الدنيا و الاخره.

من هنا يجتهد المؤمنون فى هذه الليله لبلوغ هذه الامنيه و هى العتق من نار جهنم،و يقولون بعد ان ينشروا المصحف أمامهم:

«اللهم إنى أسألك بكتابك المنزل و ما فيه،و فيه أسمك الأكبر،و أسماؤك الحسنى و ما يخاف و يرجى أن تجعلنى من عتقائك من النار» (۱)كذلك يقدر اللّه للإنسان العافيه فيها،و إتمام نعم اللّه عليه،و

قد سأل أحدهم النبى-صلّى اللّه عليه و آله-:أى شيء يطلبه من اللّه فى هذه الليله فأجابه -حسب الروايه-«العافيه» (۲)

۱- ۱) مفاتيح الجنان/ص ۲۲۵

۲- ۲) المصدر/ص ۲۲۶

و قد تدخل على فرد هذه الليله و هو من الأشقياء فيخرج منها سعيدا،أو ليست الليله سلاما؟من هنا ينبغى للإنسان أن يدعو فيها بهذه الكلمات الشريفه:

اللهم امدد لى فى عمرى،و أوسع لى فى رزقى،و أصح لى جسمى،و بلّغنى أملى،و إن كنت من الأشقياء فامحنى من الأشقياء،و اكتبنى من السعداء، فانك قلت فى كتابك المنزل على نبيك المرسل-صلواتك عليه و آله-:« يَمْحُوا اللّهُ ما يَشاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتابِ » (۱)و فى هذه الليله يقدر اللّه الرزق لعباده،و هو جزء من السلام و الأمن،و على الإنسان أن يطلب منه سبحانه التوسعه فى رزقه.

كما يقدّر الأمن و العافيه و الصحه و الذريّه و كلها من شروط السلام.

حقا..إن المحروم هو الذى يحرم خيرها كما

جاء فى حديث مأثور عن فاطمه الزهراء-عليها السلام- أنها كانت تأمر أهلها بالاستعداد،لاستقبال ليله ثلاث و عشرين من شهر رمضان المبارک بأن يناموا فى النهار لئلا يغلب عليهم النعاس ليلا و تقول:«محروم من حرم خيرها» (۲)و قال البعض:أن معنى السلام فى هذه الآيه:أن الملائكه يسلمون فيها على المؤمنين و المتهجدين فى المساجد،و أن بعضهم يسلم على البعض،و قيل:لأنهم يسلمون على إمام العصر-عليه السلام-و هم يهبطون عليه.

ليله القدر متى هى؟

إذا كان القرآن قد نزل فى شهر رمضان و فى ليله القدر حسب آيتين فى القرآن،

۱- ۱) المصدر/ص ۲۳۵

۲- ۲) المصدر/ص ۲۳۶

فإن لیله القدر تقع فی هذا الشهر الکریم،و لکن متی؟

جاء فی بعض الأحادیث:

«التمسوها فی العشر الأواخر» (۱)و

روی عن الامام الباقر-علیه السلام-أنه قال فی تفسیر إِنّا أَنْزَلْناهُ فِی لَیْلَهٍ مُبارَکَهٍ قال:«نعم.لیله القدر و هی فی کل سنه فی شهر رمضان فی العشر الأواخر،فلم ینزل القرآن إلاّ فی لیله القدر» (۲)و جاء فی حدیث آخر تحدید واحده من لیلتین:أحدی و عشرین و ثلاث و عشرین،

فقد روی ابو حمزه الثمالی،قال: کنت عند أبی عبد اللّه الامام الصادق -علیه السلام-فقال له أبو بصیر:جعلت فداک!اللیله التی یرجی فیها ما یرجی؟فقال:«فی إحدی و عشرین أو ثلاث و عشرین»قال:فإن لم أقو علی کلتیهما؟فقال:«ما أیسر لیلتین فیما تطلب؟»قلت فربما رأینا الهلال عندنا و جاءنا من یخبرنا بخلاف ذلک من أرض أخری؟قال:«ما أیسر أربع لیال تطلبها فیها؟»قلت:جعلت فداک!لیله ثلاث و عشرین لیله الجهنی؟ (۳)فقال:

«ان ذلک لیقال»ثم قال:«فاطلبها فی لیله إحدی و عشرین و ثلاث و عشرین، و صلّ فی کلّ واحده منهما مائه رکعه، و أحیهما-إن استطعت-إلی النور، و اغتسل فیهما»قال قلت:فان لم أقدر علی ذلک و أنا قائم،قال:«فصل و أنت جالس»قال:قلت فان لم أستطع،قال:«فعلی فراشک،و لا علیک أن تکحل أول اللیل بشیء من النوم،إن أبواب السماء تفتح فی رمضان،و تصفد الشیاطین، و تقبل أعمال المؤمنین،نعم الشهر رمضان کان یسمی علی عهد رسول اللّه:

المرزوق» (۴)

ص:۲۵۱

۱- ۱) حسب روایه عن رسول اللّه صلی الله علیه و آله تفسیر نور الثقلین ج ۵ ص ۶۲۹

۲- ۲) نور الثقلین/ج ۵ ص ۶۲۵.

۳- ۳) سوف نذکره إنشاء اللّه.

۴- ۴) المصدر/ص ۶۲۵.

و قـد اسـتفاضت أحـاديث النبى و أهـل بيته فى إحيـاء هاتين الليلتين،إلا أن حـديثا يروى عن رسول اللّه يحـدّده فى ليله ثلاث و عشرين،حيث يرجى أن تكون هى ليله القدر حيث

قـال عبـد اللّه بن أنيس الانصـارى المعروف بـالجهنى لرسول اللّه -صـلّى اللّه عليه و آله-:أن منزلى نـاء عن المـدينه فمرنى بليله أدخل فيها فأمره بليله ثلاث و عشرين. (1)

و يبدو من بعض الأحاديث:أن ليله القدر الحقيقه هى ليله ثلاث و عشـرين، بينما ليله التاسع عشر و واحد و عشـرين هما وسيلتان إليها،من وفّق للعباده فيهما نشط فى الثالثه،و كان أقرب الى رحمه اللّه فيها.

هكذا

روى عن الامام الصادق-عليه السلام-أنه قال لمن سأله عن ليله القدر:«اطلبها فى تسع عشر و إحدى و عشرين،و ثلاث و عشرين» (2)و

جاء فى حديث آخر: أن لكل ليله من هذه الثلاث فضيله و قدرا،

فقد روى عن الامام الصادق-عليه السلام-أنه قال: «التقدير فى ليله القدر تسعه عشر، و الإبرام فى ليله إحدى و عشرين،و الإمضاء فى ليله ثلاث و عشرين» (3) و

جاء فى علامات ليله القدر: «أن تطيب ريحها،و ان كانت فى برد دفئت، و إن كانت فى حرّ بردت فطابت» (4)و

عن النبى-صـلّى اللّه عليه و آله-: «أنها ليله سمحه،لا حاره و لا بارده، تطلع الشمس فى صبيحتها ليس لها شعاع» (5)نسأل اللّه أن يوفقنا لهذه الليله الكريمه و يقدر لنا السعاده فيها.

1- 1) تفسير نور الثقلين/ج 5 ص 626.

2- 2) المصدر/ص 628.

3- 3) المصدر627/.

4- 4) المصدر623/.

5- 5) المصدر.

سوره البیّنه

اشاره

ص:۲۵۳

بسم اللّه الرحمن الرحيم

فضل السوره

عن أبی عبد اللّه الصادق-علیه السلام-قال: «من قرأ سوره لم یکن الذین کان بریئا من الشرک،و أدخل فی دین محمد-صلّی اللّه علیه و آله- و بعثه اللّه-عز و جل-مؤمنا،و حاسبه حسابا یسیرا » و

عن أبی الدرداء قال:قال رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله-: «لو یعلم الناس ما فی لم یکن الذین کفروا لعطّلوا الأهل و المال و تعلموها»فقال رجل

ص:۲۵۵

من خزاعه:مـا فیهـا من الأجر یا رسول اللّه؟قال:«لا یقرأها منافق أبـدا،و لا عبـد فی قلبه شک فی اللّه عز و جل،و اللّه إن الملائکه المقربین لیقرءونها منذ خلق اللّه السـموات و الأرض لا یفترون من قراءتها،و ما من عبد یقرأها بلیل الا بعث اللّه ملائکه یحفظونه فی دینه و دنیـاه،و یـدعون له بـالمغفره و الرحمه،فـإن قرأهـا نهـارا أعطی علیهـا من الثواب مثل ما أضاء علیها النهار،و أظلم علیه اللیل».

تفسیر نور الثقلین/ج ۵ ص ۶۴۲

الإطار العام

كلا..لن يقـدر الإنسان الخروج من نفق الضـلال بغير هدى من اللّه(البته)، و لا يكره اللّه الناس على اتباع البيّنه حينما تأتيهم،فترى بعضهم يهتدون بها، و أكثرهم يضلون عنها بأهوائهم و هكذا اختلفوا.

كلا..ليست خلافاتهم فى البيّنه،لان البينه قد أمرتهم بعباده اللّه وحده بعيدا عن أىّ خلاف.

حول هـذه المحـاور الثلاث جاءت آيات سوره البينه التى خصت بصائر كثيره فصـلت فى الكتاب الكريم،و أوضـحت كـذلك صفـات البينه:انهـا تتمثل فى رسول يحمل من اللّه كتابا طاهرا من أى زيف أو باطل،و هو يـدعو الى توحيـد اللّه الخالص من أى شائبه مادّيه.

و هذا الخلاف الذى انتشر بينهم يرجع الى القرآن،و هو يحكم بأن شر البريه الذى يكفر برسالات اللّه،سواء كان من أهل الكتاب أو من المشركين،و أن خير

البریه هم المؤمنون الذین یجزیهم اللّه بجنات عدن،و یرضی عنهم،و یرزقهم الرضا عنه،کل ذلک لخشیتهم من اللّه.

[سوره البينه (۹۸): الآيات ۱ الى ۸]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . لَمْ يَكُنِ اَلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ اَلْكِتٰابِ وَ اَلْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتّٰى تَأْتِيَهُمُ اَلْبَيِّنَةُ (۱) رَسُولٌ مِنَ اَللّٰهِ يَتْلُوا صُحُفاً مُطَهَّرَةً (۲) فِيهٰا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ (۳) وَ مٰا تَفَرَّقَ اَلَّذِينَ أُوتُوا اَلْكِتٰابَ إِلاّٰ مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَتْهُمُ اَلْبَيِّنَةُ (۴) وَ مٰا أُمِرُوا إِلاّٰ لِيَعْبُدُوا اَللّٰهَ مُخْلِصِينَ لَهُ اَلدِّينَ حُنَفٰاءَ وَ يُقِيمُوا اَلصَّلاٰةَ وَ يُؤْتُوا اَلزَّكٰاةَ وَ ذٰلِكَ دِينُ اَلْقَيِّمَةِ (۵) إِنَّ اَلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ اَلْكِتٰابِ وَ اَلْمُشْرِكِينَ فِي نٰارِ جَهَنَّمَ خٰالِدِينَ فِيهٰا أُولٰئِكَ هُمْ شَرُّ اَلْبَرِيَّةِ (۶) إِنَّ اَلَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ أُولٰئِكَ هُمْ خَيْرُ اَلْبَرِيَّةِ (۷) جَزٰاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّٰاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا اَلْأَنْهٰارُ خٰالِدِينَ فِيهٰا أَبَداً رَضِيَ اَللّٰهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ ذٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ (۸)

أولئک هم خیر البریّه

بینات من الآیات:

(۱)لقـد أنعم اللّه علی الإنسـان بالعقـل،و فطر نفسه علی الایمـان،بیـد أنّه ینفلت عن ظلال و غیّ، و لا یکفیه ما لـدیه من فطره و عقـل،بـل یحتـاج الی تـذکره الـوحی و دعـوه الرسـول،و أنی له ذلـک و هـو یتعرض لتیـار عنیـف من شـهوات نفسه،و وسـاوس شیطانه،و تضـلیل أدعیاء الـدین،و قمع أولی السـلطه و الثروه.ألا تری کیف لا یؤمن إلاّ نفر قلیل بالرغم من أن اللّه ینزل الوحی،و یدعوهم إلیه داعی الفلاح،و یخوض الرسول و المؤمنون صراعا شاملا فی سبیل الدعوه.

لَمْ یَکُنِ الَّذِینَ کَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْکِتٰابِ وَ الْمُشْرِکِینَ مُنْفَکِّینَ حَتّٰی تَأْتِیَهُمُ الْبَیِّنَهُ و یبـدو أن الایه هـذه التی صـعبت علی فهم بعض المفسرین حتی اعتبرها أعتد آیه،إنما تذکرنا و بعبارات بسیطه و بیّنه بضروره الرساله الالهیه،فمن دون رساله

الإسلام هل كان من الممكن إزاله تلك الحجب الكثيفه التى تراكمت عبر عصور الظلمات فوق بعضها،و منعت إناره العقل و هدى الفطره،و حرفت تعاليم الدين، و مسخت شخصيه الإنسان.

كلا..لان الفساد كان قد أطبق على البشريه،فلم يعد أحد بقادر على مقاومته بسهوله،فبعث اللّه النبى برساله طاهره من دنس ضلالاتهم و خبث ثقافتهم.

(٢)لقد تنازع خطّان قياده الإنسان عبر العصور:خط الوحى المتمثل فى أنبياء اللّه-عليهم السلام-و المؤمنون بهم،و خط الجاهليه المتمثله فى الطغاه و المترفين، و ثقافه الخط الاول كانت نابعه من الوحى،بينما ثقافه الجاهليه قائمه على أساس الضلاله.

و كلما انحسر الوحى أو ضعف دعاته استشرت الجاهليه،و كانت المشكله العاتيه عند ما يستسلم المؤمنون بالوحى تحت ضغط الجاهليه،كما حدث قبيل بعثه النبى إذ لم يعد اتباع آخر الأنبياء عيسى-عليه السلام-يشكلون قوه تذكر،لا بسبب قله عددهم بل لأنهم بايعوا القياصره فى حقل السلطه،و اتبعوا الفلاسفه فى الحقل الثقافى،و داهنوا المترفين و المستكبرين فى المجتمع،و لم يبق من الدين عندهم إلاّ طقوس فارغه،فبدل ان يناهضوا سلطات الجور،و يدافعوا عن المظلومين و المحرومين التهوا بمحاربه بعضهم،و خلق عداوات جانبيه بين مذهب و مذهب،حقا..أصبحوا كما كانت اليهود من قبل،و تفشى فيهم ذات الأخلاق الفاسده التى بعث عيسى بن مريم-عليه السلام-لاصلاحها،و كذلك فى حقل الثقافه فلم يدافعوا عن قيم الوحى فى مقابل مفاهيم الفلسفه الضاله،بل تراهم يلهثون وراء التوفيق بينهما،حتى و لو كان ذلك على حساب صفاء الوحى و نقائه.أ رأيت كيف ذهبوا الى فكره التثليث اتباعا للافلاطونيه الجديده،و من هنا أصبحت الرساله الالهيه أشد ضروره

من أىّ وقت مضـى،ليس فقـط لاصـلاح البشـريه من الفساد العريض الـذى أحاط بها،و إنما أيضا لتطهير الرساله مما لحق بها من زيغ و انحراف على أيـدى أهـل الكتـاب الكـافرين،و لاضـاءه تلـك المشاعـل التى انطفـأت أو كـادت بسـبب عصف الشـهوات العاتيه،فلم تعد تنير طريق السالكين،و لكى يكون للناس على اللّه حجه بعد الرسل.

و هكـذا بعث اللّه رسوله الخـاتم بصـحف طـاهره من دنس الانحرافـات الثقـافيه التى حرفت الـديانات،و طـاهره من تأثير الحكام الظلمه و المترفين الأشقياء.

رَسُولٌ مِنَ اللّٰهِ يَتْلُوا صُحُفاً مُطَهَّرَةً و هكـذا تتم البينه بالرسـاله و الرسول معـا،إذ الرسول يـدعو إليهـا بحكمه،و يمثلهـا فى سـلوكه لتتجلى للناس روعتها،و يدافع عنها بصبر و استقامه،ثم ان الرساله التى يحملها مطهره من شوائب الزيغ و الانحراف،فتتقبلها الفطره السليمه،و العقل الرشيد.

(۳)ماذا نقرأ فى تلك الأوراق الطاهره؟نقرأ كتبا أحكمت آياتها و فصلت، لا تجد فيها عوجا و لا زيغا.

فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ يبدو أن معناها:الحقائق المكتوبه التى لا شـبهه فيها و لا ريب،و هى واضـحه لا لبس فيها و لا غموض،مسـتقيمه لا زيغ فيها و لا تحريف،و على هـذا فالكلمه أشارت الى الآيات المحكمه التى هى تكفى الإنسان هدى و نورا،و التى إليها يرجع ما تشابه من آيات الذكر بسبب تساميها عن مستوى كلّ الناس،و تخصصها بالراسخين فى العلم منهم فقط.

(۴)و لعل البعض يتشابه عليه الأمر،فيظن أن تفرق أهل الكتاب و اختلافهم فى الـدين كان من نقص فى الحجّه ،فإذا تمت الحجه و اكتملت البينه فلا أحد يختلف مستقبلا فى الدين،كلا..ان الكتاب يوفر للناس فرصه الهدايه،و لكنه لا يفرضها عليهم فرضا،فإن آمنوا به فقد اهتدوا،و إلاّ فهم المسؤولون عن ظلالهم و شقائهم.

وَ مٰا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتٰابَ إِلاّٰ مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَتْهُمُ الْبَيِّنَهُ يبـدو أن أشد الضـلال عند أهل الكتاب تفرقهم،أليس الايمان باللّه و رسله و شرائعه يوحّد أهله فى إطار الغايات التى يرسمها،و المناهج التى يفرضها،و السلوك الذى يوصى به؟ لقد تفرق اليهود إلى اثنين و سبعين فرقه،أبرزهم طوائف الصدوقيين و الفريسيين،و الاسيين،و الغلاه،و السامريين،و كان لكل فرقه منهم ميزاتهم فى الفكر و السلوك (۱).

و بذات العدد تفرق النصارى و كان أبرز طائفتين منهم(الملكانيه)الذين ذهبوا الى عقيده ازدواج الطبيعه عند السيد المسيح-عليه السلام-و(المنوفوسيه)الـذين زعموا أن طبيعته واحده هى الالوهيه،و حاول الامبراطور الرومانى(۶۴۱/۶۱۰ م) ان يجمع مـذاهب الـدوله بـالمنع عن الخوض فى القضايا الكلاميه،إلاّ أنّ القبط فى مصر نابـذوه العـداء،و وقع-جراء ذلك-اضطهاد فظيع على يد قيصر مصر استمر عشر سنين،فكانوا يعذبون الرجال ثم يقتلونهم غرقا،و توقد المشاعل على الضحايا حتى يسيل دهنهم،و قد يوضع الضحيه فى كيس رمل و يلقى حيّا فى البحر (۲).

ص:۲۶۳

۱- ۱) فى ظلال القرآن/ص ۳۹۵۰.

۲- ۲) المصدر/ص ۳۹۵۱.

و اختلاف الأمم بعد رسل اللّه و تمام الحجه عليهم دليل على مدى حاجه البشر الى الوحى،حيث تراهم يختلفون حتى بعد تنزل الوحى بينهم،و بمجرد ان يخبو ضوءه عنهم،فكيف بهم إذا حرموه رأسا؟! (۵)من أين يشجر الخلاف بين البشر؟من الشرك باللّه،حيث يقدّس كل حزب شيئا لم يأذن اللّه به،فتختلف المقدسات،و تتفاوت القيم،و يقع الخلاف، بينما إذا كانوا جميعا يرجعون إلى تلك البصائر التى جاء بها الوحى،و لم يقدسوا مصلحه أو أرضا أو عشيره أو أشخاصا من دون اللّه إذا توحدت كلمتهم،و صلحت أمورهم.

وَ مٰا أُمِرُوا إِلاّٰ لِيَعْبُدُوا اللّٰهَ دون الأنداد و الشركاء الموهومين،و لا تتم العباده إلاّ بالتسليم للّه وحده،و نبذ الخضوع لايّه قيمه أو سلطه من دونه.

مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفٰاءَ يبدو أن معنى الدين هو:ما يخضع له الإنسان من تلقاء نفسه من شريعه أو نظام،و خلوصه رفض ازدواجيه الولاء بين اللّه و الرسل و الأولياء،و بين سائر السلطات الماديه،و هذا ما لم يستقم عليه أهل الكتاب،إذ تراهم ابتدعوا الكلمه الشائعه:ما للّه للّه،و ما لقيصر لقيصر،و من اتبع هوى قيصر كيف يخلص دينه للّه؟! و قد سبق منا اختيار معنى الطهر لكلمه الحنيف،فلما ذا تأتى الكلمه بعد بيان الإخلاص فى الدين؟لعل التوحيد درجات:أولها الشهاده به لسانا،و عقد القلب به مجملا، و ثانيتها:رفض الأنداد،و مواجهتهم،و التمرد ضد سلطانهم،و الثالثه:تطهير القلب من حبهم أو الميل إليهم،و تطهير الفكر من رواسب ثقافتهم،و تطهير السلوك

من آدابهم و أخلاقهم.و هذه درجه الحنيفيه و اللّه العالم،و من أبعادها الالتزام بشرائع اللّه:من اقامه الصلاه على وجهها،الى الخضوع فيها و تعاهدها دائما،و كذلك إيتاء الزكاه.

وَ يُقِيمُوا الصَّلاٰةَ وَ يُؤْتُوا الزَّكٰاةَ وَ ذٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ قالوا:دين الكتب القيّمه،بدلاله قوله:آنفا:« فِيهٰا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ »بلى.انها كتب لا عوج فيها و لا تعقيد،و لا تفاوت و لا اختلاف.و لا نشوز عن فطره البشر أو حقائق الخلق.

(۶)لا يجوز الاختلاف بين اتباع دين واحد،كما لا يمكن توحيد دين الحق و مذهب الباطل،بل لا بد ان يبقى الخلاف ماثلا بين الحق و الباطل و هو أساس توحيد اللّه،و حينما ينماث الخلاف بينهما هنالك يغلب الباطل و يهزم أهل الحق، و هكذا يذكرنا السياق هنا بأن الكفار هم شرّ البريه.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتٰابِ وَ الْمُشْرِكِينَ فِي نٰارِ جَهَنَّمَ خٰالِدِينَ فِيهٰا أُولٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ لقد زعم بعض أحبار النصارى الاسبقون أنهم يخدمون دين اللّه لو أدخلوا فيه بعض التعديلات،و استخدموا كلمات الفلسفه لبيان مقاصده،حتى استقرضوا من الثقافات الشركيه بعض مفاهيمها و ألفّوها مع حقائق الوحى،ثم داهنوا القياصره و المترفين فتنازلوا لهم عن الدنيا ليسمحوا لهم بممارسه طقوسهم الدينيه الفارغه.

كلا..إن المشركين هم شرّ البريه،و من كفر من أهل الكتاب بقيم الدين

الحق و داهن المشركين فهو مثلهم تماما شر البريه،و فى ذلک إنذار بالغ الوضوح لنا -نحن المؤمنين بالقرآن-الاّ نحذو حذو علماء اليهود و النصارى فنهادن الطغاه، و نصانع المستكبرين طمعا فى اعترافهم ببعض الدين.

و شرّ البريّه تعبير بالغ الحده لأنه يعنى أنهم أضل سبيلا من كل ما خلق اللّه و برأه،و لكن لماذا؟لأنهم رفضوا الحق بعد البينه،و كفروا بأعظم رسول،الذى جاء بأفصح حجه و أبلغ إنذار.

(٧)و حتى لو كانوا مستضعفين فى الأرض يأوون الى رؤوس الجبال،و غور كهوفها،و يسيحون فى الأرض فرارا بدينهم،فان المؤمنين هم خير البريّه.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّٰالِحٰاتِ أُولٰئِکَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّهِ لأنهم آمنوا بأفضل نبى،و اتبعوا أكمل منهج،و اهتدوا بأبلج نور.

لقد خلق اللّه كل شيء فى الأرض للإنسان،و لكن أى إنسان،هل الذى يغتال كرامه نفسه،و يدسها فى و حل الجهل و الغرور؟كلا..انه لا يساوى عند اللّه شيئا،بل الذى يؤمن باللّه و رسالاته،و يعمل صالحا،فيصبح أكرم خلق اللّه جميعا.

و

جاء فى الأثر فى تأويل هذه الايه عن ابن عباس: لما نزلت قال النبى-صلّى اللّه عليه و آله-لعلى(عليه السلام):«هو أنت و شيعتک،تأتى أنت و شيعتک يوم القيامه راضين مرضيّين،و يأتى عدوک عقبانا مقمحين» (١).

و

ذكر الدر المنثور للسيوطى طائفه من الأحاديث المماثله نذكر منها ما يلى:

١- ١) شواهد التنزيل/ج ٢-ص ٣۵٧ عن تفسير نمونه/ج ٢٧-ص ٢١١.

۱-اخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد اللّه،قال:كنا عند رسول اللّه -صلّی اللّه علیه و آله-فأقبل علیّ،فقال النبی-صلّی اللّه علیه و آله-:

«و الذی نفسی بیده إن هذا و شیعته لهم الفائزون یوم القیامه»و نزلت: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّهِ ،فکان أصحاب النبی-صلّی اللّه علیه و آله-إذا أقبل علیّ قالوا:جاء خیر البریه.

۲-و

أخرج ابن عدوی و ابن عساکر،عن أبی سعید مرفوعا: علیّ خیر البریه.

۳-و

أخرج ابن عدی عن ابن عباس،قال: لما نزلت«الایه»قال رسول اللّه -صلّی اللّه علیه و آله-لعلیّ:«هو أنت و شیعتک یوم القیامه راضین مرضیین. » ۴-و

أخرج ابن مردویه،عن علیّ،قال:«قال لی رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله-: ألم تسمع قول اللّه: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّهِ أنت و شیعتک،و موعدی و موعدکم الحوض،إذا جاءت الأمم للحساب تدعون غرّا محجّلین» (۱).

(۸)ما هو المقیاس لخیر البریه،هل کثره الأموال و الأنصار؟کلا..بل رضوان اللّه و الجنه،اما الثروات و الأولاد فإنها فتنه و ابتلاء یقدرهما اللّه للناس جمیعا.

جَزاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ خالِدِينَ فِيها أَبَداً ألیس قد صلحت طینتهم فأصبحوا أهل الجنه دائمین فیها،لان الجنه هی ذاتها

ص:۲۶۷

۱- ۱) تفسیر الدر المنثور/ج ۶ ص ۳۷۹.

الصلاح،و قد أعدت لأهل الصلاح،و أعظم من الجنه رضوان اللّه الذی یغمر قلوبهم رضا و سکینه و نورا.

رَضِیَ اللّهُ عَنْهُمْ وَ رَضُوا عَنْهُ کیف یبلغ الإنسان درجه الرضوان؟إنما بمعرفه اللّه و خشیته،التی هی میراث معرفته سبحانه،و علامه القرب منه،و شهاده رفع حجب الذنوب بینه و بینهم.

ذٰلِکَ لِمَنْ خَشِیَ رَبَّهُ لذلک

جاء فی الدعاء المأثور عن النبی-صلّی اللّه علیه و آله-: «اللهم اجعلنی أخشاک کأنی أراک و أسعدنی بتقواک. » و جاء فی الایه الکریمه: إِنَّمٰا یَخْشَی اللّٰهَ مِنْ عِبٰادِهِ الْعُلَمٰاءُ (۱).

فالخشیه هی زینه العلماء باللّه،و هکذا

جاء فی دعاء الصباح المأثور عن الامام أمیر المؤمنین علیه السلام: «لا اله الا أنت سبحانك اللهم و بحمدک،من ذا یعرف قدرک فلا یخافک،و من ذا یعلم ما أنت فلا یهابک. » نسأل اللّه أن یملأ قلوبنا خشیه و فرقا منه،و شوقا إلیه،حتی نکون من خیر البریّه،و من شیعه علیّ التابعین لنهجه حقّا.آمین رب العالمین.

۱- ۱) فاطر/۲۸.

سوره الزلزله

اشاره

ص:۲۶۹

بسم اللّه الرحمن الرحيم

فضل السوره

فی أصول الکافی بإسناده عن أبی عبد اللّه-علیه السلام-قال: «لا تملّوا من قراءه إذا زلزلت الأرض زلزالها فإنه من کانت قراءته بها فی نوافله لم یصبه اللّه -عز و جل-بزلزله أبدا،و لم یمت بها،و لا بصاعقه و لا بآفه من آفات الدنیا حتی یموت،فإذا مات نزل علیه ملک کریم من عند ربّه،فیقعد عند رأسه،فیقول:یا ملک الموت!رفق بولی اللّه،فإنه کان کثیرا ما یذکرنی و یذکر تلاوه هذه السوره،

ص:۲۷۱

و تقول له السوره مثل ذلک،و یقول ملک الموت:قد أمرنی ربّی أن اسمع له و أطیع،و لا أخرج روحه حتی یأمرنی بذلک،فاذا أمرنی أخرجت روحه،و لا یزال ملک الموت عنده حتی یأمره بقبض روحه،و إذا کشف له الغطاء فیری منازله فی الجنّه فیخرج روحه فی ألین ما یکون من العلاج،ثم یشیع روحه إلی الجنّه سبعون ألف ملک یبتدرون بها إلی الجنّه. » و

عن أنس: أنه سأل النبی-صلّی اللّه علیه و آله-رجلا من أصحابه،فقال:

«یا فلان هلاّ تزوجت؟»قال:لا و لیس عندی ما أتزوج به،قال:ألیس معک قل هو الله أحد؟قال:بلی،قال:«ربع القرآن»قال:ألیس معک قل یا أیها الکافرون قال:بلی.قال:«ربع القرآن»قال:«ألیس معک إذا زلزلت؟»قال:بلی،قال:«ربع القرآن»ثم قال:«تزوج تزوج تزوج».

تفسیر نور الثقلین/ج ۵ ص ۶۴۷

الإطار العام

سنه اللّه فى الجزاء تتجلى فى البصيره التى تبيّنها سوره الزلزله:إن من يعمل مثقال ذره خيرا يره،و إن من يعمل مثقال ذره شرا يره،لكى لا يستهين الإنسان بأعماله التى تتجسد له يوم القيامه،ذلك اليوم الثقيل الذى تزلزل الأرض زلزالها، و تخرج الأرض ما فى جوفها من أجساد و معادن و أجسام مختلفه،و يستبد بالإنسان حيره و يتساءل:ما لها؟و ترى الناس يصدرون فى مذاهب شتّى،حسب أفعالهم و حسب درجاتهم.

ص:۲۷۳

سوره الزلزله

[سوره الزلزله (۹۹): الآيات ۱ الی ۸]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . إِذٰا زُلْزِلَتِ اَلْأَرْضُ زِلْزٰالَهٰا (۱) وَ أَخْرَجَتِ اَلْأَرْضُ أَثْقٰالَهٰا (۲) وَ قٰالَ اَلْإِنْسٰانُ مٰا لَهٰا (۳) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ
أَخْبٰارَهٰا (۴) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحىٰ لَهٰا (۵) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ اَلنّٰاسُ أَشْتٰاتاً لِيُرَوْا أَعْمٰالَهُمْ (۶) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقٰالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (۷) وَ مَنْ يَعْمَلْ
مِثْقٰالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (۸)

ص:۲۷۵

إذا زلزلت الأرض زلزالها

بينات من الآيات:

(١)ليست الحياه الاولى التى تملأ أعيننا و قلوبنا بخيرها و شرها،بأنظمتها و احداثها و ظواهرها سوى ظلال باهته،لذلك الحيوان العريض الواسع و الخالد،و انما جىء بنا إليها لنستعد و لنتزود، وَ مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاّ مَتَاعُ الْغُرُورِ .

و نحن فى الدنيا نشهد أهوالا تفزعنا و تكاد تقتلع أفئدتنا،و منها الزلازل العظيمه التى قد تبتلع فى لحظات مدينه كبيره بناها الإنسان عبر قرون متماديه،و انها-على ذلك-ليست سوى زلزال محدود يضرب ناحيه من الأرض،فيكف إذا كان شاملا للأرض كلّها؟!أىّ منظر رهيب،أم أىّ فزع عظيم،أم أى داهيه كبرى يكون ذلك الزلزال! إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا و لعل ضمير«ها»العائد إلى الأرض يوحى بأنّ الزلزال لا يخص منطقه،و انه

ص:٢٧٦

یکون کأشد ما یقع فی الأرض من زلزال.

(۲)ماذا یحدث عندئذ؟هل تفور النواه المرکزیه للکره الارضیه بعوامل غیر معروفه لدینا فتهتز القشره الفوقیه للأرض هزّات عنیفه و متتالیه،ثم تقذف فوقها المواد التی احتسبت فیها منذ ملایین السنین؟هکذا یبدو من الآیات التی تصرح بأن الأرض تلقی أثقالها.

وَ أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقٰالَهٰا و هکذا قال ربنا سبحانه فی آیه اخری: وَ أَلْقَتْ مٰا فِيهٰا وَ تَخَلَّتْ (۱).

و قال بعضهم:الأثقال هی کنوز الأرض و معادنها،و قال آخرون بل هی الأموات التی تخرجهم الأرض فی النفخه الثانیه،فاذا هم قیام ینظرون.

و یبدو أن الکلمه تتسع لکل هذه التطبیقات،علی أن إخراج المواد الکامنه فی مرکز الأرض أقرب إلی ما نعرفه من سبب الزلزال،ألیس سببه الغازات الارضیه المحتبسه فی النواه المرکزیه.الا تری ان بعض الزلازل یکون من البراکین التی تخرج المواد الذائبه؟و یؤید ذلک ما

جاء فی حدیث:

«تقیء الأرض أفلاذ کبدها أمثال الاسطوان من الذهب و الفضه» (۲).

(۳)و یبقی الإنسان حائرا مدهوشا!ماذا حدث للأرض حتی تزلزلت، و أخرجت ما فی أحشائها،و لماذا و ما هی الغایه؟ وَ قٰالَ الْإِنْسٰانُ مٰا لَهٰا

ص:۲۷۷

۱- ۱) الانشقاق/۴.

۲- ۲) القرطبی/ج ۲۰-ص ۱۴۷.

قال بعضهم:هذا هو الكافر الذی جحد بالآخره،فتساءل مع بروز أشراطها عنها و قال:ماذا حدث؟و لکن یبدو أن تلک الحوادث المروعه تحمل کلّ إنسان علی التساؤل.

(۴)و لن یطول التعجب لان الأرض تشرع بالإجابه،مما یشهد بتحوّل عظیم فی عالم الطبیعه،لا یختص بمظاهرها فقط و إنما یجری علی طبائعها،فکیف تتحدث الأرض،و کیف یلتقط سمع الإنسان حدیثها،لو لا تغییر کبیر یحصل فیها.

یَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبٰارَهٰا و أول خبر تنطق به الأرض و بحوادثها أو بلسانها:ان الساعه قد قامت،و أن الدنیا قد أدبرت،و لعل الخبر الثانی لها بیان حکمه الفزع الأکبر الذی یجری علی ظهرها،أما أهم الاخبار فهی شهادتها علی أفعال الناس فوق ظهرها،

فقد جاء فی حدیث مأثور عن رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله- أنه قرء هذه السوره فقال:

«أ تدرون ما أخبارها؟».

قالوا:اللّه و رسوله أعلم،قال:«فإن أخبارها أن تشهد علی کل عبد أو أمه بما عمل علی ظهرها،تقول عمل یوم کذا و کذا»قال:«هذه أخبارها» (۱).

و

فی حدیث آخر:روی عن رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله-: «حافظوا علی الوضوء و خیر أعمالکم الصلاه،فتحفظوا من الأرض فانها أمّکم،و لیس فیها أحد یعمل خیرا أو شرا إلا و هی مخبره به» (۲).

(۵)و لعل الأرض تحدث الناس بأخبار أخری أیضا،أما کیف تتحدث،هل

۱- ۱) المصدر/۱۴۸.

۲- ۲) تفسیر نمونه نقلا عن مجمع البیان/ج ۱۰ ص ۵۲۶.

بكلام يخلق فيها،أم بما ينعكس عليها من آثار أعمال الإنسان فتظهر يومئذ كما الشريط الصوتی أو المصور،أم بأن اللّه يؤتی الإنسان ما يلتقط به إشارات الأرض؟ المهم انها تتحدث بإيحاء اللّه لها.

بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحىٰ لَهٰا (۶)يبدو ان الأرض التی انعكست عليها أقوال الناس و أفعالهم منذ أن عاشوا عليها تبدأ بإعاده تمثيلها لهم كما الشريط المصور الذی تنعكس عليه صور الحوادث، ثم يعرض علينا لنراها من جديد،و لذلك قال ربنا سبحانه:

يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النّٰاسُ أَشْتٰاتاً لِيُرَوْا أَعْمٰالَهُمْ اننا نعرف كيف تنعكس ذبذبات الصوت على شريط الكاسيت،و لكن لا نعرف كيف تنعكس أيضا على ذرأت التراب التی تحيط بنا،و لعل الإنسان يتقدم علميّا حتی يبلغ هذا السّر فی يوم ما،إنّما علينا الآن ان نبقی حذرين من كل شیء محيط بنا،فانه يسجل أفعالنا التی تحفظ إلى يوم القيامه لنراها،فای يوم رهيب ذلك اليوم، حيث يری الإنسان ما عمله خلال حياته محضرا.ان الإنسان قد يرتكب جريمه أو يقترف إثما،فيلاحقه ضميره بالتأنيب،فيحاول جهده تناسی الأمر حتی لا يصاب بوخز الضمير فيما بينه و بين نفسه،فكيف إذا جیء به على رؤوس الاشهاد،و صوّرت له أفعاله!أی خزی يلحق المجرمين فی ذلك اليوم،أم أیّ عار عظيم؟! قالوا:صدور الناس:نشورهم من قبورهم،و حركتهم باتجاه محكمه الرب، و قيل:انه مستوحی من صدور الإبل من الماء،اما الاشتات فإنه يعنی متفرقين، و أعظم ما يفرقهم الايمان و الكفر،فمن آمن اتخذ سبيلا مختلفا عن الكفار،كما قال

ربنا سبحانه: يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ.. و الايه التاليه تشهد بهذا المعنى.

و قال بعضهم:بل معنى الاشتات:انهم يصدرون من مقابرهم و هى مبثوثه فى أنحاء مختلفه من الأرض،كما انهم مختلفون فى المذاهب و النحل،و يبعث كل أمّه منهم بإمامهم.

(٧)و ليست الأعمال الكبيره وحدها التى تتجسد ذلك اليوم،بل حتى أصغر ما يتصوره الإنسان من عمل،من وسوسه الصدر،حتى لمحه بصر،و نصف كلمه، و نفضه من حركه كلها مسجله.

فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ قالوا:عن الذره انها النمله أو ما يلصق باليد من تراب إذا وضعها على الأرض، فكل حبه ذرّه،أو ما يرى فى شعاع الشمس إذا دخل من كوّه صغيره،و نقل

نص مأثور يقول: «الذره لا زنه لها» (١).

و اليوم حيث عرف البشر الذره و عرف أنها أصغر مما كان يتصوره الأقدمون،فأى حساب دقيق ينتظرنا يومئذ،فما لنا نغفل عما يراد بنا.

(٨)و إذا كانت كل ذره من خير تؤثر فى مصيرنا،فعلينا أن نزداد منها أنّى استطعنا،و إذا كانت كل ذره من شرّ نحاسب عليها،فعلينا أن نتحذر منها.

وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ و لذلك

جاء فى الحديث المأثور عن الرسول-صلّى اللّه عليه و آله-: «ما من أحد يوم القيامه إلاّ و يلوم نفسه،فإن كان محسنا،فيقول:لم لا ازددت إحسانا،

١- ١) القرطبى/ج ٢٠ ص ١٥٠.

و إن كان غير ذلك يقول:لم لا نزعت عن المعاصى» (۱).

بلى.و الإنسان يزداد حسره يوم القيامه إذا رأى من أعماله الصالحه مثقال ذره قد عمله لغير اللّه كما الكفار و المنافقون،هكذا نقرأ

فى نصّ مأثور عن الامام الباقر -عليه السلام -فى تفسير قوله: فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ قال:ان كان من أهل النار و قد كان عمل فى الدنيا مثقال ذرّه خيرا يره يوم القيامه حسره انه كان عمله لغير اللّه وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ يقول:«ان كان من أهل الجنه رأى ذلك الشرّ يوم القيامه ثم غفر له» (۲).

و

جاء فى حديث آخر عن الامام الصادق-عليه السلام-قال:«قال رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-: ان العبد ليحبس عن ذنب من ذنوبه مائه عام،و إنّه لينظر إلى أزواجه فى الجنه يتنعّمن» (۳).

حقا..إذا وعى الإنسان هذه الايه من القرآن كفته وعظا و زكاه و طهرا،لأنه سوف يقيس من أفكاره و أقواله و أعماله كل صغيره و كبيره،و من ضبط صغائره هانت عليه الكبائر،أو ليست الكبائر تبدأ بسلسله من الصغائر،أ رأيت الذى يزنى لا يرتكب الفاحشه إلا بعد ان يوسوس له الشيطان بفكره الزنا،فإذا لم يردع نفسه عنها،فتش عن زانيه و سعى إليها،ثم نظر إليها،ثم تحدث معها ثم لامس و زنى.إنّها خطوات متدرجه،كلّ واحده أنكى من سابقتها،و هى صغائر تنتهى الى كبيره،أو تصبح بمجموعها كبيره.أ ليس كذلك؟ من هنا رأى ابن مسعود هذه الايه احكم آيه فى القرآن و

روى المطلب بن خطب أن إعرابيّا سمع النبى-صلّى اللّه عليه و آله-يقرؤها،فقال:يا رسول اللّه!

۱- ۱) المصدر/ص ۱۵۰.

۲- ۲) نور الثقلين/ج ۵ ص ۶۵۱.

۳- ۳) المصدر.

أ مثقال ذره؟قال:«نعم»فقال الاعرابى:وا سوأتاه مرارا،ثم قام و هو يقولها فقال النبى-صلّى اللّه عليه و آله- «لقد دخل قلب الاعرابى الايمان» (1).

و

روى أنّ رجلا جاء إلى النبى-صلّى اللّه عليه و آله-فقال:علّمنى مّما علّمك اللّه،فدفعه إلى رجل يعلمه،فعلّمه: إِذا زُلْزِلَتِ -حتى إذا بلغ- فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ* وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ قال:حسبى،فأخبر النبى -صلّى اللّه عليه و آله- فقال:«دعوه فإنّه قد فقه» (2).

1- 1) القرطبى/ج 20 ص 153.

2- 2) المصدر.

سوره العادیات

اشاره

ص:۲۸۳

بسم اللّه الرحمن الرحیم

فضل السوره

عن أبی عبد اللّه-علیه السلام-قال: «من قرأ سوره العادیات،و أدمن قراءتها،بعثه اللّه عزّ و جل مع أمیر المؤمنین-علیه السلام-یوم القیامه خاصه، و کان فی حجره و رفقائه».

تفسیر نور الثقلین/ج ۵ ص ۶۵۱

ص:۲۸۵

الإطار العام

بعـد أن يصور السـياق ببلاغه نافـذه معركه منتصـره،يمتطى المجاهـدون فيها الخيول التى تعـدو و تحمحم،و تنقـدح من حوافرها الشرار،ثم تغير مع بواكير الصباح على العدو،مثيره غبارا كثيفا،ثم تبلغ وسط الهدف.

بعد أن يصور السياق ذلك و يقسم به إكراما له(لأنه غايه الجود و الشهامه و الإيثار)يبين أن الطبيعه الاوليه للإنسان(قبل ان يتربى و يتزكى)هو الكند، و البخل،و حب الخير لنفسه،و الاستئثار به،و لكن متى يفقه حقا خطأه؟عند ما تتكشف القبور عما سترتها من أجساد،و تتكشف الصدور عما خبأتها من أسرار..

يومئذ يعرف الإنسان أن ربه خبير به.

هكـذا تربى هذه السوره الكريمه التى جاء فى بعض الأحاديث أنها بمثابه نصف القرآن،تربى الإنسان على الإيثار و التضـحيه فى سبيل اللّه.

ص:۲۸۶

[سوره العادیات (۱۰۰): الآیات ۱ الی ۱۱]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . وَ اَلْعٰادِيٰاتِ ضَبْحاً (۱) فَالْمُورِيٰاتِ قَدْحاً (۲) فَالْمُغِيرٰاتِ صُبْحاً (۳) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً (۴) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً
(۵) إِنَّ اَلْإِنْسٰانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (۶) وَ إِنَّهُ عَلىٰ ذٰلِكَ لَشَهِيدٌ (۷) وَ إِنَّهُ لِحُبِّ اَلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (۸) أَ فَلاٰ يَعْلَمُ إِذٰا بُعْثِرَ مٰا فِي اَلْقُبُورِ (۹) وَ
حُصِّلَ مٰا فِي اَلصُّدُورِ (۱۰) إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ (۱۱)

ص:۲۸۷

إنّ الإنسان لربه لكنود

بينات من الآيات:

(١)لكى نفقه كرامه المجاهـدين على اللّه،و عظمه دور خيلهم العاديـات فى سبيله،يقسم القرآن بها،لأنها تحمل نور الإسـلام إلى الافاق،و تحمل صفوه عباد اللّه الذين نذروا أنفسهم فى سبيل نشر دعوته.

وَ الْعٰادِيٰاتِ ضَبْحاً يبـدو أن العـدو فى الأصل تجاوز الحـد،و يسـمى العـدو عدوا لأنه يتجاوز الحد فى معاملته،و منه العدوان لأنه تجاوز للحق،و السرعه القصوى فى المشى تسمى عدوا لأنها أيضا تجاوز للحد.

و هكـذا قالوا فى الخيل سـميت العاديات لاشـتقاقها من العـدو،و هو تباعـد الأرجل فى سـرعه المشـى،و انشدوا لصـفيه بنت عبد المطلب:

ص:٢٨٨

فلا و العاديات غداه جمع بأيديها إذا سطع الغبار

اما الضّبح،فقالوا:انه التنفس بقوه،و قيل:انه حمحمه الخيل،و الأقرب عندى:تغير الحال أو تغير اللون،و يقال:انضبح لونه إذا تغير،و لعله لذلک يسمى الرماد ضبحا لأنه يتغير لونه من أصله،و إنما تسمى الخيل ضابحه إذا تغير من العدو حالها مما ظهر على لونها و تنفسها و حمحمه صوتها، و قد استخدمت الكلمه فى الثعلب،و قيل فى الايه:ان الخيل كانت تكعم(و الكعم شىء يوضع فى فم البعير)لئلا تصهل فيعلم العدو بهم،فكانت تتنفس فى هذه الحال بقوه و انشدوا:

و الخيل تعلم حين تض بح فى حياض الموت ضبحا

(٢)كانت الخيل تعدو بسرعه،و لكن من دون صهيل،و كانت الحركه فى الليل-فيما يبدو-حيث تتطاير الشرر من حوافرها التى تحتك بالحصى،مما يظهر أن الأرض كانت و عره،فجاء السياق يقسم بها و هى تنساب بين الصخور فى رحم الظلام.

فَالْمُورِيٰاتِ قَدْحاً و الإيراء:الاشعال،و القدح:ضرب الحجاره ببعضها طلبا للنار.

(٣)و تقترب خيل المجاهدين العاديه من أرض العدو،و تنتظر انبلاج الفجر فتفاجئ العدو بغارتها الخاطفه.

فَالْمُغِيرٰاتِ صُبْحاً و هكذا كانت الغارات الناجحه،فاذا أرادوا العدو ساروا إلى أرضه ليلا، و انتظروا الصباح للبدء بالهجوم،حيث لا تزال العيون نائمه،و الاعصاب مخدّره.

ص:٢٨٩

(۴)و عند الهجوم المباغت تثير الخيل بحوافرها الغبار،و كلما ازداد الغبار كشف عن شده المعركه.

فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً و لعل النقع:الغبار الغليظ الذى يشمل الأرض،ذلك لان أصل النقع-كما قيل-الغور فى الماء أو غور الماء-و لهذا يسمى الماء الراكد بالنقيع،لأنه يغور فى الأرض أو يغور فيه الغاطس،قالوا:لذلك سمى الغبار نقيعا فكأنه يغور فيه الإنسان.

و تساءلوا عن ضمير«به»أين مرجعه،فقال البعض:انه يعود الى العدو المفهوم من العاديات،و قال آخر:بل يعود إلى المكان الذى تقع فيه المعركه، و المفهوم من السياق،و أظن انه يعود إلى قوله«ضبحا»لأنه الأقرب،و إذا نسب الى الزمان شيء كان أبلغ فى معنى الشده،كما نقول يوم نحس أو يوم سعيد، أى كلّه سعاده أو نحوسه.

بلى.قد أثارت الخيول نقعا جعل الصباح مغبرّا.

(۵)الغاره القاهره هى التى تقع مفاجئه،و صباحا،و تبلغ أهدافها بسرعه خاطفه،و هكذا كانت تلك الغاره التى اخترقت قلب العدو.

فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً يقال:وسطت القوم أى صرت فى وسطهم،و الجمع بمعنى:تجمع العدو، و هو كنايه عن قلب جيشهم،و مركز قوتهم،و ضمير«به»يعود إلى العدو أو إلى المكان أو الصباح حسبما سبق فى الايه الماضيه.

ص:۲۹۰

كان ذلك التأويل الأقرب إلى ظاهر الآيات،و هناك تأويل أخر ذكره طائفه من المفسرين،حيث قالوا:تعنى الآيات خيل الحجيج أو إبلهم،حيث يفيضون إلى عرفات ثم مزدلفه فمنى و يكون معنى الإيراء إشعال النيران لطعامهم،و معنى الجمع:

مزدلفه،أما معنى المغيرات صبحا-حسب التفسير-فهى الإبل تدفع بركبانها يوم النحر من منى إلى جمع،و السنه الا تدفع حتى تصبح.

و يبدو أن تأويل الآيات فى الحج و مناسكه و مشاعره لا يتنافى مع تأويلها فى الجهاد،أليس الحج جهاد المستضعفين؟و يشبه مناسكهم و حركتهم،و هكذا نجد الروايه التاليه المأثوره عن الامام أمير المؤمنين-عليه السلام-تجمع بين التأويلين، تدبر قليلا فيها:

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: بينما أنا فى الحجر جالس،إذ أتانى رجل فسأل عن اَلْعادِیاتِ ضَبْحاً فقلت له:الخيل حين تغزو فى سبيل اللّه،ثم تأوى إلى الليل،فيضعون طعامهم،و يورون نارهم،فانفتل عنّى و ذهب إلى على بن أبى طالب عليه السلام-و هو تحت سقايه زمزم-فسأله عن اَلْعادِیاتِ ضَبْحاً فقال:«سألت عنها أحدا قبلى»قال:نعم،سألت عنها ابن عباس، فقال:الخيل حين تغزو فى سبيل اللّه،قال:«فاذهب فادعه لى»فلما وقف على رأسه قال:«أ تفتى الناس بما لا علم لك به،و اللّه إن كانت لاول غزوه فى الإسلام بدر،و ما كان معنا إلاّ فرسان:فرس للزبير،و فرس للمقداد بن الأسود،فكيف يكون العاديات الخيل؟بل العاديات ضبحا الإبل من عرفه إلى المزدلفه،و من مزدلفه إلى منى»قال ابن عباس:فرغبت عن قولى و رجعت إلى الذى قاله على (1).

و يؤيد الجمع بين التأويلين ما

جاء فى سبب نزول السوره: أنه كان فى سريّه

ص:291

1- 1) نور الثقلين ج 5 ص 656،و نجد روايات مشابهه فى سائر التفاسير.راجع تفسير القرطبى ج 20 ص 155.

قادها الامام علیّ-علیه السلام-حیث أخبر جبرئیل-علیه السلام-النبی -صلّی اللّه علیه و آله-:أن أهل وادی الیابس قد اجتمعوا فی اثنی عشر ألف فارس،و تعاقدوا و تواثقوا أن لا یتخلّف رجل عن رجل.و لا یخذل أحد أحدا حتی یقتلوا محمدا و علیّا،فبعث رسول اللّه إلیهم بسریه یقودها أبو بکر فی أربعه آلاف رجل،فلما رأی بأسهم و بعد دیارهم لم یحاربهم،فأرسل رسول اللّه عمرا بالمهمه، فعاد هو الاخر لذات السبب،فلما بعث إلیهم علیا مشی إلیهم من غیر الجاده، و اعنف فی السیر،فلما أحاط بأرضهم،أغار علیهم صباحا و هم غافلون،فلما یعلموا حتی وطأتهم الخیل،و أقبل بالأساری و الأموال إلی رسول اللّه فنزلت السوره (۱).

(۶)قسما بکل ذلک الإیثار العظیم الذی یتجلی فی معارک المجاهدین،قسما بتلک القمم السامقه التی بلغوها بإیمانهم و یقین قلوبهم:إن الإنسان قد طبع علی کفران النعمه،و لن یتسامی إلی أفق الإیثار من دون جهاد نفسه و تزکیتها.

إِنَّ الْإِنْسٰانَ لِرَبِّهِ لَکَنُودٌ کلما ذکرت کلمه(الإنسان)أرید بها-فیما یبدو-طبیعه الإنسان الاولیه قبل التزکیه و التعلیم،و قد ذکروا تفسیرات شتی للفظه«لکنود»أبرزها:الکفور، العاصی،البخیل،السّیء الملکه،و قال بعضهم:هو الذی یکفر بالیسیر و لا یشکر الکثیر،و قیل:انه الجاحد للحق،و انشدوا:

کنود لنعماء الرجال و من یکن کنودا لنعماء الرجال یبعّد

و یبدو ان الصفات السیئه یتسع بعضها،مما یجعل المعنی الاصلی للکلمه الداله علی واحده منها ضائعا فیختلف فیه الناس،و قد تکون الکلمه موضوعه کشخصیه

ص:۲۹۲

۱- ۱) المصدر ص ۶۵۲ بتصرّف و اختصار،و راجع أیضا موسوعه بحار الأنوار ج ۲۱ ص ۶۶،و کذلک مجمع البیان ج ۱۰ ص ۵۲۸.

متّصفه بها جميعا،کما سبق فی معنی کلمه«عتل»و إذا قلنا بان لکلمه(کنود) معنی واحدا،فلیکن البخیل الذی یحس دائما بأن حقه أعظم مما أوتی فلا یشکر نعم اللّه علیه بالإنفاق،و من هنا

جاء فی الحدیث المأثور عن رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله-:

«الکنود هو الذی یأکل وحده،و یمنع رفده،و یضرب عبده» (1).

و قال الشاعر:

دع البخلاء ان شمخوا و صدّوا و ذکری بخل غانیه کنود

و هکذا یکون معنی«لربه»لفضل ربه و نعمه.

(7)و الکفران و الجحود و البخل و سائر الصفات السیئه التی تجمعها کلمه کنود حقائق یعترف الإنسان بوجودها فی نفسه،فعلیه مسئولیه تخلیص نفسه منها، و لا یمکنه التملص عن المسؤولیه بأنه کان جاهلا:

وَ إِنَّهُ عَلیٰ ذٰلِکَ لَشَهِیدٌ أو لم یقل ربنا سبحانه فی آیه اخری: بَلِ الْإِنْسٰانُ عَلیٰ نَفْسِهِ بَصِیرَةٌ* وَ لَوْ أَلْقیٰ مَعٰاذِیرَهُ (2)و قال بعضهم معنی الآیه:أن اللّه علی ذلک لشهید و هو بصیر،لان السیاق یحدث عن الإنسان فالاولی عوده الضمیر الیه.

(8)و لکن لماذا لم یتخلص من کند نفسه؟لأنه شدید الحب للخیر،و من شده حبّه له تراه یبخل به و لا یشکر ربه علیه بإنفاقه.

1- 1) القرطبی/ج 20 ص 160.
2- 2) القیامه14/-15.

وَ إِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ و حب الخير بذاته فضيله،و لكنه يصبح رذيله إذا اشتد فى الإنسان،و طغى على حبه للّه و للرساله،و فضّله الإنسان على الاخره التى هى الخير حقّا.

و لكن اى خير هذا الذى يهدده الموت فى ايه لحظه، قال الشاعر:

ارى الموت يعتام الكرام و يصطفى عقيله مال الفاحش المتشدّد

(۹)و لا يتخلص الإنسان من حب الدنيا إلا بذكر الاخره فمن اشتاق إلى الجنه سلا عن شهوات الدنيا،و من أشفق من النار هانت عليه مصيبات الحياه.

أَ فَلاٰ يَعْلَمُ إِذٰا بُعْثِرَ مٰا فِى الْقُبُورِ أى اثير و قلب،من قولهم:بعثرت المتاع أى جعلت أسفله أعلاه،و يبدو أن ذلك إشاره إلى البعث و النشور،حيث تثار القبور لاستخراج ما فيها.

(۱۰)هنالك يحشر الناس للحساب،و تشهد عليهم جوارحهم،و تظهر ما فى جوانحهم،من نكد و حبّ للدنيا.

وَ حُصِّلَ مٰا فِى الصُّدُورِ حيث تبلو يومئذ السرائر،و تسقط الاقنعه،و يعرف الإنسان مدى خسارته للفرصه إذ لم يزك نفسه.

(۱۱)هنالك يعلم الناس يقينا ان اللّه محيط بهم،ذلك لأنهم يرون كيف يجازيهم بأفعالهم،بل و يسأل عن سرائرهم،و ما أضمروا فيها من خير أو شر، فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشٰاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشٰاءُ .

ص:۲۹۴

إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ و يفعـل بهم ما يشاء بحكمه،فلـذلک اليوم فليسـتعد الإنسان و ليزک نفسه، و ينمی فيها الفضائل،و من أبرزها الجهاد فی سبيل اللّه.وفقنا اللّه له.

ص:٢٩٥

سوره القارعه

اشاره

ص:۲۹۶

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

فضل السوره

فى كتاب الأعمال للصدوق بإسناده عن أبى جعفر-عليه السلام-قال:

«من قرأ و أكثر من قراءه القارعه آمنه اللّه-عز و جل-من فتنه الدجال أن يؤمن به و من قيح جهنم يوم القيامه،إنشاء اللّه».

تفسير نور الثقلين/ج ۵ ص ۶۵۸

ص:۲۹۹

الإطار العام

خلق اللّه كـل شـىء بمقـدار،كلما حولك موزون بـدقه،فهل يسـمح للإنسان أن يعبث بحياته بلا نظام و لا حساب.كلا..إن حياته هى الاـخرى محسوبه عليه، كـل وسوسه و فكره و عزم،كل كلمه و كل حركه مسـجله عليه،و عليه أن يزيـد من صالـح أعماله ما يثقـل ميزانه،و إلا فإن مصـيره الى نار حاميه،متى؟عنـد ما تقرع ساعه القيامه، و عنـدها يكون الناس كالفراش المبثوث،و كالجراد المنتشر،و تكون الجبال كما الصوف المنفوش.

ص:٣٠٠

[سوره القارعه (۱۰۱): الآیات ۱ الی ۱۱]

اشاره

بِسْمِ اَللّهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیم . اَلْقٰارِعَهُ (۱) مَا اَلْقٰارِعَهُ (۲) وَ مٰا أَدْرٰاکَ مَا اَلْقٰارِعَهُ (۳) یَوْمَ یَکُونُ اَلنّٰاسُ کَالْفَرٰاشِ اَلْمَبْثُوثِ (۴) وَ تَکُونُ اَلْجِبٰالُ کَالْعِهْنِ اَلْمَنْفُوش (۵) فَأَمّٰا مَنْ ثَقُلَتْ مَوٰازِینُهُ (۶) فَهُوَ فِی عِیشَهٍ رٰاضِیَهٍ (۷) وَ أَمّٰا مَنْ خَفَّتْ مَوٰازِینُهُ (۸) فَأُمُّهُ هٰاوِیَهٌ (۹) وَ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا هِیَهْ (۱۰) نٰارٌ حٰامِیَهٌ (۱۱)

ص:۳۰۱

وَ مٰا أَدْرٰاکَ مَا الْقٰارِعَهُ

بینات من الآیات:

(۱) اَلْقٰارِعَهُ تلک هی الساعه تقرع الخلائق بأهوالها،و تقول العرب قرعتهم القارعه،إذا نزل بهم أمر فظیع.

(۲)و کل داهیه قارعه و لکن قارعه الساعه أمر عظیم،لا یبلغ وعی الإنسان مدی فظاعتها.

مَا الْقٰارِعَهُ (۳)و انی کانت عظمتها فعلینا أن نقترب من وعیها،لاننا بذلک نستطیع مقاومه لغفله و الجهاله و الفوضی فی أنفسنا.

وَ مٰا أَدْرٰاکَ مَا الْقٰارِعَهُ

ص:۳۰۲

ان النفس البشريه شديده الميل إلى الانفلات و التحلل و الفوضى،لو لا قرعها بنصائح الاخره،و ما فيها من أهوال تجعل الولدان شيبا،و لذلك جاءت آيات الذكر شديده الإنذار،بالغه التحذير،لعلنا نعقل أو نسمع،و نوقظ عقولنا من السبات العميق.

(۴)الألقاب التى نخدع أنفسنا بها اليوم،و الأسماء العريضه،و المفاخر و الأمجاد تتلاشى ذلك اليوم،و يحشر عشرات الألوف من بلايين البشر كما الهمج الطائر، الذى يكثر أيام الصيف،فتراه كالسحابه من شده تراكمها فوق بعضها،أو الجراد الكثيف الذى يتداخل فى بعضه كأنه غبار كثيف،فما قيمه بعوضه فى الهمج،أو جراده فى سيل الجراد،انا و أنت نصبح هكذا بين من يحشر من أبناء آدم،منذ كان آدم و إلى قيام الساعه.

يَوْمَ يَكُونُ النّاسُ كَالْفَرٰاشِ الْمَبْثُوثِ قالوا:الفراش:الطير الذى يتساقط فى النار و السراج،و قيل:كل همج طائر يسمى فراشا،و منه الجراد،و

روى عن رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-: «مثلى و مثلكم كمثل رجل أوقد نارا فجعل الجنادب و الفراش يقعن فيها،و هو يذبهن عنها،و أنا آخذ بحجركم عن النار،و أنتم تفلتون من يدى» (۱).

حالات مختلفه و متدرجه فى ذلك يذكرنا السياق بواحده منها،كما سبق فى آيات مشابهه.

قالوا:المبثوث المنتشر المتفرق.

(۵)أكثر ما فى الدنيا وهم،و يتلاشى الوهم فى الاخره،بل حتى حقائق الدنيا تتلاشى يومئذ،فترى الجبال التى تحسبها قوّه ثابته كما الصوف المتفرق،تحركها

۱- ۱) القرطبى ج ۲۰ ص ۱۶۵.

الرياح.

وَ تَكُونُ الْجِبٰالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ قالوا:أی الصوف الذی ینفش بالید،أی نعیدها هباء،و یبدو أن للجبال حالات مختلفه و متدرجه فی ذلک یذکرنا السیاق بواحده منها،کما سبق فی آیات مشابهه.

(۶)بلی.ینتفع الإنسان یومئذ بشیء واحد،یعطیه قیمه بین الناس،إنه عمله الصالح الذی لو رجحت کفته فی المیزان حسنت عیشته.

فَأَمّٰا مَنْ ثَقُلَتْ مَوٰازِینُهُ یبدو ان الموازین تعنی الأفعال التی توزن و لیست ذات الکفتین و اللسان،و قال بعضهم:الموازین:الحجج،و استشهدوا بقول الشاعر:

قد کنت قبل لقائکم ذا مره عندی لکل مخاصم میزانه

و

قد سبق الحدیث فی سوره الرحمن: أن المیزان هو الامام الناطق،الذی جسد قیم الوحی فی حیاته،و کان حجه علی عباد اللّه.

(۷)و إذا کانت عاقبه الإنسان رهینه رجحان حسناته،و إذا کان حتی مثقال ذره من أفعاله محسوبه له أو علیه،فینبغی ألاّ یقصر الإنسان فیها،فلعل حسنه واحده ترجح کفه الحسنات،و تجعلک من أهل الجنه حیث العیشه التی ترضاها.

فَهُوَ فِی عِیشَهٍ رٰاضِیَهٍ و حین تکون العیشه راضیه،فإن کل جوانب حیاتک تجلب رضاک و تکون فی

مستوی طموحک،و قالوا:معناها عیشه مرضیّه،و قیل:بل عیشه لیّنه منقاده.

(٨)و الویل لمن أضاع فرصه العمر،و قصّر فی استغلال فرص الخیر،و استهان بالذنوب حتی تراکمت فی میزانه،و استخف بالحسنات حتی خفت موازینها عنده.

وَ أَمّٰا مَنْ خَفَّتْ مَوٰازِینُهُ (٩) فَأُمُّهُ هٰاوِیَهٌ أی مصیره الجحیم،قالوا:الام ما یأوی إلیها الإنسان،کما یأوی إلی الام و انشدوا:

فالأرض معقلنا و کانت أمنا فیها مقابرنا و فیها نولد

و لکن یبدو أن کمله الامّ من أم أی قصد،و الامّ هو المقصد الذی یعید الیه الإنسان باختیاره و قیل الام: هی أم الرأس،من قولهم:سقط علی أم رأسه و قالوا عن الهاویه:انها المهواه،أو الوادی بین جبلین،لان قعر جهنم بعید،قد یهوون فیها مئات السنین.

(١٠-١١)أو تدری ما الهاویه،انها لیست مجرد مهواه یسقط الإنسان فیها فیموت،و ینتهی کل شیء،کلا..انها النار المشتعله.

وَ مٰا أَدْرٰاکَ مٰا هِیَهْ* نٰارٌ حٰامِیَهٌ انها شدیده الحراره،حتی أن نار الدنیا جزء من سبعین جزء منها،نستجیر باللّه منها.

ص:٣٠۵

سوره التکاثر

اشاره

ص:۳۰۷

بسم اللّه الرحمن الرحيم

فضل السوره

عن أبی عبد اللّه-علیه السلام-: «من قرأ سوره التکاثر فی فریضه کتب اللّه له ثواب أجر مائه شهید،و من قرأها فی نافله کتب له ثواب خمسین شهیدا، و صلّی معه فی فریضه أربعون صفّا من الملائکه إنشاء اللّه. » و

فی أصول الکافی باسناده عن أبی عبد اللّه-علیه السلام-قال:«قال رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله و سلم- من قرأ ألهاکم التکاثر عند النوم وقی فتنه القبر».

تفسیر نور الثقلین/ج ۵ ص ۶۶۰

ص:۳۰۹

الإطار العام

بين حـاجه الإنسان و حرصه مسافه كبيره،و ما يلهيه عن ذكر اللّه و عن المكارم ليست حاجته،بل حرصه الـذى يبعثه يحرضه على التكاثر فى الأموال و الأولاد،حتى إذا زار قبره لم ينفعه ماله و ولده شيئا،و حوسب على نعيم اللّه،و تلاشى عنه ما يلهيه،لأنه سوف يرى الجحيم عين اليقين.و هكذا تعالج السوره حاله التلهّى بالدنيا عبر التذكره بالموت ثم العقاب و الحساب

ص:٣١٠

[سوره التكاثر (١٠٢): الآيات ١ الى ٨]

اشاره

بِسْمِ اَللّهِ اَلرَّحْمنِ اَلرَّحِيمِ . أَلْهاكُمُ اَلتَّكاثُرُ (١) حَتّى زُرْتُمُ اَلْمَقابِرَ (٢) كَلاّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلاّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ (۴) كَلاّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ اَلْيَقِينِ (۵) لَتَرَوُنَّ اَلْجَحِيمَ (۶) ثُمَّ لَتَرَوُنَّها عَيْنَ اَلْيَقِينِ (٧) ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ اَلنَّعِيمِ (٨)

بينات من الآيات:

(١)

جاء فی حدیث شریف: «یا ابن آدم!إن کنت ترید من الدنیا ما یکفیک فأیسر ما فیها یکفیک،و إن کنت ترید ما لا یکفیک فکلّ ما فیها لا یکفیک»، و

جاء فی حدیث آخر عن النبی-صلّی اللّه علیه و آله-: «یقول ابن آدم:مالی مالی،و مالک من مالک إلاّ ما أکلت فأفنیت،أو لبست فأبلیت،أو تصدقت فأمضیت» (١).

و هکذا الذی یسعی نحو إشباع حرصه و طموحه یزور قبره قبل أن یحقق معشار حرصه،هل سمعت بقصه أصحاب البلایین؟ألا فکرت فی سبب اجتهادهم فی الحصول علی المزید من حطام الدنیا و هم یملکون أضعاف ما قد یحتاجونه؟!انهم لا یزالون-حسب ظنّهم-فی وسط الطریق،لأنهم یبحثون دوما عن أعلی رقم، و الأرقام لا تنتهی،و قد قال لی أحدهم:انه لا یحصی ما یملک،و قال آخر:ان سبب

١- ١) نور الثقلین/ج ۵ ص ۶۶٠.

جهده البالغ ليس الحصول على الثروه،بل استباق غيره فيها،و لما سألته:و الى متى؟قال هناك دائما من هو أغنى منى،فأنا فى بحث دائم! و هذا هو التكاثر الذى يستبد بمشاعر الإنسان و لا يدع متّسعا للتفكير فى الاخره.

أَلْهٰاكُمُ التَّكٰاثُرُ أى شغلكم الاهتمام بالتكاثر فأنساكم الاخره،و قد اختلف المفسرون فى الذى ألهاهم هل هو المفاخره و المباهاه حسبما يأتى فى بيان شأن النزول،أم التجاره و التشاغل بأمر المعاش حسبما

جاء فى روايه ابن عباس عن النبى-صلّى اللّه عليه و آله- انه قرأ: أَلْهٰاكُمُ التَّكٰاثُرُ و قال:«التكاثر:الأموال التى جمعها من غير حقّها،و منعها من حقها،و شدّها فى الاوعيه» (۱).

يبدو ان الدافع النفسى إلى التكاثر،و التنافس فى الأموال و الأولاد هو الذى ألهاهم،سواء تجسد فى السعى نحوهما أو فى المباهاه بهما،لان هذا الدافع موجود بالتالى هنا و هناك.

و لذلك لا أجد تناقضا بين ما يظهر من معنى اللفظ من التشاغل بالتجاره و بشؤون الأولاد،و ما ذكر فى قصه نزول السوره من المباهاه و المفاخره بذلك،لأنهما يدخلان تحت عموم اللفظ،و ينتهيان إلى الدافع ذاته.

اما شأن النزول فإن المفسرين اختلفوا فيه كثيرا،مما يدل على أن مراد السابقين من شأن النزول أن السوره تنطبق على ما يقولون،و لا تدل بالضروره أنها نزلت فيهم حقّا،و هكذا قال بعضهم:إنها نزلت فى اليهود،حيث تفاخرت قبائلهم على بعضهم،و قال البعض:بل فى قبيلتين من الأنصار،و قال ابن عباس:بل فى حيّين

۱- ۱) المصدر ۶۶۲/.

من قريش و هما بنو عبد مناف و بنو سهم.و أضاف:تعادوا و تكاثروا بالساده و الاشراف فى الإسلام،فقال:كل حىّ منهم:نحن أكثر سيّدا،و أعز عزيزا،فكثر بنو عبد مناف سهما،ثم تكاثروا بالأموات فكثرتهم سهم،فنزلت أَلْهاكُمُ التَّكاثُرُ بأحيائكم،فلم ترضوا حتى زُرْتُمُ الْمَقابِرَ مفتخرين بالأموات.

بلى.لا يزال الناس يفتخرون بأمجاد الغابرين،و يتكاثرون بمن أمسوا ترابا، و كأنهم يغنون عنهم شيئا من أمور دينهم أو دنياهم،هيهات.

يقول الامام أمير المؤمنين-عليه السلام- و قد تلا هذه الآيات:

«يا له مراما ما أبعده!و زورا ما أغفله!و خطرا ما أفظعه!لقد استخلوا منهم أىّ مدّكر، و تناوشوهم من مكان بعيد!أ فبمصارع آبائهم يفخرون،أم بعديد الهلكى يتكاثرون!يرتجعون منهم أجسادا خوت،و حركات سكنت،و لان يكونوا عبرا أحق من أن يكونوا مفتخرا،و لان يهبطونهم جناب ذلّه أحجى من ان يقوموا بهم مقام عزّه لقد نظروا إليهم بأبصار العشوه،و ضربوا منهم فى غمره جهاله» (1).

من عبر التاريخ ما ينقله الرواه عن مصير هؤلاء المتكاثرين المتفاخرين،يقول قتاده:كانوا يقولون نحن أكثر من بنى فلان،و نحن أعز من بنى فلان،و هم كل يوم يتساقطون إلى آخرهم،و اللّه ما زالوا كذلك حتى صاروا من أهل القبور كلهم (2).

و كلمه أخيره:إنّ الإنسان لا ينى يكافح حتى يزداد مالا و ولدا،حتى إذا انهارت قواه،و لما يبلغ مناه تراه يتفاخر بالغابرين،و يتكاثر بأهل القبور الباليه.ما أكفر الإنسان،و ما أبعده فى الضلال!أ فلا يعتبر بمن هلك من قومه،و يقول:انى من

۱- ۱) المصدر/ص ۶۶۱ نقلا عن نهج البلاغه.

۲- ۲) القرطبى/ج ۱۰ ص ۱۶۹.

بعدهم لهالک،أ فلا ارتدع عن التلهی بالدنیا،و أنا وارد موردهم،و نازل بمنازلهم.

(٢)و یبقی الإنسان سادرا فی غفلته،لاهیا بالتنافس علی حطام الدنیا،حتی یزور المقابر،لیری بیت الوحشه مظلما لم ینوره بمصابیح الصلاح،و لم یمهده بحمید الفعال،فلا ینفعه یومئذ مال و لا بنون،و لا یغنیه مجد و لا فخر.

جاء فی الحدیث المأثور عن الامام الصادق-علیه السلام-: «إذا وضع المیت فی قبره مثل له شخص،فقال له:یا هذا!کنّا ثلاثه:کان رزقک فانقطع بانقطاع أجلک،و کان أهلک فخلفوک و انصرفوا عنک،و کنت عملک فبقیت معک،أما إنّی کنت أهون الثلاثه علیک» (١).

حَتّٰی زُرْتُمُ الْمَقٰابِرَ و لعل التعبیر ب«حتی»للدلاله علی ان التکاثر الذی یضر بصاحبه هو الذی یتصل بالموت فلو تاب صاحبه من قبل نفعته توبته،و للدلاله أیضا علی أن التکاثر یبقی یلهی صاحبه حتی الموت،فعلینا ألاّ نسترسل معه،و لا ینظر بعضنا إلی ما أنعم اللّه علی الاخر من أزواج و اموال و أولاد،بل ینظر فی أمور الدنیا إلی من دونه،و فی شؤون الاخره إلی من هو فوقه،قال تعالی: وَ لاٰ تَمُدَّنَّ عَیْنَیْکَ إِلیٰ مٰا مَتَّعْنٰا بِهِ أَزْوٰاجاً مِنْهُمْ زَهْرَهَ الْحَیٰاهِ الدُّنْیٰا لِنَفْتِنَهُمْ فِیهِ وَ رِزْقُ رَبِّکَ خَیْرٌ وَ أَبْقیٰ .

و السؤال:لماذا قال: زُرْتُمُ الْمَقٰابِرَ أجابوا:لان العرب یقولون لمن مات قد زار قبره،و یبدو أن التعبیر یوحی أیضا بأن من یموت لا یفنی،إنّما ینتقل من عالم لاخر فهو کالزائر.

ص:٣١۵

١- ١) بحار الأنوار/ج ۶ ص ٢۶۵.

و قیل:ان معنی زیاره المقابر:التفاخر بالأموات،و التکاثر بعددهم،حسبما سبق فی بیان نزول السوره،و قلنا هناک: أن الایه تتسع لهذا المعنی أیضا،و لذلک ذکر بعض المفسرین أهمیه زیاره القبور و انها تذکر الإنسان بالموت،و تزهده فی الدنیا،و ذکروا

نصّا مأثورا عن رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله-أنه قال:

«کنت نهیتکم عن زیاره القبور،فزوروا القبور،فإنها تزهد فی الدنیا،و تذکّر الاخره» (۱).

و قد حث الإسلام علی ذکر الموت،و الذی یتم بعضه بزیاره القبور،حتی

جاء فی حدیث مأثور عن الامام الباقر-علیه السلام-: «ما أکثر ذکر الموت إنسان الا زهد فی الدنیا» (۲)و

حینما سئل النبی-صلّی اللّه علیه و آله-عن أکیس المؤمنین من هو؟قال-صلّی اللّه علیه و آله-:«أکثرهم ذکرا للموت، و أشدّهم استعدادا» (۳).

(۳)و الذی یردع النفس من التلهی بالتکاثر خشیته من لقاء ربه عند ما یزور قبره،و یواجه عمله.

کَلاّٰ سَوْفَ تَعْلَمُونَ و العلم ینقض الشک،کما ینقض الإنذار التلهی،و هذه الایه إنذار من رب العالمین بأن هذا التکاثر سوف یعلم ان من جمعه لم ینفعه.

(۴)و لان نزعه التکاثر عمیقه النفاذ فی النفس،بالغه الأثر فی قرار الإنسان، و ما أهلک الإنسان مثل الفخر،و لا أضله مثل التکاثر،لذلک عاد السیاق و أکّد

۱- ۱) القرطبی/ج ۲۰ ص ۱۷۰.

۲- ۲) بحار الأنوار/ج ۱۲۶.

۳- ۳) المصدر.

الإنذار تلو الإنذار.

ثُمَّ کَلّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ و علی الإنسان ان یشتغل بإصلاح نفسه عن لهو التکاثر بذکر الموت هادم اللذات و مفرق الجماعات،حتی لا یفاجئه ملک الموت و هو لاه ساه.

و قد ذکر البعض:ان هذه الایه مجرد تأکید للآیه السابقه،بینما ذهب البعض الی أن هذه الایه تذکرنا بعذاب الاخره،بینما الاولی تنذر بعذاب الدنیا الذی یجری حین الموت و بعده فی القبر علی امتداد أیام البرزخ و إلی حین یبعثون،و

قد ورد نصّ مأثور عن الامام أمیر المؤمنین-علیه السلام- فی ذلک،حیث روی زر بن حبیش عنه،قال:«ما زلنا نشک فی عذاب القبر حتی نزلت أَلْهٰاکُمُ التَّکٰاثُرُ الی قوله کَلّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ یرید فی القبر ثُمَّ کَلّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ بعد البعث» (۱).

و هکذا حذرنا أولیاء اللّه من فتنه القبر و عذابه،

فهذا الامام علی بن أبی طالب -علیه السلام-یکتب لمحمد بن أبی بکر:«یا عباد اللّه!ما بعد الموت-لمن لا یغفر له-أشدّ من الموت،القبر فاحذروا ضیقه و ضنکه و ظلمته و غربته،إن القبر یقول کل یوم:أنا بیت الغربه،أنا بیت التراب،انا بیت الوحشه،أنا بیت الدود و الهوام.و القبر روضه من ریاض الجنّه أو حفره من حفر النار.إن العبد المؤمن إذا دفن قالت له الأرض:مرحبا و أهلا،قد کنت ممن أحب أن تمشی علی ظهری فاذا ولّیتک فستعلم کیف صنیعی بک،فیتّسع له مدّ البصر،و أن الکافر إذا دفن قالت له الأرض:لا مرحبا بک و لا أهلا،لقد کنت من أبغض من یمشی علی ظهری فإذا ولّیتک فستعلم کیف صنیعی بک،فتضمه حتی تلتقی

۱- ۱) نور الثقلین/ج ۵ ص ۶۶۱.

أضلاعه» (۱).

(۵)لو علم الإنسان ما يصير اليه لما ألهاه التكاثر لان المعرفه تورث الخشيه، هكذا قال ربنا سبحانه: إِنَّمٰا يَخْشَى اللّٰهَ مِنْ عِبٰادِهِ الْعُلَمٰاءُ و لكن حجب الشك و الغفله و الشهوات تمنع عنه بصائر العلم و اليقين.

كَلاّٰ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ إذا أسلمت النفس البشريه لهدى اللّه آمنت،و إذا طهرت من الشكوك و الظنون أوتيت اليقين،و لليقين درجات،و ما أوتى الإنسان أشرف من اليقين، هكذا

جاء فى الحديث المأثور عن الامام الباقر-عليه السلام-حيث قال: «إنّما هو الإسلام،و الايمان فوقه بدرجه،و التقوى فوق الايمان بدرجه،و اليقين فوق التقوى بدرجه،و لم يقسم بين الناس شيء أقل من اليقين»قال الراوى:قلت:

فأى شيء اليقين؟قال:«التوكل على اللّه،و التسليم اللّه،و الرضا بقضاء اللّه، و التفويض إلى اللّه» (۲).

هكذا جعل الامام أسمى درجات الايمان و أشرفها اليقين،مما يدلّ على أن اليقين هو:طهاره القلب من دنس الشرك و الشك و الظنون،و سائر وساوس إبليس و همزاته.

و

جاء فى حديث آخر تفسير اليقين بالتغلب على خوف المخلوق،قال الامام الصادق-عليه السلام-:«ليس شيء إلاّ و له حدّ» فقال الراوى:فما حدّ التوكل؟قال الامام-عليه السلام-:«اليقين»فقال السائل:فما حدّ اليقين؟

۱- ۱) بحار الأنوار/ج ۶ ص ۲۱۹.
۲- ۲) بحار الأنوار/ج ۶ ص ۲۱۸.

قال الامام-علیه السلام-:«ألّا تخاف مع اللّه شیئا» (۱).

و الیقین یجعل عمل المؤمن مقبولا،بل و یعظم ثوابه،

یقول الامام الصادق -علیه السلام-: «ان العمل الدائم القلیل مع الیقین أفضل عند اللّه من العمل الکثیر علی غیر الیقین» (۲).

أ رأیت الذی یصلی و قلبه متصل بنور اللّه،و نفسه طاهره من الریاء، و العجب،و الاستکبار،و یجاهد،و نیته للّه وحده،کمن یصلی و قلبه ملیء بالوسواس،و یزکی ریاء،و یجاهد للاستعلاء فی الأرض؟! لذلک کان أئمه الهدی-علیهم السلام-یجأرون إلی اللّه فی طلب الزیاده من الیقین،و یحثّون اتباعهم علی مثل ذلک،هکذا

جاء فی الحدیث: کان علی بن الحسین(الامام زین العابدین علیه السلام)یطیل القعود بعد المغرب یسأل اللّه الیقین. (۳)

و

روی عن الامام أمیر المؤمنین-علیه السلام-انه قال فی خطبه له: «أیها الناس!سلوا اللّه الیقین،و ارغبوا الیه فی العافیه،فإن أجل النعمه العافیه، و خیر ما دام فی القلب الیقین،و المغبون من غبن دینه،و المغبوط من غبط یقینه» (۴).

و لا یبلغ الإنسان درجه الیقین الا بعد العروج فی درجات التسلیم و الایمان و التقوی و کلها تقتضی المزید من العمل الصالح و الخالص لوجه اللّه و المنبث علی سائر جوارح البدن،و جوانح النفس،و حتی بعد الحصول علی الیقین علیه ان یسعی جاهدا حتی یتجاوز عقد الشک و الارتیاب بالتفکر و التعلم و الدعاء.الا تری کیف

۱- ۱) المصدر/ج ۷۰ ص ۱۴۲.

۲- ۲) المصدر/ص ۱۴۷.

۳- ۳) المصدر/ص ۱۷۶.

۴- ۴) المصدر.

سعی إبراهیم نحو الیقین حین سأله ربه سبحانه قائلا:« رَبِّ أَرِنِی کَیْفَ تُحْیِ الْمَوْتیٰ ».فلما قال له ربه:« أَ وَ لَمْ تُؤْمِنْ قٰالَ بَلیٰ وَ لٰکِنْ لِیَطْمَئِنَّ قَلْبِی ».و لم یکن فی قلبه ذره شک و لکنه حسب

حدیث مأثور عن الامام الرضا-علیه السلام- «أراد من اللّه الزیاده فی یقینه» (۱).

و علامه صدق الیقین دوام الاستقامه علی صراط الحق،و ألاّ یتخذ الإنسان ولیجه من دون اللّه و رسوله،و یکون مستعدّا لکلّ تضحیه و فی کل موقع.اولا سمعت قصه

الاعرابی الذی جاء إلی رسول اللّه و قال:یا رسول اللّه بایعنی علی الإسلام فقال له الرسول-صلّی اللّه علیه و آله-:

«علی ان تقتل أباک».

فکفّ الاعرابی یده،و اقبل رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله-علی القوم یحدثهم.

و قد بین بعضهم درجات الیقین حسب فهمه بثلاث:

(الف):علم الیقین،و ضرب مثلا له کمن یعلم بوجود النار لما یراه من ضوئها أو دخانها.

(باء):حق الیقین و مثله کمن یری النار بعینه مشاهده.

(جیم):عین الیقین مثل الذی یلامس النار فیحس حرارتها.

و هذا-حسبما یبدو لی-مجرد أمثله،و إلاّ فقد یکون یقین من یعلم بوجود النار بسبب علائمها أشد من الذی یلامسها؛لان قلبه أوعی لحقیقتها من صاحبه.أ رأیت

۱- ۱) المصدر/ص ۱۷۷.

الطبیب قد یکون أفقه بحاله المریض و خصائص دائه من المریض ذاته،و لذلک

جاء فی الحدیث: «رب حامل فقه إلی من هو أفقه منه» (۱)و لا ریب ان هناک فی المسلمین الأواخر من کان أشد یقینا بصدق الرساله من بعض الذین عاصروا النبی و صاحبوه،کل ذلک لان الیقین لیس مجرد علم بل روح فی القلب،تجعله یطمئن الی العلم و یسکن الیه،کما الایمان و التقوی،و بتعبیر أخر:ان الیقین-کما قلنا فی بدایه الحدیث-نقطه التقاء العلم بالإراده،کما أن الایمان:التسلیم و الإذعان للعلم،و عزم و عقد عزمات القلب علی قبول مشاهدات العلم مهما بلغ الثمن،و هذا لا یکون بمجرد ظهور آیات الحقیقه للنفس،بل و أیضا بتصدیق النفس لها،و السکون إلیها،و لذلک یکون یقین المؤمن بالغیب أشد من علم الکافر بالشهود،و یبلغ الیقین ببعضهم حدّا یعایشون الغیب بکل جوارحهم،و

یقول أمیرهم الامام علیّ-علیه السلام-: «و اللّه لو کشف الغطاء لما ازددت یقینا» (۲)و

یقول فی صفه المؤمنین:

«فهم و الجنه کمن قد راها فهم فیها منعمون،و هم و النار کمن قد رآها فهم فیها معذّبون» (۳).

جاء فی الکافی،عن محمّد بن یحیی،عن أحمد بن محمّد؛و علیّ،عن أبیه،عن ابن محبوب،عن أبی محمّد الوابشی و إبراهیم بن مهزم،عن إسحاق بن عمّار قال:

سمعت أبا عبد اللّه-علیه السلام-یقول: «إنّ رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله-صلّی بالناس الصبّح فنظر إلی شاب فی المسجد و هو یخفق و یهوی برأسه، مصفرا لونه،قد نحف جسمه،و غارت عیناه فی رأسه،فقال له رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله-کیف أصبحت یا فلان؟قال:أصبحت یا رسول اللّه!موقنا، فعجب رسول اللّه من قوله،و قال له:إنّ لکلّ یقین حقیقه فما حقیقه یقینک؟

۱- ۱) أصول الکافی ج ۱ ص ۴۰۳.

۲- ۲) غرر الحکم و درر الکلم ص ۶۰۳.

۳- ۳) نهج البلاغه خ ۱۹۳ ص ۳۰۳.

فقـال:إنّ يقينى يا رسول اللّه هو الّذى أحزننى،و أسـهر ليلى و أظمأ هواجرى، فعزفت نفسـى عن الـدّنيا و ما فيها حتّى كأنّى أنظر إلى عرش ربّى و قد نصب للحساب،و حشر الخلايق لذلك،و أنا فيهم،و كأنّى أنظر إلى أهل الجنّه يتنعّمون فى الجنّه و يتعارفون على الأرائك متّكئون،و كأنّى أنظر إلى أهل النار و هم فيها معذّبون مصطرخون،و كأنّى الآن أسمع زفير النار يدور فى مسامعى.

فقال رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-هذا عبد نورّ اللّه قلبه بالايمان،ثمّ قال له:الزم ما أنت عليه،فقال الشاب:ادع اللّه لى يا رسول اللّه أن ارزق الشـهاده معک،فدعا له رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-فلم يلبث أن خرج فى بعض غزوات النبى-صلّى اللّه عليه و آله-فاستشـهد بعد تسعه نفر و كان هو العاشر» (۱) (۶)ان الكـافر ليرى الجحيم بعينه،يلامسـها بجوارحه،فيعلم يقينا أنه مواقعها، و أنه كان فى ضلال عنها مبين،بينما المؤمن يعى وجود النار،و يشاهدها ببصائر قلبه،فيعلم يقينا بها.

لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (۷)أو ليس الاحجى بنا و الأحرى أن نؤمن بها و نحن بعيـدون عنها،و قبل أن نردها ثم لا نصـدر منها؟! ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ قالوا:ان الايه تشـير إلى أن كل البشر يردون النار أو يمرون عليها.لقوله سبحانه: وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلاّ وارِدُها كانَ عَلى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا .

۱- ۱) موسوعه بحار الأنوار/ج ۷۰ ص ۱۵۹.

فیمر علیها بعضهم کالبرق،و بعضهم کالریح و بعضهم کالطیر،و یتباطأ بعضهم بذنوبه حتی یحترق بنارها قلیلا،و بینما یغط بعضهم فیها و یمکث المذنب فیها بقدر ذنبه،قبل ان یتطهر کلیّا و یدخل الجنه،و منهم الخالدون فیها أبدا و العیاذ باللّه.

(۸)لکی لا یلهینا عن الاخره التکاثر بحطام الدنیا لا بد ان نعرف أننا مسئولون یومئذ عن النعیم،و کلما زادت نعم اللّه علینا طال وقوفنا للحساب عند ربنا،فهل نملک الجواب الصواب؟! یقال:ان النبی سلیمان یختلف عن إخوانه الأنبیاء الف عام یوقف للحساب، یسأل عن ملکه و نعیمه بینما هم یتنعمون فی الجنه.

قالت امّ کلثوم بنت أمیر المؤمنین-صلوات اللّه علیه-: لمّا کانت لیله تسع عشره من شهر رمضان قدّمت إلیه عند إفطاره طبقا فیه قرصان من خبز الشعیر، و قصعه فیها لبن و ملح جریش،فلمّا فرغ من صلاته أقبل علی فطوره،فلمّا نظر إلیه و تأمّله حرّک رأسه و بکی بکاء شدیدا عالیا،و قال:«یا بنیّه!ما ظننت أنّ بنتا تسوء أباها کما قد أسأت أنت إلیّ»قالت:و ماذا یا أباه؟قال:«یا بنیّه! أ تقدّمین إلی أبیک إدامین فی فرد طبق واحد؟أ تریدین أن یطول وقوفی غدا بین یدی اللّه عزّ و جلّ یوم القیامه أنا أرید أن أتّبع أخی و ابن عمّی رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله-ما قدّم إلیه إدامان فی طبق واحد إلی أن قبضه اللّه،یا بنیّه!ما من رجل طاب مطعمه و مشربه و ملبسه إلاّ طال وقوفه بین یدی اللّه عزّ و جل یوم القیامه،یا بنیّه إنّ الدنیا فی حلالها حساب و فی حرامها عقاب و قد أخبرنی حبیبی رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله-أنّ جبرئیل-علیه السلام-نزل إلیه و معه مفاتیح کنوز الأرض و قال:یا محمّد!السلام یقرؤک السلام و یقول لک:إن شئت صیّرت معک جبال تهامه ذهبا و فضّه،و خذ هذه مفاتیح کنوز الأرض و لا

ينقص ذلك من حظّك يوم القيامه،قال:يا جبرئيل و ما يكون بعد ذلك؟قال:

الموت،فقال:إذا لا حاجه لى فى الدّنيا،دعنى أجوع يوما و أشبع يوما،فاليوم الّذى أجوع فيه أتضرّع إلى ربّى و أسأله،و اليوم الّذى أشبع فيه أشكر ربّى و أحمده،فقال له جبرئيل:وفّقت لكلّ خير يا محمّد».

ثمّ قال عليه السلام:«يا بنيّه!الدنيا دار غرور و دار هوان،فمن قدّم شيئا وجده، يا بنيه!و اللّه لا آكل شيئا حتّى ترفعين أحد الإدامين»فلمّا رفعته تقدّم إلى الطعام فأكل قرصا واحدا بالملح الجريش،ثمّ حمد اللّه و أثنى عليه،ثمّ قام إلى صلاته فصلّى... (۱).

و لو وعى الإنسان هذه الحقيقه كبح شهوه التكاثر فى نفسه،و لم يدع هذه الحاله تلهيه عن ذكر اللّه.

ثُمَّ لَتُسْـئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ما هو النعيم؟اختلف المفسرون،بل و اختلفت النصوص،و يبدو أن الكلمه تتسع لكل الأقوال و لو بدرجات مختلفه،فقد ينفى نص أن يكون طعام الإنسان و شرابه مما يسئل عنه يوم القيامه،

فقد جاء فى مجادله الامام الصادق عليه السلام مع أبى حنيفه:

قال أبو حنيفه:أخبرنى جعلت فداك عن قول اللّه عزّ و جلّ: ثُمَّ لَتُسْـئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ قال«فما هو عندك يا أبا حنيفه؟»قال:الأمن فى السرب،و صحّه البدن،و القوت الحاضر. (۲)فقال:«يا أبا حنيفه!لئن وقفك اللّه أو أوقفك يوم القيامه حتّى يسألك عن كلّ أكله أكلتها و شربه شربتها ليطولنّ وقوفك».

قال:فما النعيم جعلت فداك؟قال:النعيم:«نحن الّذين أنقذ اللّه الناس بنا

۱- ۱) موسوعه بحار الأنوار/ج ۴۲ ص ۲۷۶.

۲- ۲) المصدر ج ۱۰ ص ۲۰۹.

من الضلاله،و بصّرهم بنا من العمى،و علّمهم بنا من الجهل»قال:جعلت فداك فكيف كان القرآن جديدا أبدا؟قال:«لأنّه لم يجعل لزمان دون زمان فتخلقه الايّام،و لو كان كذلك لفنى القرآن قبل فناء العالم»، بينما يثبت ذلك نص آخر، فما هو تفسير اختلاف النصين؟يبدو ان أحدهما ينفى المسؤوليه بمعنى العقاب بينما يثبت الثانى السؤال.أو ان الاول ينفى التشديد فى السؤال،بينما الثانى يثبت السؤال.و يدل على ذلك ما

جاء فى الحديث المأثور عن النبى-صلّى اللّه عليه و آله-: «كل نعيم مسئول عنه صاحبه إلّا ما كان فى غزو أو حجّ» (۱).

و نعود و نتساءل:عماذا يسأل العبد يوم القيامه؟بلى.انه يسأل عن طعامه من اين اكتسبه و كيف صرفه،و

فى حديث مفصّل قال النبى-صلّى اللّه عليه و آله- لابى بكر و عمر «و الذى نفسى بيده لتسألن عن نعيم هذا اليوم.يوم القيامه» و كانا قد خرجا جائعين فصاحبا رسول اللّه الى ضيافه مالك بن التيهان-أحد الأنصار-فأكرمهم بقراه فقال لهما الرسول ذلك،و أضاف:«أخرجكم من بيوتكم الجوع،ثم لم ترجعوا حتى أصابكم هذا النعيم» (۲).

و

روى عن الامام أمير المؤمنين عليه السلام فى تفسير النعيم،أنه قال: «النعيم:

الرطب و الماء البارد» (۳).

كما يسأل المرء عن مجمل ماله من اين اكتسبه و فيم صرفه،هكذا فى الأحاديث المأثوره:يسأله عن شبابه فيما أفناه،و ماله فيما أنفقه،و عن أمنه و عافيته.أ ليست الصحه نعمه كبيره و

جاء فى الحديث عن النبى-صلّى اللّه عليه و آله-: «نعمتان

۱- ۱) نور الثقلين/ج ۵ ص ۶۶۵.

۲- ۲) القرطبى/ج ۲۰ ص ۱۷۵.

۳- ۳) تفسير نمونه/ج ۲۷ ص ۲۸۶.

مغبون فیهما کثیر من الناس الصحه و الفراغ» (۱).

و

فی نص معروف: «نعمتان مجهولتان الصحه و الامان. » و عن جاهه عند الناس:

فقد جاء فی الحدیث عن رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله-: «إذا کان یوم القیامه دعا اللّه بعبد من عباده فیوقفه بین یدیه،فیسأله عن جاهه،کما یسأل عن ماله» (۲).

و لکن أعظم نعمه یسأل العبد عنها یوم القیامه هی نعمه الهدایه و التی تتجلی فی الرساله و فی الرسول و فیمن استخلفه الرسول من أئمه الهدی،أو لیست نعمه الرساله هی التی منّ اللّه بها علی عباده إذ قال:« لَقَدْ مَنَّ اللّهُ عَلَی الْمُؤْمِنِینَ إِذْ بَعَثَ فِیهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ ».

و قال:« یَمُنُّونَ عَلَیْکَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لاٰ تَمُنُّوا عَلَیَّ إِسْلاٰمَکُمْ بَلِ اللّٰهُ یَمُنُّ عَلَیْکُمْ أَنْ هَدٰاکُمْ لِلْإِیمٰانِ ».

و هکذا کانت ولایه أئمه الهدی أعظم مصداق للنعیم المسؤول عنها یوم القیامه، و بذلک استفاضت النصوص-مثل الحدیث المأثور عن الامام الرضا علیه السلام- قال له بعض الفقهاء:یقول اللّه عز و جل: ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ یَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِیمِ أما هذه النعیم فی الدنیا و هو الماء البارد.

فقال له الرضا(علیه السلام) و علا صوته:«کذا فسرتموه أنتم،و جعلتموه علی ضروب،فقالت طائفه:هو الماء البارد،و قال غیرهم:هو الطعام الطیب، و قال آخرون:هو طیب النوم»ثم نقل الامام الرضا علیه السلام حدیثا عن آبائه، جاء فیه:«ان اللّه عز و جل لا یسأل عباده عما تفضل علیهم به»ثم قال:«و لکن

۱- ۱) القرطبی/ج ۲۰ ص ۱۷۷.

۲- ۲) نور الثقلین/ج ۵ ص ۶۶۴ و هناک نصوص اخری فی هذا الحقل

النعیم حبّنا أهل البیت،و موالاتنا یسأل اللّه عنه بعد التوحید و النبوه،لان العبد إذا و فی بذلک أدّاه إلی نعیم الجنه الذی لا یزول»ثم نقل الامام الرضا-علیه السلام-حدیثا عن آبائه عن رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله-صریحا فی هذا التفسیر.

سوره العصر

اشاره

ص:۳۲۹

بسم اللّه الرحمن الرحیم

فضل السوره

عن أبی عبد اللّه الصادق-علیه السلام-قال: «من قرأ و العصر فی نوافله بعثه اللّه یوم القیامه مشرقا وجهه،ضاحکا سنّه،قریرا عینه،حتی یدخل الجنّه».

تفسیر نور الثقلین/ج /۵ص ۶۶۶

ص:۳۳۱

الإطار العام

لکی یتبصر الإنسان واقع الزمن،و کیف یهدم عمره لحظه بلحظه،ثم لکی یعرف بماذا یقاوم خسرانه،جاءت سوره العصر عصاره لبصائر الذکر فی هذا الموضوع الاساسی،الذی لو وعاه الإنسان وعی حقیقه عمره،و حقائق العالم المحیط به.

قسما بالزمن،إنک لو لا الایمان فی خسران،و کل لحظه لا إیمان فیها و لا عمل صالح جزء ضائع من کیانک،و لکن الإنسان فی غفله عن هذا العدو الخطیر،بید أن المؤمنین یذکّر بعضهم بعضا و یوصی بعضهم بعضا.

ص:۳۳۲

[سوره العصر (۱۰۳): الآیات ۱ الی ۳]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ . وَ اَلْعَصْرِ (۱) إِنَّ اَلْإِنْسٰانَ لَفِی خُسْرٍ (۲) إِلاَّ اَلَّذِینَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا اَلصّٰالِحٰاتِ وَ تَوٰاصَوْا بِالْحَقِّ وَ تَوٰاصَوْا بِالصَّبْرِ (۳)

ص:۳۳۳

وَ الْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِی خُسْرٍ

بینات من الآیات:

(۱)یزعم الإنسان أنّه کلّما طال عمره کبر و زاد،بینما الحقیقه عکس ذلک تماما،فکلما مضی من عمره شطر اقترب منه أجله،و تناقص رأسمال حیاته، و نقص ما تبقّی منه،فزیاده المرء-إذا-فی دنیاه نقصان،و هو کبائع الثلج فی یوم قائض یفقد رأسماله کلّ لحظه.

هکذا یحلف القرآن بالعصر و یقول:

وَ الْعَصْرِ قال ابن عباس:انه قسم بالدهر،و یبدو لی:ان أقرب العصور هو عصر أنت فیه،و أشرفها عصر الرساله حین انبعث النبی به،و عصر العداله حین یقوم الحجه القائم به.

ص:۳۳۴

و قال بعضهم:إنما سمى الزمن بالعصر لأنه يعتصر الإنسان كما يعصر المرء غسيله،و أن القسم بالدهر إنما كان بلحاظ عصره للإنسان،و أنّى كان فإن الحلف به يتناسب و الموضوع التالى:اى خساره الإنسان لعمره،أو ليس الزمن هو سبب الخساره؟ (٢)لو عرف الإنسان كيف تتبدل خلايا جسده،و كيف يستهلك كل يوم آلاف الخلايا من مخه،دون ان يستعيض عنها شيئا،و كيف تتسارع ما حوله من أشياء فى سبيل الفناء،حتى البيت الذى يسكنه يستهلك بسرعه لا يتصورها.

لو عرف الإنسان أن عمره بالقياس إلى عمر الأرض التى يعيش اليوم عليها ثم ينام فى رحمها يكاد لا يكون شيئا مذكورا.إنه أقصر من نسيم يهب عليه فى يوم قائض،و أسرع من سحابه فى يوم عاصف،بل انه كالبرق الخاطف أو كخيال عابر.

لو عرف ان كل لحظه من عمره مسئوليه كبيره،فإما هى خطوه الى الجنه أو سقطه فى النار.

لو عرف ذلك كله لاصلح نفسه.و لما ضيّع نفسه.و لما ضيّع من عمره شيئا.

لأنه فى خساره لولا الايمان.

إِنَّ الْإِنْسانَ لَفِي خُسْرٍ يحيط به الخسر كما تحيط بالإنسان الدار.و أيه خساره أعظم من أن يفقد كل يوم جزء من عمره و جزء من رأسماله،و بالتالى جزء من ذاته.أ ليست ذاته ممتده على أيام حياته،فاذا مضى يوم فقد انقضى بعض ذاته.

يقول الامام على عليه السلام:

«من كانت مطيته الليل و النهار يسار به و إن كان واقفا» (۱).

و لذلك يقول الشاعر:

و لن يلبث العصران يوم و ليله إذا طلبا ان يدركا ما تيمّها

(۳)حينما يعى المؤمن هـذه الحقيقه يبادر بالعمل الصالح حتى يستوعب كل لحظه و كل لمحه و كل سعره حياتيه من حياته بما يحول الخسـار فلاحا و أملا،فان أتعبه الكفاح من أجل العيش استراح الى الصلاه ليتزود منها الحيويه،و إذا ارهق عضلاته الجهد البدنى اشغل لسانه بالشكر،و قلبه بالفكر،و نفسه بالحب و الشوق الى لقاء ربه،و قد ترى أعضاءه غارقه فى جهد بدنى يفلح الأرض،أو يسعى على مناكبها طلبا للرزق،أو يسخر ما فيها لتوفير العيش و فى ذات الوقت تجد قلبه فى ذكر اللّه،و التدبر فى آياته،و لسانه يلهج بحبّ اللّه.

انه متعدد الابعاد،واسع النشاط،عريض الطموح،سامى الهمّه؛لأنه قد وعى حقيقه الزمن،و تزود بسلاح تحدّيه عبر العمل الصالح.

إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ و لكن تيار الزمن،و شهوات النفس،و عادات المجتمع يضغط عليهم باتجاه الغفله و الكسل،فكيف يعالج المؤمنون هذه الظاهره؟انما بتكوين بيئه رشيده تحيط بهم؟ و لا تدعهم يخلدون الى الراحه و الكسل.أو تدرى كيف؟بتطبيق التواصى.

وَ تَواصَوْا بِالْحَقِّ وَ تَواصَوْا بِالصَّبْرِ ان الكبير يوصى الصغير،و الصغير بدوره يوصى الكبير،و العالم يوصى الجاهل،

۱- ۱) نهج البلاغه/ك ۳۱ ص ۴۰۰.

و الجاهل أيضا يوصى العالم..و هذا المبدء يتسع لفريضه الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر،كما يتسع لواجب الدعوه الى اللّه،و تبليغ رسالاته،و إرشاد الجاهل..و يتسع للمزيد.

ذلک أن التواصى:ومضه روح،و اشراقه أمل،و عتاب لطيف.إنه يصنع جوّا إيمانيا يساعدک على ممارسه واجباتک.انه يوجه حسّ التوافق الاجتماعى فى الاتجاه الصحيح.

و التواصى يكون بالحق و بالصبر،فما هما؟ ان معرفه الحق بحاجه الى مساعده الصالحين فهم يرشدونک اليه،و يرفعون الغموض الذى يسببه دعايات الضالين.و إذا تناقضت المذاهب،و اختلفت الآراء، و تشابهت عليک الأفكار هناک لا بد من إرشاد العلماء الصالحين و المؤمنين الواعين و تواصيهم بالحق.

فاذا عرفت الحق،كان الوقوف الى جانبه و الدفاع عنه و الاستقامه عليه بحاجه الى صبر عظيم،يتواصى به المؤمنون حتى لا ينهار بعضهم أمام شدائد الزمن.

ص:٣٣٧

سوره الهمزه

اشاره

ص:۳۳۹

بسم اللّه الرحمن الرحیم

فضل السوره

عن أبی عبـد اللّه-علیه السـلام-قال: «من قرأ ویل لکل همزه فی فریضه من فرائض اللّه بعـد عنه الفقر،و جلب علیه الرزق،و یدفع عنه میته السوء».

تفسیر نور الثقلین/ج ۵ ص ۶۶۷

ص:۳۴۱

الإطار العام

فی تسع آیات مبارکات تبین سوره الهمزه حاله المتکبر الخاسر التی تخالف المؤمن المتواصی بالحق و الصبر،حیث تتجلی صفه الخساره،فمن یزعم أنه قد ربح الدنیا یجمع مالها و تعدادها.و الاستکبار علی الناس بهمزهم و لمزهم،و أیّه خساره أعظم من نبذه فی النار تحطم عظامه،أو لیست تتقد و تتطلع علی الافئده؟إنها حقّا سجن مغلق فی صوره أعمده ممدده.

ص:۳۴۲

[سوره الهمزه (۱۰۴): الآیات ۱ الی ۹]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ . وَیْلٌ لِکُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (۱) اَلَّذِی جَمَعَ مٰالاً وَ عَدَّدَهُ (۲) یَحْسَبُ أَنَّ مٰالَهُ أَخْلَدَهُ (۳) کَلاّٰ لَیُنْبَذَنَّ فِی
اَلْحُطَمَةِ (۴) وَ مٰا أَدْرٰاکَ مَا اَلْحُطَمَةُ (۵) نٰارُ اَللّٰهِ اَلْمُوقَدَةُ (۶) اَلَّتِی تَطَّلِعُ عَلَی اَلْأَفْئِدَةِ (۷) إِنَّهٰا عَلَیْهِمْ مُؤْصَدَةٌ (۸) فِی عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ
(۹)

ص:۳۴۳

وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ

بينات من الآيات:

(۱)كما صفات الخير تتداعى صفات السوء فى أصحابها،لانّها تنبعث من جذر واحد،و هكذا ترى القرآن الكريم يذكرها معا،لكى نعرف الناس و نقيّمهم على مجمل سلوكهم و ليس ببعض ما تبدر منهم من صفات شارده و شاذه.

إنّه الويل و اللعنه لكلّ أولئك الذين يهمزون الناس فى وجوههم علوّا فى الأرض و استكبارا،و يلمزونهم-إذا غابوا عنهم-إفسادا فى الأرض و فتنه،لا فرق بين من يتجاهر منهم بالكفر أو يدّعى الايمان،فليست هذه صفات المؤمنين،و ليست بين اللّه و بين أحد من خلقه صله قرابه أو رحم يمنعه عن عقابه بمثل هذه الأفعال الاجراميه.

وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ قالوا:معنى الويل الخزى و العار،و قالوا:إنه واد فى جهنم،و لا تناقض بينهما.

و قالوا:أصل الهمز الدفع أو الكسر،يقال:همزت الجوز بكفّى أى كسرته،

و قیل لاعرابی:أ تهمزون(الفاره)ای هل تجعلون فوق ألف لفظه الفاره همزه و تقرأونها فأره.فقال:إنما تهمزها الهرّه،ای الهره تکسر الفأره و تأکلها،و من هنا انشدوا لشاعر قوله:

و من همزنا رأسه تهشّما و انه هنا یعنی أن یطعن المرء فی وجهه،و انشدوا لحسان قوله:

همزتک فاختضعت بذلّ نفس بقافیه تأجّج کالشواظ

و قال بعضهم:ان الهمز هو الاغتیاب بالقول،بینما اللّمز:هو الاغتیاب بالاشاره، و انهما معا بالتالی نوع من الحدیث عن غائب،و انشدوا لشاعر قوله:

تدلّی بودّی إذا لاقیتنی کذبا و إن أغیّب فأنت الهامز اللمزه

اما اللمز فقال بعضهم:إنه الاغتیاب،أو ذکر معایب الناس،و المشیء بالنمیمه.

و یبدو أن الهمز أشد من اللمز،فاذا کان الهمز بالوجه فاللمز بالغیبه،و ان کان الهمز بالنطق فاللمز بالاشاره،و إذا کان الهمز یهدف العلو فی الأرض،فان اللمز یبقی الفساد فیها.الاول سمه التکبر و التجبر،و الثانی علامه المکر و الاحتیال،و قطع الأرحام،و اثاره الفتن.

و

جاء فی الحدیث المأثور عن النبی-صلّی اللّه علیه و آله-: «شرار عباد اللّه:

المشّاؤون بالنّمیمه،المفسدون بین الأحبه،الباغون للبراء العیب» (۱).

(۲)هؤلاء الهمازون اللمازون یحسون بنقص فی أنفسهم،حیث

جاء فی

۱- ۱) القرطبی ج ۲۰ ص ۱۸۱.

الحدیث المأثور عن النبی-صلّی اللّه علیه و آله-: «أذلّ الناس من أهان الناس» (1).

و هذا الاحساس یجعلهم یستکبرون علی الناس،و یبحثون عما یجبر نقص أنفسهم بجمع المال و تعداده،و الافتخار به،و التعالی علی الناس بسببه.

اَلَّذِی جَمَعَ مٰالاً وَ عَدَّدَهُ یبدو ان معنی«عدّده»أحصاه و عدّده المره بعد الاخری مباهاه به،و اعتمادا علیه،و لکی یری هل بلغ مستوی طموحه أم لا؟أ رایت الأطفال کیف یحسبون دراهمهم باستمرار فرحا و فخرا.

(3)ما الذی یبعثه نحو جمع المال وعده؟هل مجرد المباهاه به.و الاستکبار عبره علی الآخرین؟لا بل و أیضا رغبه جامحه فی الخلود،تلک الرغبه التی کانت وراء أکل أبینا آدم-علیه السلام-من الشجره المحرمه،تلک الرغبه التی تدفع الملوک لبسط سلطانهم و البطش بمن یخالفهم،و تلک الرغبه التی تبعثنا نحو أکثر أفعالنا و أعمالنا.

و لکن هل المال یخلد الإنسان فی الدنیا؟هیهات.

یَحْسَبُ أَنَّ مٰالَهُ أَخْلَدَهُ فأین قارون بکنوزه التی أرهقت مفاتحه الأشداء من الرجال؟!و این فرعون الذی استبد بملک مصر،و افتخر بالانهر التی تجری من تحته؟!و این القیاصره و الاکاسره؟!این من ملک ملیارات الدولارات؟!کلهم أحبوا البقاء و ولهوا

1- 1) تفسیر نمونه نقلا عن موسوعه البحار ج 7 ص 142.

بالخلود،و لكنهم لم يحملوا معهم الى قبورهم سوى الكفن،و ذهبوا الى غير رجعه.

(۴)تنعم الآخرون بجهدهم،بينما هم يعودون إلى ربهم محاسبون على كل درهم درهم من أموالهم،من اين اكتسبوه و فيم صرفوه.

كَلاّ لا يخلّد المال أحدا،بل قد يعجل فى وفاته،و إننا نسمع كلّ يوم عن بعض المعمرين الذين تجاوزا المائه عام فلا نجد فيهم الا عاده البسطاء من الناس،و لو كانت الثروه سببا للخلود لكانت أعمار الناس تقاس بقدر أموالهم بينما قد نجد العكس.

ثم إن جمع المال بكميّه كبيره لا يكون الا بالحرام مما يجعل صاحبه أكبر خاسر، يجمع المال بكدح بالغ ثم يكون وبالا عليه،

جاء فى الحديث المأثور عن الامام على بن موسى الرضا-عليه السلام-: «لا يجتمع المال الا بخمس خصال:بخل شديد.و أمل طويل،و حرص غالب،و قطيعه رحم،و إيثار الدنيا على الاخره» (۱).

لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَهِ لقد أهانوا الناس بهمزهم،و سخروا منهم بلمزهم،فاليوم يلقون نبذا فى نار جهنم التى تحطمهم.

(۵)و هل تدرى ما هى الحطمه؟اننا نعرف أن التحطيم من شأن ارتطام شيء خشن بمثله،بينما النار سياله فكيف تحطم؟

۱- ۱) نور الثقلين ج ۵ ص ۶۶۸.

وَ مٰا أَدْرٰاکَ مَا الْحُطَمَهُ ان علم البشر بحقائق الاخره محدود جدّا،و علیه ان یتزود بمقاییس جدیده لیعرف ابعاد الحقائق فیها.

(۶)مثلا النار ذات طبیعه سیاله فی الدنیا لأنها هنا مخففّه سبعین مره عنها هناک،أما نار اللّه التی أوقدها جبّار السموات و الأرض تجلیا لغضبه فانها -حسبما یبدو-تتفجر و تفجّر مما تجعل کل شیء فیها عظیما.

نٰارُ اللّٰهِ الْمُوقَدَهُ و کفی بک أن تعرف أنها نار اللّه بعظمته و جلاله،و شدید سطواته،و عریض کبریائه،و نسبتها الی اللّه بسبب أن ربها هو الذی أوقدها،و لعل إیقاد النار غیر إشعالها،بل الهابها و تشدیدها،قالوا:ان اللّه عز اسمه قد أوقد علیها ألف عام، و ألف عام،و ألف عام حتی اسودت،انتظارا لأعداء اللّه.أعاذنا اللّه منها.

(۷)و لشده النار تراها تطّلع علی الافئده أن تحرق الجلود و اللحم و العظام، قالوا:فاذا بلغت الفؤاد عاد إلیهم جلودهم و اللحم و العظام،فیعذبون من جدید.

اَلَّتِی تَطَّلِعُ عَلَی الْأَفْئِدَهِ قال بعضهم:ان نار جهنم تتجه رأسا الی لب الإنسان فتحرقه،و قال بعضهم:

بل انها شاعره،تعرف ماذا فی قلوب المجرمین فتعذبهم بقدر ما فیها من کفر و نکد.

(۸)و بعد ان ینبذوا فی نار جهنم تطبق علیهم،و توصد أبوابها،فلا روح،و لا نسیم،و لا شکوی،و لا کلام.انما هی شهیق،و زفیر،و آهات،و أنّات،و عذاب شدید.

إِنَّهٰا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ ای مطبقه علیهم مغلقه أبوابها.

(۹)

جاء فی الحدیث المأثور عن رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله-: ثم إن اللّه یبعث إلیهم ملائکه بأطباق من نار،و مسامیر من نار،و عمد من نار،فتطبق علیهم بتلک الاطباق،و تشدّ علیهم بتلک المسامیر،و تمد بتلک العمد،فلا یبقی فیها خلل یدخل فیه روح،و لا یخرج منه غم،و ینساهم الرحمن علی عرشه، و یتشاغل أهل الجنه بنعیمهم،و لا یستغیثون بعدها أبدا،و ینقطع الکلام،فیکون کلامهم زفیرا و شهیقا،فذلک قوله تعالی: إِنَّهٰا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ (۱).

فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ اختلفوا فی هذه العمد الممده ماذا تکون؟ هل هی أغلال فی أعناقهم،أم قیود فی أرجلهم،أم هی الأوتاد التی تشد الاطباق بها أم ماذا؟و قال بعضهم:انها کنایه عن الدهر.فهی فی دهور متطاوله و قال ابو عبیده:العمود کل مستطیل من خشب أو حدید،و هو أصل للبناء مثل العماد.

و یحتمل ان تکون فی النار أسطوانات یدخل أهلها فیها،فهم فی هذه العمد أی وسطها و اللّه العالم.

و انی کان فان نهایه فظیعه تنتظر کل مستکبر فی الأرض،هماز لماز،و لکی لا یغرنا الشیطان بما نملک من أموال و بنین نقرأ معا حدیثا مفصلا عن الامام الباقر -علیه السلام-یحذرنا بما فی النار من عذاب رهیب،و نکتفی بذکر بعض مقاطع

۱- ۱) القرطبی ج ۲۰ ص ۱۸۶.

الحديث اختصارا.

و يغضب الحی القیوم فیقول:یا مالک!قل لهم:ذوقوا فلن نزیدکم الا عذابا،یا ملک!سعرّ سعرّ فقد اشتد غضبی علی من شتمنی علی عرشی،و استخف بحقّی،و انا الملک الجبّار،فینادی مالک:یا أهل الضلال و الاستکبار و النعمه فی دار الدنیا! کیف تجدون مس سقر؟!فیقولون:قد أنضجت قلوبنا،و أکلت لحومنا،و حطّمت عظامنا،فلیس لنا مستغیث،و لا لنا معین،فیقول مالک:و عزه ربی لا أزیدکم الاّ عذابا،فیقولون:إن عذبنا ربنا لم یظلمنا شیئا،فیقول مالک:

« فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقاً لِأَصْحابِ السَّعِیرِ »یعنی بعدا لأصحاب السعیر،ثم یغضب الجبار فیقول:یا مالک!سعرّ سعرّ،فیغضب مالک،فیبعث علیهم سحابه سوداء یظل أهل النار کلّهم،ثم ینادیهم-فیسمعها أولهم و آخرهم،و أفضلهم و أدناهم-فیقول:ماذا تریدون ان أمطرکم؟فیقولون:الماء البارد،وا عطشاه! و أطول هواناه!فیمطرهم حجاره و کلالیبا و خطاطیفا،و غسلینا،و دیدانا من نار، فینضج وجوههم و جباههم،و یغض أبصارهم،و یحطم عظامهم،فعند ذلک ینادون:وا ثبوراه!فاذا بقیت العظام عواری من اللحوم اشتد غضب اللّه، فیقول:یا مالک!اسجرها علیهم کالحطب فی النار،ثم یضرب أمواجها أرواحهم سبعین خریفا فی النار،ثم یطبق علیهم أبوابها من الباب الی الباب مسیره خمسمائه عام،و غلظ الباب مسیره خمسمائه عام،ثم یجعل کل رجل منهم فی ثلاث توابیت من حدید من نار بعضها فی بعض،فلا یسمع لهم کلام أبدا إلاّ ان لهم شهیق کشهیق البغال،و زفیر مثل نهیق الحمیر،و عواء کعواء الکلاب،صم بکم عمی فلیس لهم فیها کلام إلا أنین،فیطبق علیهم أبوابها،و یسد(یمدّد خ ل)علیهم عمدها،فلا یدخل علیهم روح أبدا،و لا یخرج منهم الغم أبدا،فهی« عَلَیْهِمْ مُؤْصَدَهٌ »یعنی مطبقه،لیس لهم من الملائکه شافعون،و لا من أهل الجنه صدیق حمیم،و ینساهم الرب،و یمحو ذکرهم من قلوب العباد،فلا یذکرون أبدا (۱).

ص:۳۵۰

۱- ۱) موسوعه بحار الأنوار ج ۸ ص ۳۲۳.

سوره الفیل

اشاره

ص:۳۵۱

بسم اللّه الرّحمن الرّحیم

فضل السوره

عن أبی عبد اللّه-علیه السـلام-قال: «من قرأ فی فرائضه أ لم تر کیف فعل ربک شـهد له یوم القیامه کل سـهل و جبل و مدر بأنّه کان من المصـلّین، و ینادی له یوم القیامه مناد:صدقتم علی عبدی،شهادتکم له و علیه،أدخلوه الجنّه و لا تحاسبوه،فإنه ممن أحبّه اللّه و أحبّ عمله» نور الثقلین/ج ۵ ص ۶۶۸ و

فی بحار الأنوار،بخط الشهید رحمه اللّه: ان الصادق-علیه السلام-یقرأ فی وجه العدو سوره الفیل.

موسوعه بحار الأنوار۹۲/ ص ۳۳۸

ص:۳۵۳

الإطار العام

تموجت الجزيره العربيه بالصراعات الدمويه و بقيت مكه بلدا آمنا كمثل جزيره ساكنه فى بحر هائج،حتى أنّ ملك اليمن(أبرهه)عند ما سعى إلى غزوها ردّ على أعقابه بفعل طير غريب رمت جيشه بحجاره من سجيل.

أليس فى ذلك دليلا على حرمه البيت،و آيه لاكرام اللّه لأهله،و نعمه عظيمه ينبغى أن يشكروا اللّه عليها بالايمان به و برسالاته؟.

ص:۳۵۴

[سوره الفيل (۱۰۵): الآيات ۱ الی ۵]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحٰابِ اَلْفِيلِ (۱) أَ لَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (۲) وَ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبٰابِيلَ (۳) تَرْمِيهِمْ بِحِجٰارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (۴) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (۵)

ص:۳۵۵

أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّکَ

اشاره

بِأَصْحابِ الْفِيلِ

بينات من الآيات:

(۱)كثيره عبر التاريخ التى لاـ تزال آياتهـا مرسومه على صـفحات الزمن و فى ذاكره الأجيال،و لكن قليل هم الـذين ينسـلون من ضوضاء حاضرهم الى كهف التاريخ ليدرسوه بإمعان،و يعتبروا بحوادثه،و كانت قصه الفيل الذى أناخ بالمغمس من أطراف مكه ففزعت منه قريش،و لاـذت بالجبـال فرارا،كـانت لاـ تزال عـالقه فى أذهـان أهـل مكه،حتى قيـل:ان بعض من رافقوا حمله أبرهه المشؤوم كـانوا لاـ يزالون أحيـاء،بيـد أن قريشـا التى أمنها اللّه من تلك الـداهيه كفرت بأنعم اللّه،و جحـدت آياته،و جاء الوحى يذكرهم قائلا:

أَ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّکَ بِأَصْحابِ الْفِيلِ قـد تكون الحادثه التاريخيه شديده الوضوح الى درجه تكاد ترى،و لا تحتاج منا الى ان نتوجه إليها بأعين بصيره،و هكذا يبدو أن الرؤيه هنا جاءت بمعنى العلم

ص:۳۵۶

بها،و النظر الى آثارها،و سماع أنبائها مما يجعلك كأنك قد رأيتها.

و قد تجلت عظمه اللّه فى ردع أكبر حمله قادها الأعداء ضد مكه،و بفعل خارج عن ظاهر السنن الجاريه،حيث دمرهم بطير أبابيل.

(٢)لقد عبؤوا طاقاتهم،و جندوا اثنى عشر ألفا بأفضل عتادهم-حسب التواريخ-و كان الفيل الذى استقدموه لاثاره الهيبه سلاحا جديدا فى محيط الجزيره العربيه.زعمت العرب الا قبل لهم به،و لكن اللّه أضل كيدهم،و أفشل خطتهم، فلم يحققوا به الغايه المطلوبه.

أَ لَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ قال بعضهم:تضليل كيدهم بمعنى فشلهم فى هدم الكعبه،و تصفيه آثار الحنفيه الإبراهيميه،و توجيه العرب الى بيت جديد كان أبرهه قد بناه فى اليمن.

و لكن السؤال:كيف أضل اللّه كيدهم؟هل بفعل طير الأبابيل فقط أم بأمر آخر؟يبدو ان الايه تشير الى حادثه أخرى لم يذكرها المفسرون،و لعلهم ابتلوا بأمراض فتاكه كالجدرى،أو وقعت بينهم الفتنه،أو ضلوا السبل أو ما أشبه،أو أصيب فيلهم بعاهه بسبب اختلاف المناخ،و قد أشارت الروايات التاريخيه الى بعض هذه القضايا.

(٣)و لا ريب أن اخطر ما أصابهم و قضى على حملتهم،كانت الطير التى قدمت عليهم-حسب التاريخ-من ناحيه البحر لم تعرفها المنطقه،فرمتهم بحجاره قاتله.

وَ أَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبابِيلَ

ص:٣٥٧

لم تخطأهم الطير بل اتجهت مباشره إليهم،و كانت تتلاحق عليهم أسرابا فأسرابا،و هذا ما فسرت به كلمه أبابيل،قالوا:تعنى مجتمعه،و قيل:متتابعه، و قيل:متفرقه،تأتى من كلّ ناحيه،و أصل الكلمه من قولهم:فلان يؤبل على فلان أى يعظم عليه و يكثر،و اشتقاقها من الإبل.

(۴)بعد ان انتشرت فوقهم الطير كسحابه سوداء،أخذت تمطرهم بحجاره قاتله،قالوا:كان كل طير يحمل ثلاث أحجار:واحده فى منقاره و اثنتان بين أرجلها،و كانت الحجاره إذا أصابت جانبا من أبدانهم فرقته و خرجت من الطرف الاخر،فاذا أصابت بيضه الرأس اخترقت الدماغ و خرجت من الدبر،و قال بعضهم:إذا أصاب الحجر أحدهم خرج من الجدرى لم ير قبل ذلك،و قال ابن عباس:كان الحجر إذا وقع على أحدهم نفط جلده،فكان ذلك أوّل الجدرى.

تَرْمِيهِمْ بِحِجٰارَهٍ مِنْ سِجِّيلٍ قالوا:حجاره من طين،طبخت بنار جهنم،و قال بعضهم:السجيل:أصله السجين،و أبدلت النون لاما،و لا يبعد ذلك إذا كانت الكلمه معرّبه للتساهل فيما عربت من الكلمات،و قال بعضهم:بل السجيل من السجل حيث كتب عليهم ذلك،و الاول أقرب.

و لعل الحجاره كانت مسمومه أو تحمل جراثيم أمراض فتاكه كالجدرى، حسبما نقرء فى التفاسير كما

جاء فى حديث مأثور عن الامام الباقر -عليه السلام- عن قوم كانوا يقطعون السبيل،و يأتون المنكر:«...مع كل طير ثلاثه أحجار:حجران فى مخالبه،و حجر فى منقاره،فجعلت ترميهم بها حتى جدرت أجسادهم،فقتلهم اللّه عزّ و جلّ بها،و ما كانوا قبل ذلك رأوا شيئا من

ذلک الطیر و لا من الجدر» (۱).

(۵)یبدو ان مرض الجدری قضی علی خلایا جسدهم،حتی غدوا کالقشور البالیه.

فَجَعَلَهُمْ کَعَصْفٍ مَأْکُولٍ قالوا:جعلهم اللّه کورق الزرع إذا أکلته الدواب فرمت به من أسفل،ذلک أن العصف عندهم:ورق الزرع،کجلب القمح و الشعیر،و قال بعضهم:العصف المأکول:الورق الذی أکل لبه و رمی قشره.

قصه أصحاب الفیل:

اهتمت قریش بقصه أصحاب الفیل،حیث أنها کانت تتخذ من هذه الواقعه ذریعه لسیطرتها علی أهل الجزیره،و لذلک جعلوها بدایه لتاریخهم،و قد کانت ولاده النبی-صلّی اللّه علیه و آله-فی ذات السنه حسب أشهر الروایات،فأضفی علیها صبغه شرعیه،و قد ذکروا تفاصیل کثیره فیها اختلافا واسعا،و نذکرها:جاء فی مجمع البیان ما نصفه:

أجمعت الرواه علی أن ملک الیمن الذی قصد هدم الکعبه هو أبرهه بن الصباح الاشرم،و قیل:أن کنیته ابو یکسوم،ثم ان أبرهه بنی کعبه بالیمن،و جعل فیها قبابا من ذهب،فأمر أهل مملکته بالحجر إلیها یضاهی بذلک البیت الحرام،و أن رجلا من بنی کنانه خرج،حتی قدم الیمن،فنظر إلیها،ثم قعد فیها-یعنی لحاجه الإنسان-فدخلها أبرهه فوجد تلک العذره فیها،فقال:من اجترأ علی بهذا و نصرانیتی،لأهدمن ذلک البیت حتی لا یحجه حاج أبدا،و دعا بالفیل،و أذّن قومه

۱- ۱) نور الثقلین/ج ۵ ص ۶۷۲

بـالخروج و من اتبعه من أهـل اليمن،و كـان أكثر من اتبعه منهم عـكّ و الأشـعرون و خثعم،ثم خرج يسـير حتى إذا كـان ببعض طريقه بعث رجلا من بنى سـليم ليـدعو الناس الى حج الذى بناه،فتلقاه أيضا رجل من الحمس من بنى كنانه فقتله، فازداد بذلك حنقـا،و حث السير و الانطلاق،و طلب من أهل الطائف دليلا، فبعثوا معه رجلا من هـذيل يقال له:نفيل:فخرج بهم يهـديهم،حتى إذا كـانوا بـالمغمس نزلوه و هو من مكه على سـته أميـال،فبعثوا مقـدماتهم الى مكه،فخرجت قريش عباديـد فى رؤوس الجبال،و قالوا:لا طاقه لنا بقتال هؤلاء،و لم يبق بمكه غير عبـد المطلب بن هاشم أقام على سـقايته،و غير شـيبه بن عثمان بن عبـد الدار أقام على حجابه البيت،فجعل عبد المطلب يأخذ بعضادتى الباب ثم يقول:

لاهمّ ان المرء يمنع رحله فامنع حلالك لا يغلبو بصليبهم و محالهم عدوا محالك (۱)

لاـ يـدخلوا البلـد الحرام إذا فأمر ما بـدا لك ثم ان مقـدمات أبرهه أصابت نعما لقريش فأصابت فيها مائتى بعير لعبـد المطلب بن هاشم،فلما بلغه ذلك خرج حتى أتى القوم-و كان حاجب أبرهه رجلا من الاشـعرين و كانت له بعبد المطلب معرفه-فاسـتأذن له على الملك،و قال له:إيها الملك!جاءك سـيد قريش الـذى يطعم إنسـها فى الحى و وحشـها فى الجبل، فقال له:ائـذن له-و كان عبـد المطلـب رجلاـ جسـيما جميلاـ-فلمـا رآه أبـو يكسـوم أعظمـه ان يجلسـه تحتـه،و كره ان يجلسـه معه على سـريره،فنزل من سريره،فجلس على الأـرض،و أجلس عبـد المطلب معه،ثم قال:ما حاجتك،قال:حاجتى مائتا بعير لى أصابتها مقـدمتك، فقال أبو يكسوم:و اللّه لقد رأيتك فاعجبتنى،ثم تكلمت فزهدت فيك،فقال:و لم أيها الملك؟قال:لانى جئت الى بيت عزكم و منعتكم

۱- ۱) الحلال:القوم الحالون فى المكان و المحال:التدبير و القوه.

من العرب و فضلكم فى الناس،و شرفكم عليهم،و دينكم الذى تعبدون فجئت لأكسره و أصيبت لك مائتا بعير فسألتك عن حاجتك فكلمّتنى فى إبلك و لم تطلب الىّ فى بيتكم!فقال له عبد المطلب:ايها الملك!أنا أكلمك فى مالى و لهذا البيت ربّ هو يمنعه،لست انا منه فى شىء،فراع ذلك أبا يكسوم،و أمر برد إبل عبد المطلب عليه،ثم رجع و امست ليلتهم تلك الليله كالحه نجومها،كأنها تكلمهم كلاما لاقترابها منهم،فأحست نفوسهم بالعذاب،و خرج دليلهم حتى دخل الحرم و تركهم،و قام الأشعرون و خثعم فكسروا رماحهم و سيوفهم،و برؤا الى اللّه ان يعينوا على هدم البيت،فباتوا كذلك بأخبث ليله،ثم أدلجوا بسحر،فبعثوا فيلهم يريدون أن يصبحوا بمكه،فوجّهوه الى مكه،فربض،فضربوه،فتمرغ،فلم يزالوا كذلك حتى كادوا أن يصبحوا،ثم إنهم أقبلوا على الفيل،فقالوا:لك اللّه أن لا نوجهك الى مكه،فانبعث فوجهوه الى اليمن راجعا،فتوجه يهرول،فعطفوه حين رأوه منطلقا،حتى إذا ردوه الى مكانه الاول ربض،فلما رأوا ذلك عادوا الى القسم،فلم يزالوا كذلك يعالجونه حتى إذا كان مع طلوع الشمس طلعت عليهم الطير معها الحجاره،فجعلت ترميهم و كل طائر فى منقاره حجر،و فى رجليه حجران،و إذا رمت بذلك مضت و طلعت أخرى،فلا يقع حجر من حجارتهم تلك على بطن إلاّ خرقه،و لا عظم إلاّ أوهاه و ثقبه،و ثاب أبو يكسوم راجعا قد أصابته بعض الحجاره،فجعل كلما قدم أرضا انقطع له فيها أرب،حتى إذا انتهى الى اليمن لم يبق شىء إلاّ باده،فلما قدمها تصدع صدره و انشق بطنه فهلك،و لم يصب من الاشعرين و خثعم أحد،و كان عبد المطلب يرتجز و يدعو على الحبشه يقول:

يا رب لا أرجو لهم سواكا يا رب فامنع منهم حماكا

ان عدو البيت من عاداكا انهم لم يقهروا قواكا (۱)

ص:۳۶۱

۱- ۱) مجمع البيان/ج ۱۰ ص ۵۴۰

سوره قریش

اشاره

ص:۳۶۳

بسم اللّه الرحمن الرحيم

فضل السوره:

عن أبی بصیر،عن أبی عبد اللّه علیه السلام قال: «من أكثر من قراءه لإیلاف قریش بعثه اللّه یوم القیامه علی مركب من مراكب الجنّه،حتی یقعد علی موائد النور یوم القیامه» موسوعه بحار الأنوار/ج ۹۲ ص ۳۳۷

ص:۳۶۵

الإطار العام

انها حقا إرهاصات رساله،و بشائر حضاره،حيث كانت فی قريش بقيه من آثار الحنفيه الإبراهيميه.ألم يحتفوا ببيت اللّه الحرام الذی آمنه اللّه من الدواهی،ألم يقدر اللّه ان يبعث فيهم رسول اللّه فيكونوا حمله رسالاته الی الافاق،ألم يجعل أئمه المسلمين من صفوه قريش بنی هاشم،و صفوه الصفوه أولاد محمد و علی عليهما السلام.

بلی.لقد آلفهم اللّه حول بيته،و آلفهم لرحله الشتاء و الصيف،و هيأ لهم مدينه راقيه بين مثيلاتها فی الجزيره،إذا ليعبدوا رب هذا البيت،و يتعالوا عن خرافات الجاهليه التی لا تتناسب و مستوی حضارتهم،أو ليس رب هذا البيت قد أطعمهم من جوع،و آمنهم من خوف؟فلما ذا البقاء مع أساطير التخلف و الخوف؟ و تأتی السوره متممه لبصائر سوره الفيل السابقه حتی قيل:انهما معا سوره واحده.

ص:۳۶۶

[سوره قریش (۱۰۶): الآیات ۱ الی ۴]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . لِإِيلاٰفِ قُرَيْشٍ (۱) إِيلاٰفِهِمْ رِحْلَةَ اَلشِّتٰاءِ وَ اَلصَّيْفِ (۲) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هٰذَا اَلْبَيْتِ (۳) اَلَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَ آمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (۴)

ص:۳۶۷

فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هٰذَا الْبَيْتِ

بينات من الآيات:

(١)هل هما سورتان أم سوره واحده تفصل بينهما البسـمله،أم البسـمله هى الاخرى محذوفه؟كما نقل عن مصحف أبىّ،فيه أقوال مختلفات،أقربها انهما -كما فى عامه المصاحف-سورتان متقاربتان المحتوى،و إن جاز-حسب بعض النصوص-الجمع بينهما فى الفريضه،

فقـد روى عن الامـام الصـادق -عليه السـلام-انه قال: «لا تجمع بين سورتين فى ركعه واحـده إلاّ الضـحى و ألم نشـرح،و أ لم تر كيف و لإيلاف قريش» (١).

ذلك ان ما فعله اللّه بأصـحاب الفيل كان مثلا واضـحا لكرامه البيت الحرام عنـد اللّه سـبحانه،و أنه قد اسـتجاب فيه لدعوه مجدد بنائه إبراهيم الخليل -عليه السـلام-فجعله بيتا آمنا،و رزق أهله من الثمرات،و كل ذلك وفّر شـروط المدنيه عنده،حيث بنت قبيله قريش حضارتها و إيلافها،و كانت تمهيدا لحضاره

١- ١) مجمع البيان/ج ١٠ ص ٥٤٤

الإسلام المجيده،فقال ربنا سبحانه تعليقا على قصه أصحاب الفيل:

لِإِيلاٰفِ قُرَيْشٍ قالوا معناه:فعلنا ذلك بأصحاب الفيل لكى يألفوا مكه،و تتوفر لهم شروط الرحله الى الشام و اليمن.

و قال البعض:بل الحديث فى هذه السوره مستقل مستأنف،و أن كان مكملا -محتوى و معنى-لما بيّنه القرآن فى السوره السابقه،و معناه:ان اللّه وفر الأمن لقريش حتى تتسنى لهم رحله الشتاء و الصيف.

و هكذا فسروا الإيلاف:بإيجاب الالف،و هو الاجتماع المقرون.بالالتئام، و نظيره الإيناس،و نقل عن الازهرى أنه يشبه الاجاره و الخفاره،يقال:ألف يؤلف:إذا أجار الخمائل بالخفاره (۱)حيث أن اللّه وفر لقريش فرصه التجاره،بما كانت لهم من علاقات حسنه مع سائر العرب،و بما كانت لهم من هيبه فى نفوس الناس باعتبارهم فى جوار بيت اللّه.

و أنّى كان أصل معنى الإيلاف فإن اللفظ يشير الى معنى المدنيه و الحضاره، لانّ كلمه المدنيه مشتقه من المدينه،و الإيلاف بدوره يوحى بالتواجد فى مكان واحد،اما الحضاره فهى مشتقه من حضور الناس عند بعضهم،بينما الإيلاف يدل على الحضور و التآلف،و معروف أن التآلف أهم من مجرد الحضور،و قد جعله اللّه سبحانه نعمه كبرى حين قال سبحانه: وَ أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مٰا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مٰا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَ لٰكِنَّ اللّٰهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ (۲).

ص:۳۶۹

۱- ۱) القرطبى/ج ۲۰ ص ۲۰۴

۲- ۲) الأنفال/۶۳

و قريش كانت القبيله العربيه التى ظهرت فيها بوادر المدنيه باستقرارها فى منطقه استراتيجيه،و أمنها،و اشتغالها بالتجاره التى هى أكثر من مجرد علاقات اقتصاديه،لأنها توفر أيضا فرصه التواصل الثقافى.

و لا ريب أن كل هذه الفرص لم تتوفر لقريش الا بفضل ما بقيت لديهم من آثار الوحى،و من تراث الحنفيه الإبراهيميه،و حسب النصوص الشرعيه:كان النبى-صلّى اللّه عليه و آله-من سلاله طاهره موحده،لم تدنسها الجاهليه بشركها و فسوقها.

و كلمه قريش:جاءت من القرش بمعنى المال،باعتبارهم كانوا تجارا، و التقريش بمعنى الاكتساب،و قيل:بل جذر الكلمه من الاجتماع،حيث يقال:

تقرّشوا:أى اجتمعوا،و انما سمّوا بذلك حينما جمع قصى بن كلاب سائر قريش فى الحرم و انشدوا بعضهم:

أبونا قصى كان يدعى تجمّعا به جمع اللّه القبائل من فهر

و يقال:ان الكلمه مأخوذه من سمك القرش،لأنه الأعظم بين احياء البحر، و قريش كانت الأعظم بين أحياء العرب.

و أنّى كان الاسم و مصدره فان القبائل التى كانت تنتمى الى النضر بن كنانه بن خزيمه كانت تسمّى بهذا الاسم.

و قد ذكر بعضهم قصه تعكس بدايه اهتمام هذه القبيله بأمر التجاره فى عهد عمرو بن عبد مناف (1)و هى تدل على أن ذلك كان بسبب مجاعه أصابتهم،كما ان تلك المجاعه دعتهم الى تنظيم علاقاتهم الاجتماعيه بصوره أفضل،حتى قال

١- ١) القرطبى/ج ٢٠ ص ٢٠٤-٢٠٥

شاعرهم فی صفه التواسی بینهم:

و الخالطون فقیرهم بغنیّهم حتی یصیر فقیرهم کالکافی.

(۲) إِيلافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتاءِ وَ الصَّيْفِ أی الفوا هذه الرحله بفعل اللّه و فضله،و کانوا یرحلون فی الشتاء الی الیمن لأنها بلاد دافئه،بینما یتجهون صیفا الی الشام لمناخها المعتدل.

و قال بعضهم:بل کانوا یشتون بمکه،و یصیفون بالطائف و انشدوا:

تشتی بمکه نعمه و مصیفها بالطائف

و سواء کانت التشتی و الاصطیاف بهذه الأرض أو تلک أو بهدف التجاره أو المتعه،فإن ذلک یعکس مستوی رفیعا من المدنیه و الغنی،أليس الإنسان کلما تحضر أکثر کلما بحث عن وسائل الراحه،حتی و لو اقتضی الأمر الارتحال من بلد لاخر؟ (۳)ما الذی جعلهم فی أمن و غنی،أ لیس جوارهم لبیت اللّه؟فلما ذا الشرک به و التمرد علی رسالاته؟! هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ إِلاَّ الْإِحْسانُ ؟!و أی انتکاسه کبیره فی فطره الإنسان تلک التی تجعل جزاء الإحسان کفرا و عصیانا؟! فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هٰذَا الْبَيْتِ فلأجل شکر نعمه إیلاف اللّه رحله الشتاء و الصیف لقریش علیهم أن یعبدوا رب هذا البیت،الذی کان محور إیلافهم و وحدتهم و حضارتهم،و کلما تفاعل المجتمع مع محور تقدمه و حضارته،و مع أسباب رفاهه و غناه کلما کان ذلک سببا

لدوام نعم اللّه علیه و زیادتها و تنامیها.

(۴)بسبب الإیلاف الذی کان بدوره نابعا من جوار البیت الحرام،وفر اللّه لقریش أهم نعمتین:الغنی و الأمن بالرغم من تواجدهم فی بلاد قاحله،لا زرع فیها و لا ضرع،بلاد قاسیه دعت أهلها المعدودین الی الصراع من أجل البقاء، فکانوا فی حروب لا تنتهی،شعارهم الخوف،و دثارهم السیف.فی هذه البیئه القاسیه الفقیره الخطیره وفّر اللّه لقریش الطعام و الأمن.ألا یدعوهم ذلک الی الشکر و الطاعه؟ اَلَّذِی أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَ آمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ان قریشا نسیت ان کل ذلک کان بفضل آثار الرساله الإبراهیمیه التی تجلت فی دعاء مجدد بناء الکعبه المشرفه،الذی جأر الی اللّه قائلا: قٰالَ إِبْرٰاهِیمُ رَبِّ اجْعَلْ هٰذَا الْبَلَدَ آمِناً وَ اجْنُبْنِی وَ بَنِیَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنٰامَ (۱).

لکنهم أخطئوا فی تفسیر هذه الظاهره الفریده فی محیط الجزیره العربیه الذی کانت القبیله فی دوامه من الحروب الدامیه،و الأزمات الاقتصادیه الخانقه،و کان خطأ قریش فی تفسیر ذلک حائلا إذ جعلهم یواجهون رساله الإسلام،مما أزال سیادتهم علی الجزیره،و سلب منهم شرف سدانتهم للحرم،و فتح اللّه مکه لنبیه الکریم محمد-صلّی اللّه علیه و آله-و جعلهم الطلقاء بعد ان کانوا ساده العرب! و یبدو أن هذه السوره الکریمه وفرت فرصه ذهبیه لقریش لکی تصحح نظرتها الی نفسها،حتی لا تفتخر بما تملک من متعه و غنی،و لا تتخذها وسیله للطغیان و العصیان،و نشر الفساد فی الأرض،و الاستکبار علی الناس.و لکن قریشا لم

۱- ۱) إبراهیم/۳۵

تنتفع بـذلك لاـ فى عهـد هبوط الايه و لا بعدئـذ،حيث أنها كادت لرسول اللّه، و حاربت رسالته،فلما نصـره اللّه عليهم دخلوا فى الإسـلام و قلوبهم مليئه بأحقاد الجاهليه،ثم انضووا تحت رايه الحزب الاموى الحاقد على الإسـلام،و انتقموا من آل الرسول،و قال شاعرهم يزيد بن معاويه بعد قتله للإمام الحسين عليه السلام:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء و لا وحى نزل

لست من خندف ان لم انتقم من بنى هاشم ما كان فعل

و هكذا أذلهم اللّه و جعلهم عبره لكل معتبر.

و اليوم إذا استمرت العرب تفتخر بثرواتهـا و بأمجادهـا بعيـده عن رسالاـت اللّه فـان مصـيرها لن يكون أفضل من عاقبه قريش و حزبه الاموى،أما إذا اعتزوا بالإسلام فان اللّه يرفع شأنهم،و يعيدهم الى شرفهم الأسمى،و مجدهم التليد.

سوره الماعون

اشاره

ص:۳۷۵

بسم الله الرحمن الرحيم

فضل السوره

فی کتاب ثواب الأعمال بإسناده عن أبی جعفر-علیه السلام-قال: «من قرأ سوره أ رأیت الذی یکذب بالدین فی فرائضه و نوافله قبل اللّه عزّ و جلّ صلاته و صیامه،و لم یحاسبه بما کان معه منه فی الحیاه الدنیا» نور الثقلین/ج ۵ ص ۶۷۷

ص:۳۷۷

الإطار العام

القرآن ميزان و من دونه لا يملك الإنسان بصيره بنفسه ليعرف من هو و كيف هو؟أليس حب الذات يجعله يزعم أبدا أنه على صواب؟بينما هنالك مقاييس إن طبّقت عليه كان صالحا،و إلّا لا يغنيه التمنى و التظنى و الادعاء شيئا.

و لا يكفى ان يدعى أحد انه مسلم،و انه يؤمن بالآخره،انما يجب ان يصدق عمله قوله.و سوره الماعون تذكرنا بهذه الحقيقه،و تبين صفات المكذب بالدين و إن ادّعى التصديق به و هى:طرد اليتيم،الرغبه عن المسكين،الاستهانه بالصلاه و الرياء فيها،و منع الخير عن أهله.

و هكذا تأتى السوره المباركه فرقانا يميز المؤمن حقّا بالدين و المكذب به.

ص:۳۷۸

[سوره الماعون (۱۰۷): الآیات ۱ الی ۷]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ . أَ رَأَیْتَ اَلَّذِی یُکَذِّبُ بِالدِّینِ (۱) فَذٰلِکَ اَلَّذِی یَدُعُّ اَلْیَتِیمَ (۲) وَ لاٰ یَحُضُّ عَلیٰ طَعٰامِ اَلْمِسْکِینِ (۳) فَوَیْلٌ لِلْمُصَلِّینَ (۴) اَلَّذِینَ هُمْ عَنْ صَلاٰتِهِمْ سٰاهُونَ (۵) اَلَّذِینَ هُمْ یُرٰاؤُنَ (۶) وَ یَمْنَعُونَ اَلْمٰاعُونَ (۷)

ص:۳۷۹

أَ رَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ

بينات من الآيات:

(١)تلك الصفات التى تسوقها سوره الماعون هل تؤخذ مفرده أم جميعا؟نقل عن بعضهم الثانى،فالمكذب بالدين هو الذى يجمع الصفات الثلاث،و هذا هو الظاهر؛لان صفات الشر تتداعى كما تتداعى صفات الخير،و هكذا تعرفنا السوره الكريمه بالذين يكذبون بالدين من هم،حتى نتقى تلك الصفات و ما يؤول إليها من التكذيب بالدين.

أَ رَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ هل رأيته بشخصه و عرفته بصفاته؟و الدين هو الجزاء،و قيل:بل الإسلام و القرآن،و لكن محور أىّ دين هو الايمان بالجزاء،الذى ينعكس على النفس بالإحساس بالمسؤوليه،و هو معنى الدين بمعناه الشامل.

(٢)الايمان بالدين يزكى نفس الإنسان،و يخرجها من شحّها و ضيقها

ص:٣٨٠

و جهلها،و يستثير فيها فطره الحب،و بواعث الخير،و حوافز المعروف،و يجليها بالعواطف الجيّاشه تجاه المستضعف و المحروم،بينما الذى يكذب بالدين تراه يدعّ اليتيم،ذلك الطفل البرىء الذى حرم حب والده(أو والدته)و حنانه و عواطفه.

فَذٰلِكَ الَّذِى يَدُعُّ الْيَتِيمَ قالوا:الدع:الطرد و الدفع بعنف و قوه،و هو يكشف عن قسوه القلب،و تبلّد العاطفه،و قد لا يطلب اليتيم منهم شيئا سوى الترحم حتى يستعيض به ما فقده من بركاته والده،و لكن القلب القاسى الذى يتمحور حول المصالح لا يجد باعثا لاستقبال اليتيم،لأنه لا يتوقع من ورائه مصلحه دنيويه عاجله.

و قد حض الإسلام على احترام اليتيم و ايوائه،حتى

روى عن رسول اللّه -صلّى اللّه عليه و آله-: «من ضمّ يتيما من المسلمين حتى يستغنى فقد وجبت له الجنّه» (١) (٣)من أسوء ما يبتلى به الذى يكذب بالدين مسخ الشخصيه،و انتكاسه الفطره،فتراه لا يتأثر بمنظر المسكين الذى يتضوّر جوعا،و لا يحض أحدا على توفير نصيبه من الطعام،إنه لم يعد إنسانا ينبض قلبه بحب نظرائه من البشر.

وَ لاٰ يَحُضُّ عَلىٰ طَعٰامِ الْمِسْكِينِ قالوا:الحض بمعنى الترغيب،و قال بعضهم:الطعام هنا بمعنى الإطعام،و قال بعضهم:بل الطعام بمعنى ما يستحقه اليتيم من الطعام،إشاره إلى أنه من حقهم و من مالهم،كما قال ربنا سبحانه: وَ الَّذِينَ فِى أَمْوٰالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسّٰائِلِ وَ الْمَحْرُومِ (٢).

١- ١) القرطبى/ج ٢٠ ص ٢١١

٢- ٢) المعارج٢٥/

و هكذا لا يعتبر إطعام المسكين سوى رد حقّه إليه،و على المجتمع أن يكون شاهدا على ذلك و رقيبا،كما يراقب وضع السلطه و الأمن و الاقتصاد،و كما يشهد على سائر الحقوق أن تردّ إلى أهلها،و من لم يقم بشهادته،و ترك المسكين يتضوّر جوعا فانه يستحق العقاب،لأنه ساهم فى إفساد المجتمع،و نشر الفقر فى أرجائه، كالذى يرى الطاعون ينتشر بين الناس فلم يمنعه و هو قادر على المنع،أو يترك الأسد ينهش طفلا فلا يردعه، أو يترك الصبىّ يتردى،و الأعمى يصطدم و لا يحرك ساكنا.

و من هنا يصبح الحض على طعام المسكين واجبا بحدّ ذاته و تركه حراما،و هو واجب يشترك فى مسئوليته القادر على إطعام المسكين و غير القادر عليه.

(۴)و طعام المسكين أبرز مصاديق الزكاه،و الزكاه عدل الصلاه،و عاده ما يذكران معا فى القرآن،بيد ان الصلاه ليست مظهرا خارجيّا من مظاهر الدين، بل هى قبل ذلك صله العبد بالرب،فالذى يفسد هذه الصله بالرياء،و يستخدم أقدس مقدساته فى أمور الدنيا فان له الويل و اللعنه.

فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الذين اتخذوها وسيله الدنيا،و هى معراج الاخره،و هكذا تساهلوا فيها.

(۵)فتراهم ينشطون الى الصلاه فى الملاء،و يسهون عنها فى الخلاء،و الصلاه حقّا هى التى تبتّلك عن الخلق الى الخالق،و عن الدنيا إلى الاخره،و عن الجسد الى الروح،و المؤمن ينبعث إليها فى الخلوات فى رحم الظلام عند سبات الطبيعه، حينما تحلو المؤانسه مع خير الذاكرين،و المناجاه مع رب العالمين،بينما المنافق يسهو عنها عندئذ و يخلوا الى الغفله و اللذه و وساوس إبليس.

ص:۳۸۲

اَلَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاٰتِهِمْ سٰاهُونَ و من أبعاد السهو عن الصلاه تأخيرها عن وقتها لغير عذر،هكذا

روى فى حديث مأثور عن الامام الصادق-عليه السلام- قال: «تأخير الصلاه عن أول وقتها لغير عذر» (۱)و

روى عن الامام أمير المؤمنين-عليه السلام- «ليس عمل أحب الى اللّه عزّ و جلّ من الصلاه،فلا يشغلنّكم عن أوقاتها شيء من أمور الدنيا،فان اللّه -عزّ و جلّ-ذم أقواما فقال: اَلَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاٰتِهِمْ سٰاهُونَ يعنى أنهم غافلون،استهانوا بأوقاتها» (۲) (۶)و الصلاه تمد المسلم بزاد الايمان الذى يحتاج إليه فى كل شؤون الحياه،و من اتخذها هزوا،أو عملها رياء فقد أفنى زاده و هلك.

اَلَّذِينَ هُمْ يُرٰاؤُنَ (۷)و الصلاه الحقيقيه تحرر الإنسان من شح ذاته،فتكون يده سخيّه،ينصر المظلوم،و يعين المحروم،بينما الذى يرائى فى صلاته يمنع أبسط الحقوق المفروضه عليه.

وَ يَمْنَعُونَ الْمٰاعُونَ قالوا الماعون:أصله المعنى و هو القليل،و معناه كل ما فيه منفعه،و قالوا:انه ما يتعاوره الناس بينهم من الدلو،و الفاس و القدر،و ما لا يمنع كالماء و الملح (۳).

۱- ۱) الميزان/ج ۲۰ ص ۳۶۸

۲- ۲) المصدر/ص ۳۶۹

۳- ۳) جاء فى مجمع البيان انه روى مرفوعا عن رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-المصدر/ج ۱۰ ص ۵۴۸

و

جاء فی الحدیث عن الامام الصادق-علیه السلام-أنه قال: «هو القرض نقرضه،و المعروف تصنعه،و متاع البیت تعیره و منه الزکاه»(قال الراوی) فقلت:ان لنا جیرانا إذا أعرناهم متاعا کسروه و أفسدوه،فعلینا جناح ان نمنعهم؟ فقال:«لا.لیس علیک جناح ان تمنعهم إذا کانوا کذلک» (۱)و بالرغم من أنهم ذکروا اثنتی عشر قولا،فإن الأقوال تعود جمیعا إلی أمر واحد هو المعروف کله،و لکن یبدو أنه المعروف الذی یعتبر الذی یمنعه خسیسا و منبوذا اجتماعیا،لأنه من النوع الذی یقارن فیه الناس عاده،مثل إعاره الظروف، و إعطاء النار و الملح و ما أشبه.

و السوره-عموما تدل علی أن مکارم الأخلاق میراث التصدیق بالدین،کما ان التکذیب بالدین یورث الرذائل التی یرفضها العقل و العرف،فتری الساهین عن الصلاه یمنعون عن الآخرین حتی الماعون الذی یتبادله الناس بینهم.

ص:۳۸۴

۱- ۱) المصدر

سوره الکوثر

اشاره

ص:۳۸۵

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

فضل السوره

فی کتاب ثواب الأعمال بإسناده عن أبی عبد اللّه-علیه السلام-قال:

«من قرأ إنا أعطیناک الکوثر فی فرائضه و نوافله سقاه اللّه من الکوثر یوم القیامه،و کان محدّثه عند رسول اللّه-صلّی اللّه علیه و آله-فی أصل طوبی» نور الثقلین/ج ۵ ص ۶۸۰

ص:۳۸۷

الإطار العام

يجمل القرآن فی ثلاث آيات قصار معارف ربّانيه يبيّنها فی مفصّلات السور، فإذا بهما معا معجزه فی الحكمه و الخطاب.

فهذا القرآن،و تلك الذريه الصالحه الذين يحملونه الخيره بعد الخيره،و تلك الامه التی يباركها اللّه بالقرآن و العتره،إنّ كلّ ذلك كوثر أعطاه اللّه لمصطفاه الكريم محمد بن عبد اللّه-صلّی اللّه عليه و آله- و من يملك هذا الامتداد الميمون كيف يكون أبترا؟! إنّما الأبتر الذی يشنأ محمدا،و ينقطع حسبه و نسبه،و تباد جاهليته،كما ظلام الليل يتبدد مع بزوغ الفجر.

و شكرا لنعمه الكوثر و استزاده منه يصلّی الرسول لربه و ينحر،و نصلی و ننحر

ص:۳۸۸

[سوره الكوثر (١٠٨): الآيات ١ الى ٣]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . إِنّٰا أَعْطَيْنٰاكَ اَلْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَ اِنْحَرْ (٢) إِنَّ شٰانِئَكَ هُوَ اَلْأَبْتَرُ (٣)

ص:٣٨٩

إنّا أعطيناک الكوثر

بينات من الآيات:

(١)لقد حبى اللّه رسوله الكوثر،ذلک الخير العظيم الذى جعله رحمه مهداه إلى العالمين،و وسيله بركات اللّه على المؤمنين.

إِنّا أَعْطَيْناکَ الْكَوْثَرَ قالوا:إنّ الكوثر مشتق من الكثير،على صيغه فوعل،كما لفظه النوفل المشتقه من النفل،و الجوهر المشتقه من الجهر،و هكذا عبرت العرب عن كل شىء كثير فى الكميه،عظيم فى النوعيه بالكوثر.

قالوا فى تأويل كلمه الكوثر أقوالا-شتى يجمعها القول:بأنّ اللّه قد حبى نبيه خيرا كثيرا يتسع لكلّ حقول الخير،و لكل أبعاد حياته،من الرساله المباركه،إلى الذريه الطاهره،إلى الامه الشاهده،إلى الذكر الحسن،إلى الشفاعه عند اللّه،و إلى

الحوض الذی یستقبل ضیوف الرحمن قبل دخولهم الجنه.

بیـد أنّ أعظم تأویلات الکوثر هو الکتاب و العتره،لأنّهما الثقلان اللذان خلّفهما الرسول من بعده لامته،و أمرهم بالتمسک بهما،و أضاف:

«إنّهمـا لن یفترقـا حتی یردا علیه الحـوض. » و هکـذا یکون حوض الکوثر فی الجنه أو علی مـداخلها تجسـیدا للکوثر فی الـدنیا المتمثل بالکتاب و العتره.

و یتنـاسب هـذا التفسـیر مـع سـیاق السـوره حیث تنعت شـانئ الرسـول بـأنّه الأبتر،و مفهومه أنّ الرسول تمتـد عـترته و ذریته من بعده،بعکس العاص بن وائل السهمی الذی قیل أنّ السوره نزلت بعد أن قال عن الرسول أنّه أبتر.

و هکـذا جـاء فی سـبب نزول السوره:ان رسول اللّه-صـلّی اللّه علیه و آله-دخل من باب الصـفا،و خرج من باب المروه فاسـتقبله العاص بن وائل السـهمی،فرجع العاص الی قریش،فقالت له قریش:من اسـتقبلک یا أبا عمرو آنفا؟قال ذلک الأبتر،یرید به النبی-صلّی اللّه علیه و آله-حـتی انزل اللّه هـذه السـوره (1) و نجـد فی النصوص التی تفسـر هـذه الکلمه إشـاره الی أهل بیت النبی،و کیف یذاد عن حوض الکوثر من ظلمهم من بعده.

فقد أخرج ابن مردویه عن انس قال: دخلت علی رسول اللّه -صلّی اللّه علیه و آله و سلّم-فقال:قد أعطیت الکوثر فقلت:یا رسول اللّه! ما الکوثر؟قال:«نهر فی الجنه عرضه و طوله ما بین المشـرق و المغرب،لا یشـرب منه أحد فیظمأ،و لا یتوضأ منه أحد فیشـعث أبدا،لا یشرب منه من أخفر

۱- ۱) الدر المنشور/ج ۶ ص ۴۰۱.

ذمتی،و لا ـ من قتل أهل بیتی» (۱)و من هنا ذکر الفخر الرازی هذا القول و أیده ببعض الشواهد.فقال:القول الثالث:الکوثر أولاده،لان هذه السوره إنما نزلت علی من عابه-علیه السلام- بعدم الأولاد،فالمعنی:أنه یعطیه نسلا یبقون علی مرّ الزمان،فانظر کم قتل من أهل البیت ثم العالم ممتلئ منهم،و لم یبق من بنی أمیه فی الدنیا أحد یعبأ به،ثم انظر کم کان فیهم من الأکابر من العلماء کالباقر و الصادق و الکاظم و الرضا -علیهم السلام-و النفس الزکیه و أمثالهم (۲).

و یبقی سؤال:هل الکوثر فی القیامه حوض کبیر فی مدخل الجنه أم نهر کریم فی عرصاتها؟ لعل الکوثر نهر یفیض خیره الی مداخل الجنه و یصب فی حوض عظیم.

دعنا-فی خاتمه الحدیث عن الکوثر-نذکر بعض الأحادیث فی صفه ذلک النهر و الحوض.

جاء فی حدیث مسند الی ابن عباس انه قال: لما نزل علی رسول اللّه: إِنّٰا أَعْطَیْنٰاکَ الْکَوْثَرَ قال له علی بن أبی طالب:«ما هو الکوثر یا رسول اللّه؟» «قال نهر أکرمنی اللّه به»قال علی:«إن هذا النهر شریف فانعته لنا یا رسول اللّه!»قال:«نعم یا علی!الکوثر نهر یجری تحت العرش،ماؤه أشد بیاضا من اللبن و أحلی من العسل،و ألین من الزبد،حصاه الزبرجد و الیاقوت و المرجان،حشیشه الزعفران،ترابه المسک الأذفر،قواعده تحت عرش اللّه

۱- ۱) المصدر/ص ۴۰۲.

۲- ۲) التفسیر الکبیر/ج ۳۲ ص ۱۲۴.

عز و جل»ثم ضرب رسول اللّه على جنب أمير المؤمنين و قال:«يا على!هذا النهر لى و لك و لمحبيك من بعدى» (۱).

و

أورد مسلم فى صحيحه عن أنس أنه قال: بينا رسول اللّه ذات يوم بين أظهرنا إذا أغفى إغفاه،ثم رفع رأسه مبتسما،فقلت:ما أضحكك يا رسول اللّه؟قال:

«أنزلت على آنفا سوره»فقرأ سوره الكوثر،ثم قال:«أ تدرون ما الكوثر؟» قلنا:اللّه و رسوله أعلم،قال:«فإنه نهر وعدنيه ربى،عليه خير كثير،هو حوض ترد عليه أمتى يوم القيامه،آنيته عدد نجوم السماء،فيختلج القرن منهم فأقول:

يا رب!أمتى،فيقال:إنك لا تدرى ما أحدثوا بعدك» (۲).

(۲)لا يبلغ العبد كمال الانتفاع بنعم ربه إلاّ بمعرفه اللّه.و التقرب اليه زلفى.

أ رأيت الذى أسبغ اللّه عليه نعمه الأمن و العافيه و الغنى، و لكنه يجحد ربه كيف يفسد تلك النعم بكفرانها؟!فيستغل الأمن فى اشاعه الفساد،و العافيه فى اتباع الشهوات،و الغنى فى الطغيان!كما يفسد النعم بالحرص و الطمع و القلق و القنوط و سوء الخلق.

و أعظم نعم اللّه على الإنسان الرساله لأنها تهديه الى سبل السلام و تعينه فى تسخير الحياه،و ترشده إلى العيش الأفضل،و لكن الرساله بدورها لا يحتملها إلاّ من عرف اللّه،و شكره عليها بالعمل و الأداء.

و الصلاه و الزكاه هما عمودا الرساله الالهيه،لان الصلاه توصل الإنسان بنور ربه،و الزكاه تطهر قلبه من الشح و الاستئثار و عباده الدنيا..و هكذا أمر اللّه بهما بعد بيان نعمه الكوثر،فقال:

۱- ۱) نور الثقلين/ج ۵ ص ۶۸۳.

۲- ۲) المصدر/ص ۶۸۱.

فَصَلِّ لِرَبِّکَ وَ انْحَرْ فکلما ازداد الإنسان یقینا بربه-عبر الصلاه و الزکاه-کلما ازداد هدی و فوزا و انتفاعا بنعم اللّه و بالذات بنعمه الکوثر،التی هی کتاب اللّه و عتره رسول اللّه.

و انی کانت الصلاه:صلاه العید فی الیوم العاشر من ذی الحجه،أو صلاه الصبح فی المزدلفه،أو کل صلاه فریضه،فانها بالتالی الشکر المناسب لنعمه الکوثر.

و کذلک النحر سواء کان الاضحیه فی یوم العید بمنی أو أیّه أضحیه و أیّ نسک، فانه یقوم بدوره فی تطهیر القلب.

و قد اختلف المفسرون فی تأویل هذه الایه کما فی الایه السابقه علی أقوال شتی،یمکن جمعها فی معنی عام واحد،بیّناه آنفا.

بید أن هناک نصوصا تصرح بأن معنی النحر هنا رفع الایدی باتجاه القبله عند الصلاه..إلیک بعضها.

جاء عن الامام الصادق-علیه السلام- أنه سئل عن الایه:فقال بیده هکذا،یعنی استقبل بیده حذاء وجهه القبله فی افتتاح الصلاه (۱).

و

اخرج البیهقی فی سننه و غیره عن علی بن أبی طالب-علیه السلام-قال:

«لما نزلت هذه السوره علی النبی-صلّی اللّه علیه و آله- إِنّٰا أَعْطَیْنٰاکَ الْکَوْثَرَ قال النبی لجبرئیل:ما هذه النحیره التی أمرنی بها ربی؟قال انها لیست

۱- ۱) نور الثقلین/ج ۵ ص ۶۸۳.

بنحيره،و لكن يأمرك إذا تحرّمت للصلاه ان ترفع يديك إذا كبرت و إذا ركعت و إذا رفعت رأسك من الركوع،فإنها صلاتنا و صلاه الملائكه الذين هم فى السموات السبع،و ان لكل شيء زينه و زينه الصلاه رفع اليدين عند كل تكبيره» (۱).

و انى لم أصل الى معنى جامع يستوعب هذا التفسير و التفسير السابق الذى ورد بعض النصوص تؤكده أيضا،بلى.قد نقول:إن رفع اليد علامه الاستعداد للتضحيه بالنفس كأن الإنسان يشير الى نحره،و أنه يقدّمه قربانا لربه،بينما نحر البدن فى منى هو المعنى الحقيقى للكلمه.

و انى كان فقد روى عن سعيد بن جبير أنه قال:كانت هذه الايه يوم الحديبيه،عند ما صالح النبى قريشا،أتاه جبرئيل فقال:انحر و ارجع (۲) و

جاء فى حديث مأثور عن الامام الباقر-عليه السلام- ان معنى النحر الاستعداد فى القيام قال:«النحر الاعتدال فى القيام،ان يقيم صلبه و نحره» (۳).

و الى هذا ذهب طائفه من المفسرين حيث قالوا:«انحر»:بمعنى ابدأ النحر، و لا يبدأ النحر إلّا عند الاعتدال،و قالوا:ان منه التناحر بمعنى التقابل،و لكن يبدو ان المعنى الاول ينسجم مع ظاهره قرآنيه:فلا يذكر الصلاه إلّا مقرونه بالزكاه أو الإنفاق.

(۳)من إعجاز القرآن انه بشّر رسوله بالكوثر،يوم كانت عصابات قريش تحاصره،و تعذب أنصاره،و تكاد تقضى عليه،و اليوم أصبح دين الإسلام ظاهرا فى

۱- ۱) الدر المنثور/ج ۶ ص ۴۰۳.

۲- ۲) المصدر.

۳- ۳) نور الثقلين/ج ۵ ص ۶۸۴.

الأرض،و الرسول أعظم شخصيه عبر العصور و فی کل الافاق..بینما انقطع نسل شانئیه،و أصبحوا أحادیث و عبر،کما قال ربنا سبحانه.

إِنَّ شانِئَکَ هُوَ الْأَبْتَرُ لقد قطع ذکره الاّ باللعنه و البراءه.

و سواء کان هذا الشانی هو العاص بن وائل أو أبو جهل أو عقبه بن أبی معیط أو غیرهم،و سواء کانت مناسبه حدیثهم عن الرسول بموت القاسم ابن رسول اللّه فی مکه،أو إبراهیم ابنه فی المدینه فإن الأمر لا یختلف،إذ أن ذلک الخط الجاهلی قد انقطع و انبتر،و بقی خط النبی یضیء عبر العصور.

و الشانئ:هو العدو الحاقد،و الأبتر:من البتر بمعنی القطع،و کانت العرب تسمی الذی لا ولد له بالأبتر،و قیل:اتهم النبی بهذه الصفه لأنه ترکهم و انبتر عنهم و خالفهم،و لکنهم هم الذین انبتروا و أصبحوا شذّاذا.

ص:۳۹۶

سوره الکافرون

اشاره

ص:۳۹۷

بسم الله الرحمن الرحيم

فضل السوره

فی کتاب ثواب الأعمال بإسناده عن أبی عبد اللّه-علیه السلام-: «من قرأ قل یا أیها الکافرون و قل هو الله أحد فی فریضه من الفرائض غفر اللّه له و لوالدیه و ما ولد،و إن کان شقیّا محی من دیوان الأشقیاء،و أثبت فی دیوان السعداء،و أحیاه اللّه سعیدا،و أماته شهیدا،و بعثه شهیدا» نور الثقلین/ج ۵ ص ۶۷۰

الإطار العام

هـل تـدرى لمـاذا اعتبر الرسول الأكرم-حسب روايه معروفه-سوره الكافرين ربع القرآن؟ربما لان نصف القرآن أو يزيـد يهـدى الى حقـائق التوحيـد،و التوحيـد -بـدوره-يتشـكل من جزئين:الايمان باللّه،و نفى الشـركاء،و نجـد فى هـذه السوره عصاره رفض الشركاء فى ربع القرآن.

و تتكرر فى هذه السوره كلمات البراءه مما يعبد المشركون، و أن الرسول لن يؤمن بما يؤمنون به من الأصنام،لينفصل و بوضوح خط التوحيد عن خط الشرك.

ص:۴۰۰

[سوره الکافرون (۱۰۹): الآيات ۱ الی ۶]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . قُلْ يٰا أَيُّهَا اَلْكٰافِرُونَ (۱) لاٰ أَعْبُدُ مٰا تَعْبُدُونَ (۲) وَ لاٰ أَنْتُمْ عٰابِدُونَ مٰا أَعْبُدُ (۳) وَ لاٰ أَنٰا عٰابِدٌ مٰا عَبَدْتُّمْ
(۴) وَ لاٰ أَنْتُمْ عٰابِدُونَ مٰا أَعْبُدُ (۵) لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِيَ دِينِ (۶)

ص:۴۰۱

لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِيَ دِينِ

بينات من الآيات:

(١)هنـاك حقـائق تكفينا معرفتها و وعيها و العمل بها،بينما لا يكفى ذلك فى حقائق أخرى مثل نفى الشـركاء إذ لا بـد فى مثلها من البراءه عنهم،و الكفر الصـريح بهم،و تحـدى سـلطانهم الثقـافى و السياسـى و الاجتمـاعى حتى يخلص ايمـان لعبـد،و لـذلك جـاءت بعض آيات التوحيـد متوّجه بكلمه«قل»التى تطالبنا بموقف واضـح فاصل حاسم من الشـركاء،أى من القوى الجاهليه التى تتسلط على رقاب العباد،و من القيم الفاسده التى تتحس فى النفس،و من السلوك الفاسد الذى يصبغ حياه الناس.

قُلْ بكـل وضـوح،لاـن كلمه الرفض قـد تكون أشـد من الرفض ذاته،لأنهـا تشـجع الآـخرين عليه،الاـ ترى كيف ان الكـثيرين قد يعارضون حكومه جبار فى السر،

ص:۴۰۲

و لكن القليـل منهم يعلنون رفضـهم له إعلانـا.و اللّه يأمرنـا بإعلان الرفض و فى صـيغه خطاب موجّه الى الكافرين جميعا،الغائبين منهم و الحاضرين.

يٰا أَيُّهَا الْكٰافِرُونَ انها الشـهاده التى أمرنا بها،و التى نرددها من أعلى المنابر،فى مواقيت الصـلاه و عنـد خواتيم الفرائض،الشـهاده بالتوحيد التى تعنى صراحه رفض الأنداد و الشركاء،كما تعنى الحضور فى ساحه المواجهه ضد هؤلاء الشركاء ثم الصراع الشامل معهم،ذلك أن الشـركاء ليسوا أشباحا أو نظريات،انهم حقائق ثقيله تمشى على الأرض بالجبروت و الفساد،فالشهاده على رفضهم تعنى الحضور فى سوح الصراع معهم.

(٢)و رفض المجتمع الجاهلى،و هـدم كيانه الظالم لا يكون الا برفض مقـدساته و قيمه،و ما يعبـدونه من دون اللّه،رفض تقـديس الابـاء الـذى يعنى الجمود و التقليـد و الاسترسـال،رفض تقـديس الأـرض و المصالـح العشائريه و الطائفيه و الحزبيه و الاقليميه و القوميه،رفض الثقافات و الشرائع الباطله التى اضفوا عليها القداسه.

كلاّ..

لاٰ أَعْبُدُ مٰا تَعْبُدُونَ ذكر الرواه:أن ساده قريش لقوا رسول اللّه-صـلّى اللّه عليه و آله و سـلّم- فقالوا:يا محمد!هلمّ فلنعبد ما تعبد،و نشترك نحن و أنت فى أمرنـا كله،فان كان الـذى جئت به خيرا مما بأيـدينا كنا قـد شاركناك فيه و أخـذنا بحظّنا منه،و إن كان الـذى بأيـدينا خيرا ممـا بيـدك كنت قـد شـركتنا فى أمرنـا و أخـذت بحظّـك منه،فأنزل اللّه عز و جل قُلْ يٰا أَيُّهَا الْكٰافِرُونَ (١)و أضيف-فى روايه أخرى-فيئسوا منه،

ص:۴۰۳

١- ١) القرطبى/ج ٢٠-ص ٢٢۵

و آذوه و آذوا أصحابه.

و معروف:ان الآيه أوسع دلاله من تلك الواقعه،فإن نفى عباده الرسول لما يعبدون يشمل تحديه لمجمل قيمهم الجاهليه،و كياناتهم الظالمه.

و كلمه«ما»فى قوله: مٰا تَعْبُدُونَ يشمل كل شيء يعبد من دون اللّه،سواء تمثل فى اشخاص أو أصنام أو قيم و هكذا كان نفى«ما»أشد وضوحا و أشمل من نفى«من»و تدل على غير العاقل.

(٣)هل يشترك الكافرون فى أمر العباده مع المؤمنين شيئا؟كلاّ..إنهم يعبدون إلها يختلف كليا عن رب العالمين الذى يعبده المؤمنون.أولئك يعبدون ربّا عاجزا أمام قوه الشركاء،محتاجا الى دعم الأنداد،لا يهيمن على تدبير الكائنات، بينما المؤمنون يعبدون ربّا قويّا مقتدرا،لا يعجزه شيء،ربّا جبّارا مهيمنا مدبرا.

فليس ما يعبده الكافرون هو ما يعبده المؤمنون،بل إنه لمختلف جدّا.

وَ لاٰ أَنْتُمْ عٰابِدُونَ مٰا أَعْبُدُ و أنّى لقلب واحد أن يجتمع فيه معرفه اللّه المتكبّر الجبّار مع الايمان بالجبت و الطاغوت،أو هل يجتمع النور و الظلام؟! (۴)و الذى يعبد الجبت و الطاغوت و لا يتحدى سلطه المستكبرين،و قيم الجاهلين لا يكون عابدا للّه،و حاشا رسول اللّه و لمن اتّبع هداه أن يختاروا الكفر بعد الايمان،و الضلال بعد الهدى،حتى لو تعرضوا لالوان العذاب.

وَ لاٰ أَنَا عٰابِدٌ مٰا عَبَدْتُّمْ

ان من علامه صدق الایمان،و أنه وقر مستقر فی فؤاد صاحبه أنه یعقد عزمات قلبه علی تحدی کل الضغوط فی سبیله حتی یأتیه الیقین،فیلقی ربه بإیمان لا ظلم فیه،و إسلام لا استکبار معه.

و الا ـ فان کل الناس حتی أسوأ الجاحدین یمرون عاده بلحظات إیمانیه،أو لیسوا یولدون علی فطره الایمان،أو لا تری کیف یجأرون الی ربهم فی البأساء و الضراء؟ بلی.و لکنهم سرعان ما یشرکون بربهم بسبب الشهوات،أو ضغط الطغاه و المجتمع الفاسد.

(۵)و کذلک یتمایز خط الایمان و الشرک و لن یلتقیا علی محور واحد،فلا تری أحدا من الکفار باللّه أبدا عابدا له،کیف و أن أول ما یأمر به اللّه هو الکفر بالطاغوت و مقاومه الجبت.

وَ لاٰ أَنْتُمْ عٰابِدُونَ مٰا أَعْبُدُ أی أنهم حال شرکهم باللّه لیسوا من اللّه فی شیء،لان الشرک حجاب بین الإنسان و ربه،حجاب فی القلب و حجاب فی السلوک،و انما تتجلی قیمه الایمان فی کبح جماح التکبر فی النفس،و کبح جماح المستکبرین فی المجتمع،لیتحرر الإنسان من الجبت و الطاغوت،و یعود الی نور عقله و صفاء فطرته،و یمضی قدما فی تسخیر الطبیعه فی الدنیا،و ابتغاء مرضاه اللّه و نعیم الجنه.

أمّا المستسلم للضغوط،المسترسل مع شهوات النفس و أهواء المتجبرین،فانه لیس بمؤمن باللّه.

أو لیس الایمان باللّه یعطی الإنسان بصیره و عزما،و حکمه و شجاعه،عقلا

و توكلاـ؟و هـل يمكن لمن أوتى تلك الصـفات المثلى ان يتبع هواه و يطيع الطغاه؟ (۶)و هكذا اسـتبان طريق الضلال عن سبيل اللّه،و دين الكفار عن دين الحق.

لَكُمْ دِينُكُمْ وَ لِيَ دِينِ و الـدين هو المنهـج المتكامل الـذى يلتزم به الإنسان فى حياته،و لا يجتمع منهـج اللّه مع منهج الشـرك،و قال بعضـهم:الدين هنا بمعنى الجزاء،فمعناه:ان لكل شخص جزاء عمله و عبادته.ان خيرا فخير و إن شرا فشر.و المعنى الاول أوفق مع السياق؛لان جوهر الدين العباده،فمن عبد اللّه دان بدينه،و من عبد الشركاء دان بدينهم.

و هـذه البراءه الصـريحه من دين الشـرك هى التى ميزت دين اللّه عن دين الأدعياء،و ميزت عباد اللّه عن عبـد الطاغوت،و ميزت خط الرساله الأصيل عن سبل الضلال.

ان المشـركين و المسـتكبرين و المترفين حاولوا عبر التاريخ التقاطع مع المؤمنين الصادقين بالترغيب و الترهيب فلم يفلحوا،و كان هدفهم اسـتخدام اسم الدين و شعاراته لتمرير فسادهم و ظلمهم،و اضفاء الشرعيه على تجبرهم و استغلالهم،و لقد بقى رجال اللّه المخلصون صامدين أمام تلك المحاولات بتوفيق اللّه،و بالرغم من تعرضهم لشتى ألوان الأذى.

و جـاءت هـذه السوره التى اسـتفاضت على اهميتها النصوص الشـرعيه،و وثيقه براءه من المشـركين،و سـدّا منيعا أمام محاولاتهم التأثير فى التجمع الايمانى.

ص:۴۰۶

و انما تکررت آیات النفی لتأکید هذه البراءه و ذلک الفصل،و من عاده العرب التکرار للتأکید و انشدوا للشاعر:.

یا أقرع بن جامس یا أقرع إنک إن یصرع أخوک تصرع

و هکذا

جاء فی الحدیث المأثور عن الامام الصادق-علیه السلام-عن سبب نزولها و تکرارها: ان قریشا قالت لرسول اللّه تعبد الهتنا سنه و نعبد إلهک سنه،و تعبد الهتنا سنه و نعبد إلهک سنه فأجابهم اللّه بمثل ما قالوا،فقال قالوا:

تعبد آلهتنا سنه قُلْ یٰا أَیُّهَا الْکٰافِرُونَ* لاٰ أَعْبُدُ مٰا تَعْبُدُونَ .و فیما قالوا:

نعبد إلهک سنه: وَ لاٰ أَنْتُمْ عٰابِدُونَ مٰا أَعْبُدُ و فیما قالوا تعبد آلهتنا سنه:

وَ لاٰ أَنَا عٰابِدٌ مٰا عَبَدْتُّمْ و فیما قالوا:و نعبد إلهک سنه: وَ لاٰ أَنْتُمْ عٰابِدُونَ مٰا أَعْبُدُ* لَکُمْ دِینُکُمْ وَ لِیَ دِینِ . (۱)

۱- ۱) نور الثقلین/ج ۵-ص ۶۸۸

سوره النصّر

اشاره

ص:۴۰۹

بسم اللّه الرّحمن الرّحیم

فضل السوره

فی کتاب ثواب الأعمال بإسناده عن أبی عبد اللّه-علیه السلام-قال:

«من قرأ إذا جاء نصر الله و الفتح فی نافله أو فریضه نصره اللّه علی جمیع أعدائه،و جاء یوم القیامه و معه کتاب ینطق،قد أخرجه اللّه من جوف قبره، فیه أمان من جسر جهنم و من النار و من زفیر جهنم،فلا یمرّ علی شیء یوم القیامه إلاّ بشّره و أخبره بکلّ خیر حتی یدخل الجنه،و یفتح له فی الدنیا من أسباب الخیر ما لم یتمنّ و لم یخطر علی قلبه» نور الثقلین/ج ۶ ص ۶۸۹

ص:۴۱۱

الإطار العام

بعد جهاد دائب،و انتظار طويل يأتى نصر اللّه و الفتح،الذى لا يبتغى المؤمنون من ورائه سوى هدايه الناس إلى الحق..و هكذا تراهم فرحين حين يجدون الناس يدخلون فى دين اللّه أفواجا..إنّها بشاره عظمى و لكنّها لن تدعوهم إلى الغرور،بل يتخذونها معراجا روحيّا لنفوسهم الوالهه بحبّ اللّه،فيسبّحونه و يحمدونه و يستغفرونه.

و التسبيح سبيل معرفه اللّه و التقرب اليه و الحمد وسيله منع الغرور و الكبر عن النفس،و الاستغفار طريق تكميل النواقص..و هكذا توجز هذه السوره الكريمه برنامج المؤمن عند النصر و عند أى فضل يصيبه من عند اللّه.

ص:۴۱۲

[سوره النصر (۱۱۰): الآیات ۱ الی ۳]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . إِذٰا جٰاءَ نَصْرُ اَللّٰهِ وَ اَلْفَتْحُ (۱) وَ رَأَيْتَ اَلنّٰاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اَللّٰهِ أَفْوٰاجاً (۲) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ اِسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كٰانَ تَوّٰاباً (۳)

ص:۴۱۳

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ وَ اسْتَغْفِرْهُ

بينات من الآيات:

(۱)و تتظاهر القوی السیاسیه و الاقتصادیه و الاعلامیه ضد الرساله، و یحاصرونهم من کل صوب،و تضیق بهم السبل،و یلقی الشیطان وساوسه فی أفئدتهم،و یظنون باللّه الظنون،و یطول لیل الانتظار،و ینادی الجمیع:متی نصر اللّه؟ و جاء نصر اللّه،یسعی إلیهم من ضمیر الغیب،حیث یعرف المؤمنون بوعیهم السیاسی و الحرکی،و ببصائر قلوبهم العارفه انهم کانوا أعجز من اقتناص النصر بقواهم الذاتیه،و إنما هو نصر اللّه الذی هزم عدوهم بالرعب،و أیدهم بالثبات و الاستقامه،و ألف بین قلوبهم بالایمان.

و أتبع اللّه النصر بنصر آخر،و تلاحقت الانتصارات حتی جاءهم الفتح المبین،هناک بلغ المؤمنون أعظم أمانیهم،حیث رأوا الناس یدخلون فی دین اللّه

ص:۴۱۴

أفواجا.

ثم يعانی الداعيه حين يری الناس فی ضلال مبين،و يجد القوی الجاهليه تقف حاجزا دون انتشار هدی الدين الی القلوب المظلمه،و ربما بلغ الحزن ببعض الدعاه أن يموتوا كمدا،و لهذا ينهی اللّه رسوله من ذلك بقوله سبحانه: فَلَعَلَّكَ بٰاخِعٌ نَفْسَكَ عَلىٰ آثٰارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً (۱).

و اليوم يعمهم الفرح حين يرون كيف تساقطت الحواجز و انتشر نور الهدی.

إِذٰا جٰاءَ نَصْرُ اللّٰهِ وَ الْفَتْحُ قالوا عن هذا النصر:إنه نصر اللّه رسوله علی قريش فی المعارك التی دارت بينهم،و قيل:بل نصره علی سائر الكفار،أما الفتح،فقالوا:انه فتح مكه،و هذا يتناسب و ما جاء فی وقت نزول السوره،حيث روی:انها نزلت بعد فتح مكه، و ذكر فی حديث آخر:أنّها آخر سوره نزلت علی الرسول،

فقد جاء فی حديث مأثور عن الإمام الصادق-عليه السلام-انه قال: أوّل ما نزل علی رسول اللّه بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ* اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ و آخره إِذٰا جٰاءَ نَصْرُ اللّٰهِ (۲)و قيل:

إنها نزلت بمنی فی حجه الوداع (۳).

و قد كانت تسمی هذه السوره بسوره التوديع لأنها-حسب الروايه التاليه- نعت الی الرسول نفسه،هكذا

يقول ابن عباس: لما نزلت إِذٰا جٰاءَ نَصْرُ اللّٰهِ وَ الْفَتْحُ قال-صلّی اللّه عليه و آله-نعيت إلیّ نفسی بأنها مقبوضه فی هذه السنه (۴)

۱- ۱) الكهف/۶

۲- ۲) نور الثقلين/ج ۵-ص ۶۶۰

۳- ۳) المصدر نقلا عن تفسير علی بن إبراهيم.

۴- ۴) المصدر/ص ۶۸۹

و ربما السبب فی ذلک أن السوره قد أوحت الیه أن مسئولیه الرسول کمبلّغ و داعیه الی اللّه قد أکملت،لذلک کان علیه ان یستعد للرحیل.

(۲)النصر أو الفتح لیسا هدفا بذاتهما عند المؤمنین،إنما وسیله الی هدف أسمی هو هدایه الناس الی نور الرساله.

وَ رَأَیْتَ النّٰاسَ یَدْخُلُونَ فِی دِینِ اللّٰهِ أَفْوٰاجاً فعند ما تهاوت حجب الضلال و رأی الناس نور الدین فوجدوه دین الفطره و العقل،دین الحکمه و السماحه دخلوا فیه فوجا بعد فوج،یقود کل فوج إمامهم و داعیتهم،و السابق منهم الیه،و قد قال المفسرون:انها نزلت فی أهل الیمن الذین توافدوا علی النبی-صلّی اللّه علیه و آله-أفواجا،تقول

الروایه المأثوره عن ابن عباس: ان النبی-صلّی اللّه علیه و آله-قرأ إِذٰا جٰاءَ نَصْرُ اللّٰهِ وَ الْفَتْحُ و جاء أهل الیمن رقیقه أفئدتهم،لینه طباعهم،سخیّه قلوبهم،عظیمه خشیتهم،فدخلوا فی دین اللّه أفواجا. (۱)

و هکذا انتشر نور الإسلام بعد فتح مکه فی کافه أرجاء الجزیره العربیه،و بدأ المسلمون یتحفزون للانبعاث الکبیر فی أرجاء الأرض.

و تهدینا بصائر هذه السوره و هدی سیره النبی و عبر تاریخ الحرکات الدینیه:أن علینا أن نعقد العزم علی تحطیم قلاع الکفر المتقدمه قبل نشر الرساله،فما دامت تلک القلاع تدافع عن قیم الجهل و التخلف،و تمنع الناس بالترهیب و التضلیل و الترغیب عن التغییر و الإصلاح،لا ینفع التبلیغ و التبشیر کثیرا،و من أجل هذا قاتل کثیر من الأنبیاء و الربانیون،و من أجل هذا جاهد الرسول الأکرم،و من

۱- ۱) القرطبی/ج ۲۰-ص ۲۳۰

أجل هذا ينبغی أن يجاهد و يقاتل كل مبلّغ و داعيه من يقف دون انتشار الدين.

(٣)لان النصر من عند اللّه ينبغی ان نشكر اللّه عليه،و نسبحه و نقدسه،و نطهر بذلک أفئدتنا من تلک الوساوس الشيطانيه التی أصابتها أيام المحنه،فزعم البعض:

ان اللّه تعالی قد أخلف وعده،أو انه سبحانه لم يقدر علی النصر أو ما أشبه،مما يعبر عنه القرآن الكريم بالزلزله حين يقول: وَ زُلْزِلُوا حَتّی يَقُولَ الرَّسُولُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتی نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ (١)و ها هو النصر قد أقدم،فلنغسل بمياهه المتدفقه آثار الهزيمه،و لنسبح اللّه.

ثم ان للنصر كما للهزيمه آثارا سلبيه كالغرور و التكبر و التعالی و التطرف،و عبر الايمان باللّه،و المزيد من اليقين يمكن السيطره علی تلک الصفات..من هنا أمر اللّه بالتسبيح و الحمد و قال:

فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّکَ ثم إن المؤمن يتخذ من كل حادثه أو ظاهره معراجا لروحه،و وسيله لتكامل نفسه،و تنامی صفات الخير فيها،و النصر واحد من أشد الحوادث أثرا فی النفس البشريه،و لذلک يتخذه المؤمن وسيله للتعرف علی ربه،و التقرب اليه.

و التسبيح تقديس اللّه عن صفات المخلوقين و عن احاطه علمهم به،بينما الحمد نعت للّه بالأسماء الحسنی و ما فيها من صفات الجلال و الجمال،و يقدم التسبيح علی الحمد لان إثبات صفه للّه قد يوحی ببعض آثاره السلبيه،فاثبات القدره قد توحی بالظلم،و إثبات الرحمه قد توحی بتجاوز الحكمه،بينما ربنا مقتدر عدل و رحيم حكيم.

١- ١) البقره٢١٤/

وَ اسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كٰانَ تَوّٰاباً و يبقى طريق الكمال مفتوحا أمام الإنسان،و تبقى تطلّعاته الى التسامى مشروعه،و الاستغفار أقرب وسيله الى تحقيقها؛لأنه يوقف الإنسان على نقاط ضعفه،و مواقع عجزه،و يحسسه من جهه بمدى حاجته الى الكمال.و من جهه أخرى بإمكانيه ذلك.

و حينما يحس الإنسان بضعفه و عجزه و درجات قصوره و تقصيره يعتريه شعور عميق باليأس من إصلاح نفسه لولا التوجه الى اللّه،و التذكر بأنه توّاب رحيم.

و حينما يستغفر المنتصر ربه لا يخضع لحب الانتقام من أعدائه الذين انتصر عليهم،بل يتحلّى بروح التسامح و العفو،أ و ليس يطلب الغفران من ربه و العفو، إذا فليعفو و ليغفر للمذنبين حتى يعفو عنه اللّه و يغفر له.

سوره المسد

اشاره

ص:۴۱۹

الإطار العام

بسم اللّه الرحمن الرحيم لقد قطع رحمه و خان،و كان عليه أن يدافع عن ابن أخيه فى عرف العرب و قيمهم،قطع اللّه يديه و قطعه،و أهلكهما و أهلكه.

فهل نفعته أمواله التى من أجلها خرج على أعراف العرب و قيم بنى هاشم.

كلا..كان يدعى أبا لهب،فأمسى يصلى لهبا،و هكذا امرأته التى مشت بالنميمه و اشعلت نيران الفتنه و كان عنقها محاطا بحبل من مسد و من ليف النخل.

ص:۴۲۱

سوره المسد

[سوره المسد (۱۱۱): الآیات ۱ الی ۵]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ . تَبَّتْ یَدٰا أَبِی لَهَبٍ وَ تَبَّ (۱) مٰا أَغْنیٰ عَنْهُ مٰالُهُ وَ مٰا کَسَبَ (۲) سَیَصْلیٰ نٰاراً ذٰاتَ لَهَبٍ (۳) وَ اِمْرَأَتُهُ
حَمّٰالَهَ اَلْحَطَبِ (۴) فِی جِیدِهٰا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (۵)

ص:۴۲۳

تَبَّتْ يَدٰا أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ

بينات من الآيات:

(۱)كان من أشراف قريش،انتقلت اليه زعامه بنى هاشم بعد أخيه الراحل أبى طالب-عليه السلام-و كان عليه ان يجسد قيم آبائه و عشيرته الذين ورثوا حنفيه إبراهيم الخليل-عليه السلام-و ان يدافع عن ابن أخيه حسب اعراف العرب العشائريه.

و لكنه-فيما يبدو-تحالف مع العشيره المناوئه من بنى اميه،و ربما بسبب زوجته أم جميل أخت أبى سفيان بن حرب،أو لأنه كان ذا ثروه طائله،فمال الى الطبقه الاثرى فى قريش،أو لاى سبب آخر فقطع رحمه،و انسلخ عن حسبه، و عادى النبى بأشد ما تكون العداوه.

كان يمشى فى طرقات مكه وراء النبى و يحذر الناس منه و مما يزعم..انه ساحر،و كان الناس يعلمون أنه كبير بنى هاشم و أنه يصدق فى أمرهم فيرجعون

ص:۴۲۴

اليه،و لكنه كان يخون موقعه،و يتهم النبى بالكذب حينا و بالسحر حينا،و قد يفحش له فى القول و يقول:تبا له.

يقول بعض المفسرين:كان إذا وفد على النبى-صلّى اللّه عليه و آله-وفد انطلق إليهم أبو لهب،فيسألونه عن رسول اللّه-صلّى اللّه عليه و آله-و يقولون له:

أنت اعلم به منا،فيقول لهم ابو لهب:انه كذّاب ساحر،فيرجعون عنه و لا يلقونه، فأتى وفد،ففعل معهم مثل ذلك،فقالوا:لا ننصرف حتى نراه و نسمع كلامه،فقال لهم ابو لهب:إنا لم نزل نعالجه،فتبا له و تعسا.

و كان هو و زوجته ينشدون شعرا بذيئا ضد النبى،و يقولون:

مذمّما عصينا و أمره أبينا و دينه قلينا

و فى يوم الدار حيث جمع النبى عشيرته الأقربين لينذرهم حسب أمر اللّه له،فلما طعموا و شربوا،قال ابو لهب:سحركم محمد-صلّى اللّه عليه و آله-إنّ أحدنا ليأكل الجذعه(ولد الشاه فى السنه الثانيه)و يشرب العس(القدح الكبير)من اللبن فلا يشبع،و إن محمدا قد أشبعكم من فخذ شاه و أرواكم من عسّ لبن.

و

فى يوم الإنذار العام،حينما صعد النبى-صلّى اللّه عليه و آله-الصفا، فهتف يا صباحاه!فقالوا:من هذا الذى يهتف؟قالوا:محمد،فاجتمعوا اليه،فقال لهم:«أ رأيتكم لو أخبرتك ان خيلا تخرج بسفح هذا الجبل أ كنتم مصدقى؟» قالوا:ما جربنا عليك كذبا،قال:«فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد » فقال أبو لهب،تبا لك أما جمعتنا إلاّ لهذا،ثم قام.هكذا أصبح عم النبى من أشد الناس عداوه له،و أكثرهم إيذاء،أو ليس الناس يزعمون أنه أعرف بالنبى من غيره باعتباره عم النبى،و سيد عشيرته؟

ص:۴۲۵

و هكـذا نزلت السوره الكريمه فى شأنه أولا ليفصـح للناس مـدى عداوته للنبى،فلا يعتبرونه خبيرا بشأنه،بل حسودا كنودا و عدوا لـدودا،و لا يأبهون بكلامه فى حق النبى،و ثانيا:لكى لا يزعم أحـد أن قرابته للنبى تمنحه البراءه من النار،و التحلل عن مسئوليات الشريعه،فهذا عم النبى يختص بالتقريع،و تنزل فى ذمه سوره باسمه مما لا نجده فى حقّ أىّ من أعداء النبى المعاصرين له.

تَبَّتْ يَدٰا أَبِى لَهَبٍ قالوا:تبت:أى هلكت،أو خسرت،أو خابت،أو صغرت،أو قطعت، و لا بأس بتصور معنى جامع للكلمه تشتمل كل هذه المعانى.

و قالوا فى كنيه الرجل أنها كانت بديلا عن اسمه،فلم يكن ذكر كنيته شرفا له بل ذمّا،لان اللهب يعنى شرر النار،و نعت أحد به لا يشرفه،و قـد جعله اللّه عليه لهبا يوم القيامه،ثم ان اسـمه كان عبـد العزى،و لم يكن مناسـبا ذكر هـذا الاسم فى كتاب ربنا،الـذى يفيض بنور التوحيد و الحنفيه الطاهره.

وَ تَبَّ هلك الرجل و خاب و خسر.

قالوا:الكلمه الاولى دعاء عليه،و ذكر اليد إشاره الى الشخص ذاته،و هكذا تكنّى العرب عن الشىء بجزء،فتقول مثلا يد الرزايا،أو يد الدهر،أو ما أشبه، قال الشاعر:

و لقد مررت على ديارهم أطلالها بيد البلا نهب

اما الكلمه الثانيه«و تب»فهى خبر،أى أن أبا لهب قد هلك فعلا،و بذلك

وقعت اللعنه المتوقعه عليه.

و يبدو لی ان الکلمه الاولی دعاء علی صفقه یدیه و ما تکسبه من فعل،و الثانیه علیه شخصیّا،أو أن الثانیه توضیح و تأکید للأولی،ذلک أن سبب هلاک الإنسان ما تجنیه یده،فاللعنه تتوجه إلیها،ثم الیه لأنه المسؤول عن فعلهما،و لعل فی الایه الثانیه اشاره الی ذلک.

(۲)ابو لهب-کما سائر المستکبرین و المعاندین-یتّکلون علی أموالهم و امکاناتهم فی مواجهه الحق،و لکن عند ما یحین میعاد الجزاء العادل لا یغنی عنهم ذلک شیئا.

مٰا أَغْنیٰ عَنْهُ مٰالُهُ وَ مٰا کَسَبَ فلا ثروته تغنیه عن اللّه شیئا،و لا ما اکتسبه بها و بغیرها من جاه و قوه،و مکانه اجتماعیه.

و هکذا یکون ما کسب أعم من المال،لان المال بدوره من مکاسب الفرد، و قیل:ان«ما کسب»هو أولاده،و لعل الولد یعتبر مما یکتسبه الإنسان.

(۳)کلا..النار تنتظره و سیصلاها،لیتحسس مباشره حرّها و ألمها،و إذا کان أبواه قد وجدوا فی وجنتیه لهبا اجتذبهم حتی کنیاه بأبی لهب،فإن هذا الجمال الظاهری لم ینفعه،بل تحول فی العقبی إلی نار لا هبه تحرقه.

سَیَصْلیٰ نٰاراً ذٰاتَ لَهَبٍ (۴)و امرأه أبی لهب کانت أخت أبی سفیان،و عمه معاویه،و کانت -حسب الروایات-عوراء و لکنها سمیت أم جمیل،و کانت بذیئه اللسان،

متكبره،و شديده العداء للرسول و لدعوته،كعداء أخيها أبی سفيان.

قالوا:انها كانت بالغه الثراء،و لكنها من بخلها و شحها كانت تحمل الحطب و لا تشتريه،و ربما ألقت الأشواک فی طريق النبی و سائر المسلمين إيذاء لهم،و هكذا ألحقها اللّه بزوجها.

وَ امْرَأَتُهُ حَمّٰالَةَ الْحَطَبِ و جاءت كلمه حَمّٰالَةَ الْحَطَبِ منصوبه للدلاله علی ذّمها،و قد اختلفوا فی تفسير الكلمه:هل نعتت بالبخل،و كيف انها تدعی الشرف،و تحمل الحطب؟أو انها ذمّت لالقائها الأشواک فی طريق النبی؟أو لأنها كانت تمشی بالنميمه، و العرب تسمی من يفعل ذلک بحامل الحطب لأنه يشعل نار الفتنه بين الناس؟ و انشدوا:

ان بنی الادرم حمالو الحطب هم الوشاه فی الرضا و فی الغضب

و

روی أن حماله الحطب لما سمعت بنزول هذه السوره فيها و فی زوجها،قدمت علی المسجد الحرام تقصد النبی الذی كان جالسا و معه ابو بكر بن أبی قحافه،فقال:

يا رسول اللّه!هذه أم جميل محفظه(ای مغضبه) تريدک،و معها حجر تريد ان ترميک به،فقال-صلّی اللّه عليه و آله-:«انها لا ترانی»فقالت لابی بكر:أين صاحبک قال:حيث شاء اللّه،قالت جئته و لو أراه لرميته،فانه هجانی،و اللات و العزی إنی لشاعره(و فی روايه:انی لسيده)فقال ابو بكر:يا رسول اللّه!لم ترک؟ قال:«لا.ضرب اللّه بينی و بينها حجاب» (1).

(5)و ان الفتاه لتتزين بقلاده من الدر و اللؤلؤ و سائر الأحجار الكريمه،و لكنها

1- 1) نور الثقلين/ج 5-ص 689.

قد جعلت فی عنقها حبلا من لیف النخل حینما احتملت حطبا و ألقته فی طریق الرسول،فهل یدل ذلک إلاّ علی الخسه و الدناءه.

فِی جِیدِهٰا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ قالوا:الجید:العنق،و المسد:اللیف،و انشدوا:ما مسد الخوص تعوذ منی.

و قال البعض:إن ذلک عذاب،أوعدها اللّه أن یجعل فی جیدها حبلا من لیف یوم القیامه،لأنها أنفقت قلاده لها من جواهر فی محاربه النبی.

ص:۴۲۹

سوره الإخلاص

اشاره

ص: ۴۳۱

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

فضل السوره

-۱

فى كتاب ثواب الأعمال بإسناده عن أبى عبد اللّه-عليه السلام-قال:

«من مضى به يوم واحد فصلّى فيه خمس صلوات و لم يقرأ بقل هو الله أحد قيل له:يا عبد اللّه لست من المصلّين » ۲-و

عن أمير المؤمنين-عليه السلام-قال: «قال رسول اللّه -صلّى اللّه عليه و آله-من قرأ قل هو الله أحد مائه مرّه حين يأخذ مضجعه غفر اللّه له ذنوب خمسين سنه » و

عنه-عليه السلام-قال: «من قرأ قل هو الله أحد عشر مرات فى دبر الفجر لم يتبعه فى ذلك اليوم ذنب،و إن رغم أنف الشيطان »

ص:۴۳۳

۳-و

عن أبی الحسن الامام الرضا-علیه السـلام-قال: «من قرأ قل هو الله أحـد بینه و بین جبّار منعه اللّه منه بقراءته بین یدیه و من خلفه و عن یمینه و عن شماله،فإذا فعل ذلک رزقه اللّه خیره و منعه شرّه » ۴-و

عن أبی عبـد اللّه-علیه السـلام-قـال: «من آوی إلی فراشه فقرأ قـل هو الله أحـد إحـدی عشـره مرّه حفـظ فی داره و فی دویرات حوله» نور الثقلین/ج ۵ ص ۶۹۹

الإطار العام

هل اللّه نسب،و ماذا أعد الكتاب للعلماء المتعمقين فی حقل التوحید؟و کیف تختصر بضع کلمات بصائر الوحی فی معرفه الرب،حتی تصبح ثلث القرآن المجید.

بلی.إن سوره الإخلاص تنسب ربنا الی التوحید النقی،الذی یروی غلیل المتعمقین فی آخر الزمان،و تختصر هدی الکتاب فی حقائق العرفان.

إنها تأمرنا بأن نقولها صریحه و نقیه:اللّه أحد.

و ماذا تعنی الاحدیه؟تقول السوره: اَللّٰهُ الصَّمَدُ الذی لا جوف له و لا أجزاء،و نتساءل عن تأویل الصمد؟فتقول الایه التالیه: لَمْ یَلِدْ وَ لَمْ یُولَدْ فلا تدخله أجزاء من خارجه سبحانه،و لا تخرج منه أجزاء الی الخارج سبحانه، و تستفهم:ما حقیقه أحدیته و صمدیته،و تعالیه عن التناسل،و تقول الایه الخاتمه، حقیقه ذلک:انه لا شبیه له و لا نظیر،و لو کان والدا لکان ولده شبیهه و کفوه، و کذلک لو کان مولودا لکان والده أعلی منه أو مساویا له.سبحانه عن مجانسه مخلوقاته.

[سوره الإخلاص (١١٢): الآيات ١ الى ۴]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِيمِ . قُلْ هُوَ اَللّٰهُ أَحَدٌ (١) اَللّٰهُ اَلصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ (٣) وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ (۴)

ص:۴۳۷

قُلْ هُوَ اللّهُ أَحَدٌ

بينات من الآيات:

(۱)لا تستطيع الخروج من ظلمه الشرک لو لم تخرج من سجن الذات،و معتقل هوی النفس،و إذا أنعمت النظر لرأیت جذر کل کفر و شرک و عصیان حب النفس و هواها،و حتی الذی یعبد الطغاه أو الأصنام فإنما یعبد هواه فی صوره الطغاه، و شهواته فی هیکل الأصنام.

فإذا خرجت من حبّ الذات،و تحدیت ظلمات الهوی فإنک تنطلق فی رحاب التوحید بإذن اللّه،بلا قیود و بلا حدود.

کیف تخرج-إذا-من سجن الذات؟إنما بتحدی إرهاب الطغاه، و ضلالات المجتمع،و خرافات الغابرین و ما لدیهم من مقدسات زائفه.

و تاریخ الموحدین یختصر الصراع المریر بینهم و بین دعاه الشرک و الضلال..ألم تقرأ نبأ النبیین و الصدیقین کیف تحدوا ظلمات عصورهم بنور التوحید..کل ذلک

التاريخ الحافل تختصره فى هذه السوره كلمه واحده هى كلمه:

قل و من دون الاستجابه لهـذا الأمر الصـريح لن تسـتطيع التعالى فى سـماء التوحيد، لان التوحيد ذاته كسـر قيود الشـرك،و فك أغلال الضـلال،لا بد ان تنهض إرادتك فى ضميرك،و تتبلور روح التحدى فى عقلك،و تنبعث فطرتك النقيه الاولى من تحت ركام الجهل و الغفله و النسيان،لا بد لك من ذلك كله إذا أردت معرفته، و الزلفى اليه و رضوانه،و جنته.

هو انه الغيب الـذى لا و لن تحيط به علما،يكفيك من شـعاع نوره قبس يغمر وجودك ثم لا تكاد تتحمله.انه اللّه الذى احتار فيه قلبك،فهو قريب منه يراه فى كل شيء،و لكنه فى ذات الوقت بعيد لا يعرف ذاته.

و

جاء فى حديث مأثور عن الامام الباقر-عليه السلام-فى معنى«هو»قال:

«اسم مشـار،و مكنى الى غـائب،فالهـاء تنبيه عن معنى ثابت،و الواو إشاره الى الغائب عن الحواس،كما أن قولك«هـذا»إشاره الى الشاهـد عند الحواس» (١)انه الـذى تهفوا إليه نفوسـنا،و تتعلق بحبه أفئـدتنا و يهفوا الجميع الى قبسـات وجهه الكريـم،و يتعطشون الى كأس محبته،و ورد قربه.

انه بكلمه واحده«هو»نشير اليه دون أن نحدده أو نقيّده،أو ندعى معرفه

١- ١) موسوعه بحار الأنوار/ج ٣ ص ٢٢١.

ذاته،أو توهم إنّيته و مائيته.

و

قد روى أن عليا-عليه السلام-رأى خضرا-عليه السلام-فى منامه قبل بدر بليله يقول:«فقلت له:علمنى شيئا أنصر به على الأعداء،فقال:قل:

يا هو!يا من لا هو إلاّ هو،فلما أصبحت قصصتها على رسول اللّه،فقال لى:

يا على!علمت الاسم الأعظم،و كان على لسانى يوم بدر» و أضافت الروايه: ان أمير المؤمنين-عليه السلام-قرأ قُلْ هُوَ اللّٰهُ أَحَدٌ فلما فرغ قال:«يا هو!يا من لا هو إلاّ هو!اغفر لى،و انصرنى على القوم الكافرين» (۱)اللّه و كفى.الإله:المعبود الذى تسبح له السموات و الأرض،الذى يتحير فيه المتحيرون،و يلجأ اليه المستجيرون.

و هكذا

جاء فى الحديث المأثور عن الامام على-عليه السلام-: «اللّه معناه:

المعبود الذى يأله فيه الخلق،و يؤله اليه،و اللّه هو المستور عن درك الأبصار، المحجوب عن الأوهام و الخطرات. » و

روى عن الامام الباقر-عليه السلام-: «اللّه معناه:المعبود الذى اله الخلق عن درك مائيته،و الاحاطه بكيفيّته،و يقول العرب:أله الرجل إذا تحير فى الشىء فلم يحط به علما،و وله:إذا فزع الى شىء مما يحذره و يخافه»و أضاف:

«فالاله هو المستور عن حواس الخلق» (۲) و هكذا تكون كلمه«اللّه»حسب هذه الروايه مشتقه من اله،التى تجمع

۱- ۱) المصدر/ص ۲۲۲.

۲- ۲) المصدر.

معانی المعبود،الذی یتحیر فیه الناس،و یلجأ الیه المتحیرون.

أحد بالرغم من ان کلمه«أحد»مشتقه من واحد کما قالوا،إلاّ أنها أبلغ دلاله علی معنی الوحدانیه،و انه سبحانه لا نظیر له و لا شریک،و لا أعضاء فیه و لا أجزاء، لا فی الواقع و لا فی العقل و الوهم سبحانه،و لیس معنی الأحد و الواحد أنه ثانی اثنین،أو أنه نوع من الأنواع،کلا..إنه الواحد بلا عدد،الأحد بلا مثل و لا شبه.

هکذا

جاء فی حدیث مأثور عن الامام أمیر المؤمنین-علیه السلام- عند ما سأله اعرابی فی یوم الجمل عن معنی واحد،فحمل الناس علی و قالوا:یا إعرابی! أما تری ما فیه أمیر المؤمنین من تقسّم القلب-أی تشتته-فقال أمیر المؤمنین:

«دعوه،فإن الذی یریده الاعرابی هو الذی نریده من القوم»(من توحید اللّه و معرفته حقّا المراد،من القوم اعداؤه)ثم قال:

«إن القول فی أن اللّه واحد علی اربعه أقسام:فوجهان منها لا یجوز ان علی اللّه-عزّ و جلّ-و وجهان یثبتان فیه،فأما اللذان لا یجوز ان علیه فقول القائل:

واحد یقصد به باب الاعداد،فهذا ما لا یجوز،لان ما لا ثانی له لا یدخل فی باب الاعداد،أما إنّه کفر من قال:انه ثالث ثلاثه،و قول القائل:هو واحد من الناس،یرید به النوع من الجنس،فهذا ما لا یجوز،لان تشبیه،و جل ربنا و تعالی عن ذلک،و اما الوجهان اللذان یثبتان فیه:فقول القائل:إنه عزّ و جلّ أحدیّ المعنی، یعنی به:انه لا ینقسم فی وجود،و لا عقل و لا وهم،کذلک ربنا عزّ و جلّ» (۱)

۱- ۱) المصدر/ص ۲۰۷

و هكـذا تشترك الكلمه بيننا و بين ربنا،فنقول:هـذا واحد من الناس، و نقول:اللّه واحد،و لكن هيهات ما بينهما التقاء،فأحديه ربنا ليست كخلقه.

إنها أحديه شامله،بينما خلقه متكثر متشابه،تعال نستمع فى توضيح هذه البصيره الى

حديث عن الامام أبى الحسن-عليه السلام- و هو يحدد التشابه المستحيل.

إنه فى المعانى لا فى الأسماء فانها مشتركه،قال:

«انما التشبيه فى المعانى،فأما فى الأسـماء فهى واحـده،و هى دلاله على المسـمّى،و ذلك أن الإنسان و إن قيل واحد فانه يخبر أنّه جثه واحـده و ليس بـاثنين، و الإنسان نفسه ليس بواحـد لان أعضاءه مختلفه،و ألوانه مختلفه،و من ألوانه مختلفه غير واحـد،و هو أجزاء مجزأه ليست بسـواء،دمه غير لحمه،و لحمه غير دمه،و عصـبه غير عروقه،و شـعره غير بشـره،و سواده غير بيـاضه،و كـذلك سائر جميع الخلق، فالإنسان واحـد فى الاسم و لا واحـد فى المعنى،و اللّه جل جلاله هو واحـد لا واحـد غيره،لا اختلاف فيه،و لا تفـاوت،و لا ـ زياده،و لا نقصان،فأما الإنسان المخلوق المصـنوع المؤلف من أجزاء مختلفه و جواهر شتى،غير أنه بالاجتماع شـيء واحد» (۱)و تتجلى أحديّه اللّه فى معرفه هيمنته الشامله على كل شيء،و انه الفعال لما يريد،و ان له العباده،و أنّ ما يعبد من دونه ليس بشيء.

امـا خرافـات الجـاهليه التى تزعم:ان هنـاك قوه اخرى مسـتقله غير قوه الخـالق فهى ناشـئه من الجهـل بـاللّه،و بأن خالق الكائنات يسـتحيل عليه العجز،و الحد، و القيد،فكيف يكون ربنا مثلا عاجزا عن التخلص من إبليس-حتى انه انما خلق الخلق حتى يتخلص من الطينه الخبيثه التى لا ـ زالت معه منـذ الأزل،و التى هى طينه إبليس؟!كلا..انه سـبحانه هو خالق إبليس،و مهيمن عليه،فلا يجوز لنا عقلا

۱- ۱) نور الثقلين/ج ۵ ص ۷۱۰.

عباده إبليس واحدا من إلهين.

و اسطوره النور و الظلمه،و أنهما إلهان قديمان،و ان الظلمه دخلت فی النور،أو ان النور دخلها و جاء هذا الخلق من تركيبها كما تقول المانويّه.انها هی الاخری ناشئه من الجهل بالله و بقدرته التی لا تحد و لا تقيد،و كيف يعجز رب يوصف بالقدره، و تتجلی قدرته فی هذه الكائنات العجيبه،كيف يعجز عن السيطره علی الظلام سبحانه؟!بل هو الذی جعل النور و الظلمات بقدرته؟ و هكذا الأساطير التی كانت وراء عباده غير اللّه،و التی دخلت فی الديانات السماويه أيضا مثل:الاعتقاد بأن للكائنات آلهه صغارا ولدها الإله الأكبر،هم بمثابه ابنائه و بناته سبحانه،بعضهم أقرب اليه من بعض،و أن علی الناس التقرب إليهم،و اقامه تماثيل لهم،و لتحل فيها أرواحهم،و هذه هی منشأ خرافه عباده الأصنام منذ كانت و الی عصرنا الحالی.

إن كل هذه الأساطير نشأت من الجهل بمقام الالوهيه و أن خالق السموات و الأرض،و ما فيهن و ما بينهن لن يكون عاجزا أو محدودا سبحانه! و انه لو كانت معه طينه أبديه لكانت تلك هی الاخری فی مقام الربوبيه، مقتدره عالمه،و لكن كيف تجتمع قدرتان مطلقتان متضادتان،لا تستطيع إحداهما القضاء علی الثانيه.

و بالتفكر فی صنع اللّه و عظيم قدرته تتلاشی هذه الأساطير الزائفه،و تتجلی للإنسان قدره اللّه غير المحدوده،التی تظهر فی خلقه و فی النظام الذی أجراه فی العالم، كما يظهر بوضوح أن هذا النظام و هذا الخلق ليسا بالالهين من دونه،يعبدان، كما فعلت الجاهليه الحديثه التی استسلمت و عبدت الماده و قوانينها،و هما من خلق

اللّه،و تتجلی بهما عظمته و قدرته سبحانه.

(۲)و من مظاهر الاحدیه،الصمدیه التی تشیر إلی حقائق شتی تجمعها بصیره واحده هی أن اللّه بلا أعضاء و أجزاء،و لا حالات تطرأ علیه سبحانه:

اَللّٰهُ الصَّمَدُ هکذا

فسر الامام الحسین بن علی-علیهما السلام-کلمه الصمد حین قال:

«الصمد:الذی لا جوف له،و الصمد:الذی قد انتهی سودده،و الصمد:

الذی لا یأکل و لا یشرب،و الصمد:الذی لا ینام،و الصمد:الدائم الذی لم یزل و لا یزال» (۱).

و

روی عن الامام الباقر-علیه السلام-انه قال: «کان محمد بن الحنفیه -رضی اللّه عنه-یقول:الصمد:القائم بنفسه،الغنی عن غیره» (۲).

و قد ذکر لکلمه الصمد زهاء عشرین معنی.إلاّ أن أمثلها الذی ترجع الیه سائرها:المصمت،الذی لا جوف له،و منه الصمود و الصامد،و لان السید العظیم یوصف بالشجاعه فإنه یسمی بالصمد لأنه لا یتزلزل.

و لان صفات الدوام و الاحدیه و القیمومه و ما أشبه ناشئه من صفه الصمد؛فانها ذکرت من معانی الصمد،کما

جاء فی حدیث مأثور عن الامام زین العابدین -علیه السلام- حینما سئل عن معنی الصمد فقال:«الذی لا شریک له، و لا یؤوده حفظ شیء،و لا یعزب عنه شیء» (۳).

۱- ۱) موسوعه بحار الأنوار/ج ۳ ص ۲۲۳.

۲- ۲) المصدر.

۳- ۳) المصدر.

و صفه الصمديه تتجلی أیضا فی أنه لم یلد و لم یولد،إذ ولادته دلیل إضافه جزء الیه لم یکن فیه،أو انفصال جزء منه کان فیه،و الصمد الذی لا أجزاء له،لا بتصور فیه زیاده(بالتولد)و لا نقیصه(بالایلاد).

من هنا

فسر الامام الحسین-علیه السلام-معنی الصمد فی السوره بالایه التالیه فقال: اَللّٰهُ أَحَدٌ، اللّٰهُ الصَّمَدُ ثم فسره فقال: لَمْ یَلِدْ وَ لَمْ یُولَدْ* وَ لَمْ یَکُنْ لَهُ کُفُواً أَحَدٌ لَمْ یَلِدْ لم یخرج منه شیء کثیف کالولد و سائر الأشیاء الکثیفه التی تخرج من المخلوقین،و لا شیء لطیف کالنفس و لا یتشعب منه البداوات (۱)کالسّنه و النوم،و الخطره و الهم،و الحزن و البهجه،و الضحک و البکاء،و الخوف و الرجاء،و الرغبه و السامه،و الجوع و الشبع،تعالی أن یخرج منه شیء،و أن یتولد منه شیء کثیف أو لطیف.

وَ لَمْ یُولَدْ لم یتولد من شیء و لم یخرج من شیء کما تخرج الأشیاء الکثیفه من عناصرها،کالشیء من الشیء،و الدابه من الدابه،و النبات من الأرض،و الماء من الینابیع،و الثمار من الأشجار،و لا کما تخرج الأشیاء اللّطیفه من مراکزها کالبصر من العین،و السمع من الاذن،و الشم من الأنف،و الذوق من الفم، و الکلام من اللسان،و المعرفه و التمییز من القلب،و کالنار من الحجر.

لا.بل هو اللّه الصمد،الذی لا من شیء،و لا فی شیء،و لا علی شیء، مبدع الأشیاء و خالقها،و منشئ الأشیاء بقدرته،یتلاشی ما خلق للفناء بمشیئته، و یبقی ما خلق للبقاء بعلمه.

فذلکم اللّه الصمد،الذی لم یلد و لم یولد،عالم الغیب و الشهاده،الکبیر المتعال،و لم یکن له کفوا أحد (۲).

۱- ۱) لعل معناها الطوارئ من الحالات المختلفه.

۲- ۲) المصدر/ص ۲۲۴.

و هكذا استوحى الامام الحسين-عليه السلام-من كلمه الصمد معان لطيفه فى التوحيد،و لو تدبرنا فى معنى الصمد اللغوى الذى قلنا:بأنه المصمت الذى لا جوف له عرفنا كيف أنها صفه يتمايز فيها الخلق عن الخالق،فلا شىء من الخلق إلاّ و هو مركّب من أجزاء فى الواقع،و فى العقل،و فى الوهم،و التصور إلاّ اللّه الذى جل عن تركيب الصفات فى اى أفق من تلك الافاق.

اننا حسب معلوماتنا المحدوده عن الجسم نعرف أن كل شىء مركّب من ذرأت صغيره،و أن فى هذه الذرات فراغات هائله،بحيث لو تصورنا طنّا من الخشب يقع فى مساحه عده أمتار مربعه،ثم افترضنا أننا أعدمنا الفراغات فى ذراتها لأصبحت فى حجم صغير لا يقاس مع حجمها السابق،و لكنها سوف تحتفظ بوزنها السابق أى الف كيلو غرام،و يدل على ذلك ان المواد الثقيله كاليورانيوم تحتوى على مثل ذرأت الخشب و القطن إلاّ أن هذه الفراغات تردم،فتثقل المعادن حتى أن ما مقدار عشرين سانتيمترا مكعبا من اليورانيوم يقدر وزنه بطن.و محدود أيضا بأنه ليس بنافذ فى كل أبعاد الشىء أ ليس كذلك؟ بينما رب العزه لا يزيد أو ينقص لأنه كامل،و لو افترضنا فيه نقصا إذا ما الفرق بينه و بين الكائنات التى خلقها،و إذا تساوى الخالق و المخلوق فلما ذا أساسا نبحث عن خالق؟أ ليس إنما هدانا العقل الى الخالق لما رأينا من النقص و الحاجه فى المخلوقين، و أظهر مصاديق النقص:التركيب و التأليف،و الزياده و النقصان.

فكيف نزعم وجود ذلك أيضا فى الخالق؟ من هنا

ذكر الامام الباقر-عليه السلام-معانى عديده استوحاها من كلمه الصمد ثم قال:«لو وجدت لعلمى الذى أتانى اللّه-عز و جل-حمله لنشرت التوحيد و الإسلام و الايمان و الدين و الشرائع من الصمد» (1).

ص:446

1- 1) المصدر/ص 225.

و نختم حديثنا عن الصمد

بروايه شريفه عن الامام على-عليه السلام-جمعت الكثير من معانى الصمد قال:

«تأويل الصمد:لا اسم و لا جسم،و لا مثل و لا شبه،و لا صوره و لا تمثال،لا حدّ و لا حدود،و لا موضع و لا مكان،و لا كيف و لا أين،و لا ـ هنا و لا ثمه،و لا ملاء و لا خلاء،و لا قيام و لا قعود،و لا سكون و لا حركه،و لا ظلمانى و لا نورانى، و لا روحانى و لا نفسانى،و لا يخلو منه موضع و لا يسعه موضع،و لا على لون و لا على خطر قلب،و لا على شم رائحه،منفى عنه هذه الأشياء» (۱).

(۳)حين عرفنا استحاله التركيب فى خالق السموات و الأرض،و اهتدينا الى استحاله تولد شىء منه،و كيف ينفصل عنه جزء و هو صمد لا يتصور فيه التأليف و التركيب و الاجزاء و الأعضاء؟! و إذا عرفنا أنه لم يلد،نعرف انه لم يولد،أليس الذى يلد ينقص منه شىء، و يحتاج الى تكميله بجزء يضاف اليه،و ربنا تعالى غنى عن الاضافه فكيف بالولاده من غيره؟! لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ لم يلد كما تلد الكائنات المخلوقه،الكثيفه منها و اللطيفه،و قد سبق توضيح ذلك آنفا فى حديث الامام الحسين عليه السلام.

و هذه الايه تنسف أسس الخرافات الجاهليه التى تمثلت و بصور شتى فى المذاهب و المبادئ المختلفه،فانما تأسست على تصور ولاده الكائنات من رحم خالقها سبحانه،فقال بعضهم:ان الخالق تأذى من طينه خبيثه ملازمه له فدخل

۱- ۱) المصدر/ص ۲۳۰.

فيها و تكونت من امتزاجها الخلائق؟و قال آخرون:بل ان إبليس(أو الظلمه) قفزت الى النور(أى اللّه فى ظنّهم)فأراد النور التخلص منها،فكان كمن دخل الوحل كلما أراد الخروج منها ارتطم فيها أكثر،فكانت الكائنات من تداخلهما.

و تطورت هذه الفلسفه عند البعض فقالوا:إن الخالق تنزل من عرشه فأصبح المخلوقات،و قال بعضهم:ان اللّه سبحانه فاض بوجوده فكانت الكائنات و هكذا رققوا العبارات و لكنهم لم يغيروا من جوهر النظريه شيئا.

ان كل هذه الفلسفات قائمه على أساس التولد،و التولد يقتضى تطورا فى ذات الشيء و هو يتنافى و تعاليه سبحانه.

و لا فرق إذا ان تكون الولاده كثيفه كما الثمر من الشجر أم لطيفه كولاده الفكر من القلب،أليس القلب يتطور حتى يفرز الفكر،كما ينفعل الشجر حتى يخرج الثمر؟كلا ان الخالق سبحانه قد أنشأ الكائنات من دون كيفيه و لا تعب و لا معالجه و لا تفاعلات فى ذاته أو تطورات سبحانه،و حين ينتفى التولد منه ينتفى تولده من غيره،لان ما لا ينقص لا يزيد،أو قل:لا يحتاج الى زياده.

و نفى الولاده بكل جوانبها و معانيها يضع المخلوق فى موقع العبوديه المطلقه و ينفى اضفاء اى نوع من القداسه الذاتيه على اى شيء أو شخص من خلق اللّه إلاّ قيم الوحى الناشئه من دين اللّه،و هكذا يتساوى الخلق امام الخالق،و أمام دين الخالق، و لا يجوز لأحد ان يتعالى على غيره بزعم أنه أقرب الى القدوس ذاتيا،و تبطل كل المذاهب العنصريه الظاهره منها و الخفيه.

(۴)و إذا اهتدينا إلى أن اللّه صمد لا جزء له،و لا تطور،و لا ولاده،فقد ارتفع الحجاب الأكبر الذى بيننا و بين اللّه،حجاب التشبيه الذى ينشأ من جهل الإنسان

و نقص مداركه.

فلا_ن الإنسـان لا_ يرى إلاّ_ نفسه و المخلوقـات،يقيس خـالقه بنفسه طورا، و بالكائنـات أطوارا.غافلا عن أن هـذا القياس يتنافى و الاعتقاد بالخالق أصلا.

أمـا إذا تـذكر الإنسـان هـذه الحقيقه فإن الشـبهات تنماث من ضـميره حتى يتطهر من أدرانها،و يتهيأ قلبه لاسـتقبال نور المعرفه.و يبـدو أن كلمـات الـذكر الاساسـيه تـذكرنا بهـذه الحقيقه،أو ليس التكـبير هو تعظيم اللّه من الوصف.«اللّه أكبر من أن يوصف»و التسبيح هو تقديسه عما يخطر ببال البشر.من نقص و عجز،و شبه و نظير، و كذلك التهليل:نفى الشريك له،و هكذا يقول ربنا فى ختام سوره الإخلاص:

وَ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَـدٌ فاذا أردت معرفته أسـقط عن نفسك حجاب قياسه بخلقه،و تسامى عن دائره المخلوق الى أفق الخالق،و من محيط الشهاده إلى أفق الغيب،و من البحث عن الذات الى تلقّى نور الأسماء.

و نفى المثيل و النظير نفى لكل صفه عجز و حدّ و نقص فى الخالق،كما

قال الامام أمير المؤمنين-عليه السلام- عند ما سأله بعضهم عن معانى سوره الإخلاص قال:

«قل هو اللّه أحـد بلا تأويل عـدد،الصـمد بلا تبعيض بدد،لم يلد فيكون موروثا هالكا،و لم يولد فيكون إلها مشاركا،و لم يكن له من خلقه كفوا أحد» (۱).

و

قال-عليه السلام- و هو يصف ربه لمن سأله عن ذلك و قال اين المعبود فأجابه عليه السلام:

«لا يقال له:أين؟لانّه أيّن الاينيه،و لا يقال له:كيف؟لأنه كيّف

۱- ۱) مجمع البيان/ج ۱۰ ص ۵۶۶.

الکیفیه،و لاـ یقـال له:مـا هو؟لأـنه خلق الماهیّه،سـبحانه من عظیم تاهت الفطن فی تیّار أمواج عظمته،و حصـرت الألباب عن ذکر أزلیته،و تحیرت العقول فی أفلاک ملکوته» (۱).

و

قال علیه السـلام «اتقوا ان تمثلوا بالرب الذی لا مثل له،أو تشـبهوه من خلقه،أو تلقوا علیه الأوهام،أو تعملوا فیه الفکر،و تضربوا له الأمثال،أو تنعتوه بنعوت المخلوقین،فان لمن فعل ذلک نارا» (۲).

۱- ۱) موسوعه بحار الأنوار/ج ۳ ص ۲۹۸.

۲- ۲) المصدر.

سوره الفلق

اشاره

ص:۴۵۱

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

فضل السوره

-١

فى كتاب ثواب الأعمال عن أبى جعفر عليه السلام قال: «من أوتر بالمعوّذتين، و قل هو اللّه أحد،قيل له:يا عبد اللّه!أبشر،فقد قبل اللّه و تركك».

تفسير نور الثقلين/ج ۵ ص ۷۲۴

ص:۴۵۳

الإطار العام

عند ما تتزاحم الوساوس و المخاوف على فؤاد الإنسان،و يحتاج الى جرعه شجاعه،و ومضه عزيمه،هنالك يقرأ سوره الفلق،لتشيع بصائرها روح السكينه فى روعه،و نور العزيمه فى قلبه،ليستعيذ عبرها باللّه خالق كل شىء من شر كل ذى شر،و من شر طارق الليل حين يقتحم،و نافثه العقد حين تبث الفساد و الشر بكلماتها المسمومه،و أفكارها السلبيه،و سهام سحرها،و عينها الناضله.و أخيرا من شر الحسد حين يعتمل فى فكر الحاسد.

ص:۴۵۴

[سوره الفلق (۱۱۳): الآیات ۱ الی ۵]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ . قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ اَلْفَلَقِ (۱) مِنْ شَرِّ مٰا خَلَقَ (۲) وَ مِنْ شَرِّ غٰاسِقٍ إِذٰا وَقَبَ (۳) وَ مِنْ شَرِّ اَلنَّفّٰاثٰاتِ فِی اَلْعُقَدِ (۴) وَ مِنْ شَرِّ حٰاسِدٍ إِذٰا حَسَدَ (۵)

ص:۴۵۵

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ

بينات من الآيات:

(١)كلمات نطلقها و نتعامل معها و لكنها تبقى غامضه لو لم نتخيل معانيها الخارجيه و مصاديقها الواقعيه،أ ليست العبارات جسور المعانى،و الكلمات إشارات الى الحقائق،و كلمه الاستعاذه واحده منها،فمتى يستعيذ الإنسان بشىء؟عند ما يفقد ثقته بنفسه فى مواجهه خطر داهم،و يظن أنّ ما يستعيذ به قادر على ان ينجيه مما هو فيه،فيلجأ اليه كمن يلجأ الذى يطارده الوحش الى كهف أو حصن منيع.

و قد تكون الاخطار التى يخشى منها الناس مجرد أوهام و ظنون و وساوس شيطانيه،و قد دفعت الحاجه البشر الى التعوذ بالجن و السحر و الأصنام،و كان عليهم الاستعاذه باللّه الخالق كل شىء.

و هكذا امر اللّه بأن نستعيذ باللّه وحده،نرفض الالتجاء بالأنداد و الشركاء،

ص:۴۵۶

و نعلن ذلک صراحه،و قال:

قل إذا کنتم أیها الکافرون تستعیذون بالناس و بالأنداد،بالسحره و الکهنه و الجن و ما أشبه،فاننی أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ و نتساءل اولا:ما هی مفردات الاستعاذه و شروطها؟ثانیا:ما هو الفلق؟ الاستعاذه حاله نفسیه،قوامها الخشیه من الخطر،و الثقه بمن یستعاذ به،و هی الی ذلک ممارسه عملیه بابتغاء مرضاه من نستعیذ به،و هی-فوق ذلک-الثقه بأنه وحده القادر علی درء الخطر،و إنقاذ الإنسان.

اما الفلق فقد اختلفوا فیه اختلافا کبیرا،فمن قائل:انه بئر فی جهنم تحترق جهنم بناره.-أعوذ باللّه منه-الی قائل:بأنه الصبح،أو ما اطمأن من الأرض، أو الجبال و الصخور و لکن القول الأمثل هو القول الاشمل الذی یقول:ان الفلق هو کل ما خلق اللّه،لان اللّه یقول: أَ وَ لَمْ یَرَ الَّذِینَ کَفَرُوا أَنَّ السَّمٰاوٰاتِ وَ الْأَرْضَ کٰانَتٰا رَتْقاً فَفَتَقْنٰاهُمٰا (۱)و رب الفلق:هو الذی فلق الحبه،و فلق الصباح،و فلق الجبال بأنهر،و فلق السموات و الأرض و کل شیء.

(۲)هل ما خلق اللّه خیر مطلق أم شر مطلق،أم فی کل شیء نسبه من هذا و ذاک؟

۱- ۱) الأنبیاء ۳۰/

قال بعضـهم:كيف يخلق اللّه شـرا و هو سبحانه خير واسع؟! و قال آخرون:الوجود حاله غضب إلهى فهو شرّ مطلق! و كلا القولين هراء، يخالف وجداننا و فطرتنا.

صحيـح أن اللّه سـبحانه خلق الكائنات برحمته و خلق البشـر ليرحمه،و لكن المخلوق يبقى ذاته عدما و عجزا و نقصا،و من ذلك العجز تعزيز السـلبيات،و لكن يبقى فيه جـانب الخير،حيث تتعلق به تجليـات الرب و عطـاءه يبقى غالبا جانب الشـر،لان رحمه اللّه أوسع من غضبه،و فضله أعظم من عدله سبحانه.

و قد زود اللّه كل حى بما يجعله يختار جانب الخير،و يحاذر جانب الشـر من نفسه و من الخلق المحيط به،و الإنسان بدوره مزود بالوحى و العقل و الغريزه لكى يتجنب الشر،و الاستعاذه باللّه صوره من صور الحذر من الشرور.

مِنْ شَـرِّ مٰا خَلَقَ و لا ريب أن تنفيذ واجبات الشـريعه أحد أهمّ و أبرز صور الفرار من الشـر،لأنها تهدينا الى سبل السلام و وسائل النجاه.

(۳)الليـل يهبـط بظلامـه و وسـواسه و طـوارقه،و يتحرك فى جنحه الهـوام و بعض الوحـوش،و ينشـط المجرمـون و الكائـدون،و يسـتولى المرض و الهم على البعض، و تشـتد الغرائز و الشهوات فى غيبه من الرقابه الاجتماعيه،و يحتاج الإنسان إلى مضاء عزيمه و ثقه،حتى يتغلب عليه و على أخطاره،و هكذا يستعيذ باللّه منه.

وَ مِنْ شَرِّ غٰاسِقٍ إِذٰا وَقَبَ قالوا:الغسق:شدّه الظلام،و الغاسق:هو الليل أو من يتحرك فى جوفه،

و الوقب:الدخول.

و قال بعضهم:الليل غاسق لأنه أبرد من النهار،و لان فى الليل تخرج السباع من آجامها،و الهوام من أماكنها،و ينبعث أهل الشر على العبث و الفساد.

(۴)هل للسحر حقيقه و ما حقيقته؟يبدو أن للسحر حقيقه،و أن حقيقته غير معروفه تماما بالرغم من عوامل مختلفه تتداخل فيه مثلا بعض القوانين الطبيعيه غير المعروفه للناس،قد يكون وسيله السحر تماما،كالزئبق الذى وضعه سحره فرعون فيما يشبه الحبال فتحركت بحراره الشمس،و قد تكون حقيقته قوه الروح عند الساحر،أو استخدامه للأرواح الشريره،و أنى كان فان الاستسلام للسحر و لتأثيراته لا يجوز،بل ينبغى تحدّيه بالتوكل على اللّه و الاستعاذه منه.

وَ مِنْ شَرِّ النَّفّاثاتِ فِي الْعُقَدِ قديما كانت العجائز يمتهنّ السحر،و يخدعن الناس و بالذات النساء،و كانت هذه الحاله تبعث الخشيه فى نفوس الكثير مما اقتضى الاستعاذه باللّه منهن.

و قد قال بعض المفسرين:ان المراد بالنفّاثات فى العقد:اللاتى ينفثن بأفكارهن السلبيه فى عقد العزيمه للرجال.

إلاّ أن أكثر المفسرين رأوا ان المراد بها الساحرات،و هذا قريب من سبب النزول المذكور لهذه السوره،على أن ما ورد من روايات فى ذلك غير مؤكده،لأنها تخالف نزول السوره فى مكه،كما انها تخالف عصمه الرسول،و أنه بريء من السحر.

(۵)قد تكون للأخطار التى تتوجه إلى الإنسان أسباب معقوله لو تنبه لها استطاع أن يتجنبها،الا الحسد فإن سببه حاله فى نفس صاحبه،و من الصعب تجنبه

ص:۴۵۹

فی الوقت الذی یشکل سببا رئیسیا لمشاکل الإنسان و للاخطار التی تحدق به، و لکن هل یعنی ذلک التراجع عن العمل و عن الانتفاع بنعم اللّه و التقدم و الرقی لمجرد أن هناک من یحسدنی.کلا..بل ینبغی الاستعاذه باللّه سبحانه و تعالی من الحاسد و بالذات عند ما یحسد.

وَ مِنْ شَرِّ حاسِدٍ إِذا حَسَدَ فقد یصرف اللّه الحاسد عن تحویل حسده الی عمل عدائی،لان الحسد مرفوع عن الإنسان إن لم یظهره بقول أو بفعل و لا یخلو الإنسان من حسد،إلاّ أن أغلب الناس ینصرفون عن الحسد الی الغبطه و التنافس لما یعلمونه من ضرر الحسد علی أنفسهم قبل من یحسدون،حتی قیل:

«ما رأیت ظالما أشبه بالمظلوم من الحاسد» (۱)و

قد روی عن النبی-صلّی اللّه علیه و آله-: «إذا حسدت فلا تبغ» (۲)و الحسد کان سبب رفض إبلیس السجود لادم،کما أنه کان سبب أول جریمه وقعت علی الأرض إذ قتل قابیل أخاه هابیل حسدا.

نستعیذ اللّه من شره و شر من یحمله.

۱- ۱) و هو مضمون روایه.

۲- ۲) القرطبی/ج ۲۰ ص ۲۵۹

سوره النّاس

اشاره

ص:۴۶۱

الإطار العام

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم ذكرتنا سوره الفلق كيف نستعيذ باللّه من شر الخلق،و تذكرنا هذه السوره الكريمه التى يختم بها القرآن الكريم كيف نستعيذ باللّه من الضلاله.

فالشر-فى الاولى-شر مادى فيما يبدو،و الشر هنا معنوى،يؤدى الى ألوان من الشر فى الدنيا و الاخره،ذلك الخطر يتمثل فى الوسواس الخناس،الذى يفقد الإنسان عزيمته و حكمته،و الذى قد يكون نابعا من الجن و الشيطان،الذى يجرى فى ابن آدم مجرى الدم،أو من الناس الذين يتأثرون بالقاءات الشيطان.

ص:۴۶۳

[سوره الناس (۱۱۴): الآیات ۱ الی ۶]

اشاره

بِسْمِ اَللّٰهِ اَلرَّحْمٰنِ اَلرَّحِیمِ . قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ اَلنّٰاسِ (۱) مَلِکِ اَلنّٰاسِ (۲) إِلٰهِ اَلنّٰاسِ (۳) مِنْ شَرِّ اَلْوَسْوٰاسِ اَلْخَنّٰاسِ (۴) اَلَّذِی یُوَسْوِسُ
فِی صُدُورِ اَلنّٰاسِ (۵) مِنَ اَلْجِنَّهِ وَ اَلنّٰاسِ (۶)

ص:۴۶۵

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النّاسِ

بينات من الآيات:

(١)لكى يدرأ الإنسان الخطر العظم الذى يهدده خطر وساوس الشيطان الجنى أو الانسى،لا بد ان يعقد عزماته و ان يتحدى سلطان الشيطان،فيصرح علنا بأنه مخالف له،هكذا أمرنا الرب بأن نقول ذلك قولا:

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النّاسِ و الاستعاذه كما سبق حاله نفسيه تنبعث من الاحساس بالحاجه من جهه، و الثقه بمن يستعاذ به من جهه ثانيه،و حينما تكون الاستعاذه باللّه الذى خلق الناس طورا بعد طور،و شملهم برعايته و رباهم فان ذلك يعنى أمرين:

أولا:لان اللّه ربى أنا الذى أستعيذ به فهو أولى بالتوكل عليه،و الثقه به، أ ليس هو الذى خلقنى نطفه،ثم جعل النطفه علقه،و جعل العلقه مضغه...

و هكذا،أنشأنى خلقا بعد خلق،و حفظنى من الاخطار و الإضرار التى لن أحصيها

ص:۴۶۶

عددا،حتى جعلنى بشرا سويا،فهو الذى أستجير به الآن ليحفظنى من خطر الضلال؟ ثانيا:لان اللّه ربّ الذى أستعيذ منه،و مهيمن عليه و على أفعاله،فهو قادر على درء شره عنى.

(٢)و إذا كان الناس يجأرون إلى أصحاب القوه و الملك فان اللّه أعظم ملكا، و أوسع سلطه.دعنا نستعيذ به و نجأر اليه.

مَلِكِ النّٰاسِ و الملك هو صاحب السلطه الحاليه.

(٣)و حينما يصيب الناس الضرضل من يدعون سواه فإليه يألهون، و يتضرعون،و به يستغيثون.

إِلٰهِ النّٰاسِ فهو الذى ربّى و ملك،و اليه يجأر عند الخطوب أ فلا نستعيذ به؟! (۴)الاستعاذه باللّه من شر الأفكار الضاله،و الكلمات الموهنه للعزائم، و الإيحاءات المنحرفه.

مِنْ شَرِّ الْوَسْوٰاسِ الْخَنّٰاسِ قالوا:الوسوسه:حديث النفس،و أصله الهمس،و يقال لهمس الصائد و أصوات الحلى:وسواس،و يقال لالقاءات الشيطان فى النفس،و ايحاءاته وسوسه، لأنها تشبه حديث النفس،و قالوا:انما سمى الشيطان بالوسواس لأنه

صاحب وسوسه،و ربّما كان الوسواس بمعنى الموسوس أما«الخناس»فقالوا:انه من الخنوس،و هو بمعنى الاختفاء و منه قوله سبحانه: فَلاٰ أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ سميت النجوم به لاختفائها بعد ظهورها،و لعل معنى الخنوس:التردد بين الظهور و الكمون،أو بين التقدم و التأخر،فالنجوم تظهر و تختفى،و لذلك قال بعضهم:

الخنوس بمعنى:الرجوع،و انشدوا:

و صاحب يمتعس امتعاسا يزداد إن حيّيته خناسا

و على هذا تكون تسميه الشيطان بالخنّاس،لأنه دائم التردد،كلما طردته عاد إليك،فاذا ذكرت اللّه اختفى،و إذا غفلت عاد،من هنا حكى عن ابن عباس انه قال فى تفسير الآيه وجهين:أحدهما:أنه الراجع بالوسوسه عن الهدى،الثانى:انه الخارج بالوسوسه من اليقين.

(۵)و يقوم الشيطان بإلقاءاته الضاله فى القلب،مركز العزم و اتخاذ القرار.

اَلَّذِی یُوَسْوِسُ فِی صُدُورِ النّٰاسِ و لا يترك أحدا إلاّ و ألقى فى صدره وساوسه لو لا اعتصامه باللّه دوما.

(۶)و الوسواس من الجن،و ذريه إبليس الذى لعنه اللّه و أبعده،و آلى على نفسه إغواء بنى آدم و تضليلهم،و قد يكون من الانس الذين أضلهم إبليس.

مِنَ الْجِنَّهِ وَ النّٰاسِ و روى عن أبى ذر-رضى اللّه عنه-انه قال لرجل:هل تعوذت باللّه من شياطين الانس،فقال:أو من الانس شياطين؟قال:نعم لقوله تعالى:

وَ کَذَلِکَ جَعَلْنَا لِکُلِّ نَبِیٍّ عَدُوًّا شَیَاطِینَ الْإِنْسِ وَ الْجِنِّ (۱)أ تـدری مـا هی الحکمه فی الاسـتعاذه التی أمرنـا بهـا عنـد تلاوه الکتـاب،حیث قـال ربنـا فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّیْطَانِ الرَّجِیمِ (۲)؟ أو تـدری مـا هی الحکمه فی أن ختـام القرآن الاسـتعاذه بـاللّه من شر الوسواس الخنـاس؟دعنـا للاجـابه نـذکر الحقائق التالیه:أولا:قلب الإنسان یتعرض لموجتین متقابلتین،فمن الیمین تتنزل علیه موجه رحمه إلهیّه،تتمثـل فی ملائکه اللّه،و من الیسار تعصف به موجه غضب و نقمه الشـیطان،تتمثل فی جنود إبلیس أبعده اللّه.

هکذا

روی عن الامـام الصـادق-علیه السـلام-،انه قـال: ما من مؤمن إلاّ و لقلبه أذنان فی جوفه:أذن ینفث فیها الوسواس الخناس،و أذن ینفث فیها الملک،فیؤید اللّه المؤمن بالملک،و ذلک قوله:« وَ أَیَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ » (۳)و

روی عن الامام الصادق-علیه السلام-أنه قال: «ما من قلب إلاّ و له أذنان،علی أحدهما ملک مرشد،و علی الاخر شیطان مفتر،هذا یـأمره و هـذا بزجره،و کـذلک من النـاس شـیطان یحمـل النـاس علی المعاصـی،کما یحمل الشـیطان من الجن» (۴) ثانیـا:و قلب الإنسـان بیت مظلم متهاوی،سـراجه العقل،و عماده الایمان، و نور العقل من نور اللّه،کما أن روح الایمان من ذکر اللّه،و إذا غفل القلب عن اللّه عاث الشیطان فیه فسادا.لماذا؟لان طبیعه الإنسان الاولیه هی الجهل

۱- ۱) الانعام/الایه ۱۱۲

۲- ۲) النحل/۹۸

۳- ۳) موسوعه بحار الأنوار/ج ۷۰ ص ۴۷

۴- ۴) نور الثقلین/ج ۵ ص ۷۲۵

و الضعف،أو لم يقل ربنا سبحانه: خُلِقَ الْإِنْسانُ مِنْ عَجَلٍ و قال: اَللّهُ الَّذِی خَلَقَکُمْ مِنْ ضَعْفٍ و قال: إِنَّ الْإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً* إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً* وَ إِذا مَسَّهُ الْخَیْرُ مَنُوعاً و قال: وَ اللّهُ أَخْرَجَکُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِکُمْ لا تَعْلَمُونَ شَیْئاً .

أ و لیس بنوا آدم من تراب و طبیعه التراب العجز و الضعف،و الجهل و الغفله.

فإن لم یتصل القلب بنور اللّه لحظه بلحظه کیف یبصر الحقائق،و قد قال ربنا وَ مَنْ لَمْ یَجْعَلِ اللّهُ لَهُ نُوراً فَما لَهُ مِنْ نُورٍ .

و ما لم یستمد العزیمه من اللّه بروح الایمان أنّی له تجاوز ضعفه و عجزه،و تحدی الشهوات و الضغوط.

ثالثا:من هنا یجأر المؤمنون الی ربهم الاّ یترکهم و شأنهم لحظه و یقولون:

ربنا لا تکلنا الی أنفسنا طرفه عین أبدا لان فی تلک اللحظه الخاطفه قد تقع الواقعه،ألم یترک اللّه نبیه یونس بن متی و شأنه ساعه،فدعا علی قومه،و ابتلی بالسجن فی بطن الحوت.

و أظن أن ما صدر من الأنبیاء من ترک الاولی إنما کان فی اللحظات التی أوکلهم اللّه إلی أنفسهم،فغفلوا و نسوا،و سمی اللّه ما صدر منهم عصیانا،ثم تاب علیهم لکی لا یزعم أحد أنهم آلهه،و لکی یزدادوا یقینا و اطمئنانا.

و هکذا

روی عن النبی-صلّی اللّه علیه و آله-: «ان الشیطان واضع خطمه (۱)علی قلب ابن آدم،فاذا ذکر اللّه خنس،و إذا نسی التقم،فذلک

ص:۴۷۰

۱- ۱) الخطم:أنف الإنسان،مقدم أنف الدابه.

الوسواس الخناس» (۱).

و هکذا ندب الإسلام مداومه الذکر فقال ربنا سبحانه: وَ اذْکُرُوا اللّهَ کَثِیراً لَعَلَّکُمْ تُفْلِحُونَ (۲)و قال تعالی: وَ اذْکُرْ رَبَّکَ کَثِیراً وَ سَبِّحْ بِالْعَشِیِّ وَ الْإِبْکارِ (۳)و

جاء فی الحدیث:عن الامام الصادق-علیه السلام-: «ما ابتلی المؤمن بشیء أشد علیه من خصال ثلاث یحرمها قیل:و ما هن؟قال:المواساه فی ذات اللّه،و الإنصاف من نفسه،و ذکر اللّه کثیرا،أما و إنی لا أقول لکم:سبحان اللّه، و الحمد للّه،و لا إله إلا اللّه،و اللّه أکبر،و لکن ذکر اللّه عند ما أحل له.و ذکر اللّه عند ما حرم علیه» (۴)و

اعتبر الامام الباقر-علیه السلام-ذکر اللّه صلاه:فقال:لا یزال المؤمن فی صلاه ما کان فی ذکر اللّه قائما کان أو جالسا أو مضطجعا،ان اللّه تعالی یقول:« اَلَّذِینَ یَذْکُرُونَ اللّهَ قِیاماً وَ قُعُوداً وَ عَلی جُنُوبِهِمْ وَ یَتَفَکَّرُونَ فِی خَلْقِ السَّماواتِ وَ الْأَرْضِ رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلاً سُبْحانَکَ فَقِنا عَذابَ النّارِ » (۵)و

روی عن النبی-صلّی اللّه علیه و آله-انه قال: «قال اللّه سبحانه:إذا علمت أن الغالب علی عبدی الاشتغال بی نقلت شهوته فی مسألتی و مناجاتی، فإذا کان عبدی کذلک فأراد أن یسهو حلت بینه و بین أن یسهو،أولئک اولیائی حقا،أولئک الابطال حقّا،أولئک الذین إذا أردت ان أهلک الأرض عقوبه

۱- ۱) نور الثقلین/ج ۵ ص ۷۲۴

۲- ۲) الجمعه/۱۰

۳- ۳) آل عمران/۴۱.

۴- ۴) موسوعه بحار الأنوار/ج ۹۳ ص ۱۵۱

۵- ۵) المصدر/ص ۱۵۳

زويتها عنهم من أجل أولئك الابطال» (۱)بلی.و لکن إذا ترک المؤمن ذکر اللّه فانه لیس یتعرض فقط لغوایه الشیطان و السقوط فی أشراکه،بل و أیضا قد یتعرض لاخطار مادیه.کذلک

جاء فی الحدیث المأثور عن الامام الصادق-علیه السلام-: «یموت المؤمن غرقا،و یموت بالهدم، و یبتلی بالسبع،و یموت بالصاعقه و لا یصیب ذاکرا للّه»و فی روایه اخری:

«لا یصیبه و هو یذکر اللّه» (۲)رابعا:و تذکر اللّه و سلطانه و قوته و رحمته،و التوکل و الاستعاذه بقوته و بتأییده لعباده،و وعی أسمائه الحسنی کل ذلک یقطع سیاق الاسترسال مع وساوس النفس،و همزات الشیطان،فتکون قرارات الإنسان خاضعه لمحاکمه عقله و مقاییس فطرته،دون اهوائه و تمنیاته.

إن أغلب الناس یتخذون قراراتهم بلا وعی منهم لأسبابها،حیث تنضج القرارات فیما سمی بالعقل الباطن،ثم یبرّرونها لأنفسهم بشتی التبریرات،بینما المؤمن یمرر قراراته علی منظار عقله،فیمحصها تمحیصا دقیقا،کل ذلک بفضل ذکر اللّه الذی یزید من یقظه الذات،و توهج العقل،و استناره الفطره.

خامسا:و من أبرز فوائد الاستعاذه باللّه تجنب تفسیر کتاب اللّه و نصوص الشریعه حسب الهوی و الرأی مما یسبب فی تبدیل کلمات اللّه عن مواضعها.

إن أکثر الناس یتخذون مواقف مسبقه من القرآن،فتری الشیطان یوسوس فی صدورهم،فیقول لهم مثلا:الآیه هذه تعنی أعدائک،و تلک الآیه نزلت أساسا فی

۱- ۱) المصدر/ص ۱۶۲

۲- ۲) المصدر

الغابرين،أو أنها تخص الفئه الكذائيه،المهم أنه يبعدك عن دائره تطبيق الايه،فلا يدعك تنتفع بها.

و ربما أمرنا بالاستعاذه من الشيطان قبل تلاوه الذكر،و جاءت السوره الاخيره من القرآن تأمرنا بالاستعاذه منه لكى لا نفسر اياته بالرأى،و لا نؤولها تأويلا خاطئا،و لا نتبع ما تشابه منها ابتغاء الفتنه،و نترك المحكمات.

سادسا:كيف نستعيذ باللّه من وساوس الشيطان؟ الف:بالتزود ببصائر الوحى فى المعرفه،و مناهج الدين فى العلم و التعلم و هى كثير و مبثوثه فى النصوص المختلفه.

باء:باستقبال المواعظ من أهلها،و ذلك بمعاشره العلماء الربانيين،و الدعاه المجاهدين،و عباد اللّه الصالحين.

جيم:بتجنب دعايات أهل الضلال،و مقاطعه مجالسهم و كتبهم و اعلامهم، فان من عرّض نفسه للانحراف بالاستماع إلى ابواق الشيطان ثم انحرف و ضل فلا يلومن إلاّ نفسه.

دال:بالتفكر المستمر فى أمور الدين،و التدبر فى كتاب اللّه،و التحرى عن الخط السليم،و عدم الاستعجال فى الحكم على شىء.

هاء:و أهم من كل ذلك بالدعاء الى اللّه أن يهديه الى الصراط المستقيم،و الا يكله الى نفسه لحظه.

و هذا ما ندعو اللّه به فى خاتمه تفسيرنا لهذه السوره الكريمه،و نسأل اللّه ان يتقبل من عبده العاصى هذا اليسير من الجهد،و أن يجعله ذخرا له ليوم فاقته،و ان يغفر له

ص:۴۷۳

تقصیره فی أداء حق کتابه،و أن یجعل القرآن و العتره شفیعا له یوم القیامه.انه سمیع الدعاء،و الحمد للّه رب العالمین.

طهران /۹ذی القعده الحرام ۱۴۰۹ ه محمد تقی المدرسی

ص:۴۷۴

خاتمه الکتاب

اشاره

ص:۴۷۵

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد للّه حمدا يسعد به الحامدون،و يسمو به المؤمنون،حمدا كثيرا كما هو أهله و مستحقّه،حمدا يوازى حمد ملائكته المقرّبين،و أنبيائه المرسلين،و عباده الصّالحين،حمدا من نشأه الخلائق إلى بقاء الخالق.و صلّى اللّه على البشير النذير، و السراج المنير،الذى ابتعثه للعالمين رحمه،و للمتقين هدى،و للمحرومين كهفا و ملاذا،و للمذنبين شفيعا و أملا،محمد سيّد المرسلين و على آل بيته الدعاه إلى اللّه،الأمناء على رسالاته،المخلصين فى طاعته،سادات المجاهدين،و قاده الصالحين،و أئمه المسلمين.

و السلام على عباد اللّه الصّالحين.

(۱) فى الأسبوع الأخير من شهر ربيع الثانى من عام ۱۴۰۱ ه و فى خضمّ المشاكل السياسيه التى كنت أعيشها صدمتنى وفاه زوجتى الفجائيه،و مضت المصيبه كصعقه

ص:۴۷۷

کهربائیه فی کیانی..و بدأت أتساءل:إذا کانت مطیّه الإنسان إلی العالم الاخر جاهزه أبدا،و قد تحمله إلیه فی أیّه لحظه و دون سابق إنذار فی رحله أبدیّه لا رجعه فیها،فلما ذا الغفله؟ (۱)و إذا کانت زوجتی التی کانت تقاربنی سنّا،و لم تکن تشکو من مرض سابق تموت بهذه الطریقه الغریبه،فلما ذا لا أفترض ذلک لنفسی؟ و أثّر ذلک بصوره مباشره فی شحذ عزیمتی لانهاء التفسیر..قبل أن یفاجئنی الموت.

فی ذلک التاریخ کنت قد بلغت الجزء و قد قرّرت حین بدأت به أن أکتب کلّ یوم عدّه صفحات من التفسیر دون أن أخطّط لانهائه،و أساسا لم أکن أحلم-یوم شرعت فیه-بأنّی قادر علی إنهائه،بسبب ظروفی التی حفلت بالعدید من المسؤولیات المتنوّعه.

عند بدایه التفسیر کنت فی الکویت،و کما ذکرت فی مقدّمه الجزء الاول کنت أستریح إلی بیت من بیوت الرحمن فی منطقه(بنید القار)لبعض الوقت،و أحاول أن أختفی خلالها من المراجعات الروتینیه حتی أتفرّغ للکتابه،و ربما کنت أسبّب بعض الضیق لاخوانی الذین لم یعرفوا السبب،و فعلا کنت أحرج عند ما یسألنی بعضهم عن ذلک،و لکن ذلک کان الوسیله الوحیده للاستمرار فی التفسیر.

و یشهد اللّه أنّها کانت ساعات شیّقه تلک التی أجدنی تلمیذا صغیرا فی مدرسه القرآن العظیم،و کنت أسعی لاستنطاق کلّ آیه،و کلّ کلمه من آیه،و ربما کلّ حرف فی آیاته الوضیئه،ثم أسجّل بعض ما یمکن تسجیله..بینما أکثر ما فی القرآن کان أسمی من التسجیل،و هل کلمات مثلی قادره علی الاحاطه برفرفه الروح، و تموّج النور،و انسیاب الجمال الالهی من خلال آیات الذکر الحکیم.

کانت وصیه أحد الکتّاب الکبار نصب عینی عند ما أستمرّ فی الکتابه،حیث أوصی بالتوقّف عنها عند الاحساس بالتعب،و لذلک أصبحت مشکلتی بعد صدمه

ص:۴۷۸

۱- ۱) راجع الهامش فی صفحه ۴۸۸

الوفاه مزدوجه،فمن جهه كنت أريد إكمال التفسير،و من جهه لا أستطيع التسرّع فيه تطبيقا لتلك الوصيه،و بالذات لانّ منهجى كان قائما على التدبّر المباشر فى آيات الذكر قبل مراجعه التفاسير ثم البحث عن صلتها بالواقع،ممّا يستدعى صفاء الذهن و فراغ البال،ممّا كان يتناقض و ظروفى العامه..فاتجهت نيّتى نحو إلقاء المحاضرات فى التفسير فى محاوله لاستباق الأجل،و ربما كنت فى اليوم الواحد ألقى ثلاثه دروس ليقوم الاخوه بإعاده صياغتها و إعدادها للطبع.

و قد كنت يومئذ ألقى محاضرات فى التفسير كلّ يوم تقريبا فى القسم العربى من إذاعه الجمهوريه الاسلاميه فى إيران،و فكّرت فى نفسى أنّنى سوف أحقّق هدفين برميه واحده:إنشاء مكتبه صوتيه فى كامل تفسير القرآن،و التسريع فى تكميل مشروع التفسير،و قد حقّقنا بحول اللّه و قوّته الهدف الاول،حيث استقرّت محاضرات التفسير فى خمسمائه شريط كاسيت،و لكنّ الهدف الثانى لم يتحقّق بتلك الصوره التى حلمت بها..و كان لذلك قصه أخرى.

(٢) منذ بدايه توجّهى إلى التفسير لاحظت فراغا فيه من بعدين هامّين:

الاوّل:اتّساع الفجوه بين التفاسير المكتوبه و بين الواقع المعاش للأمّه، حيث كان هدف أغلب المفسرين إلاّ نادرا توضيح كلمات القرآن،و ليس تطبيقها على حقائق الزمان،و لذلك لم يهتمّوا أكثر بتأويل القرآن و تنوير الواقع بضيائه،بينما الهدف الأسمى للآيات إنما هو تذكير الإنسان باللّه و اليوم الاخر ثم تبصيره نفسه و واقعه ليعيش بصوره أنبل و أفضل،و لعلّ الظروف السياسيّه لاغلب المفسرين و انغلاق بيئتهم الاجتماعيه كانت تمنعهم من ذلك.

و قد حاولت أن أعالج الفراغ بقدر محدود من خلال التفسير و المحاضرات.

ص:٤٧٩

الثانی:وجود فجوه بین التفاسیر و الأحادیث المأثوره عن النبیّ و أهل البیت -علیهم السلام-اللهمّ إلاّ تلک التی تهتمّ بصوره مباشره بتفسیر آیه کریمه،علما بأنّ کلّ أحادیث الرسول و أهل بیته فی الواقع تفسیر للقرآن،فلیست سوی انعکاس نور الوحی علی أفئدتهم،فلا بدّ إذا أن نبحث عن منهج جدید لتوصیل التفسیر بهذا الرافد العظیم من الروایات الشریفه،و لکن کیف؟ إنّما بإلغاء قید اللفظ منها و التوجّه إلی المعانی،فعند ما نستوحی من آیه کریمه حقیقه نبحث فی النصوص عمّا یتّصل بها من بصائر توضیحیه فنثبتها فی تفسیر تلک الایه لتتکامل المعنی..مثلا عند ما نبحث عن آیه کریمه تبصّرنا بدور العلم و العلماء نثبت فی توضیحها و تفسیرها نصوصا مأثوره حول العلم،بغضّ النظر عن ورودها حول تلک الایه أم لا،لانّها بالتالی تفسیر للآیه سواء ذکرت فیها الایه أم لا..

و بالذات الادعیه المأثوره التی هی بحقّ کنوز المعارف الاسلامیه،و هی بالتالی قبسات من نور الوحی تجلّت علی ألسنه ساده العرفاء المیامین النبیّ و أهل بیته الهداه علیهم السلام.أ فلا ینبغی أن نستفید منها فی تفسیر آیات العرفان التی هی نصف القرآن أو تزید؟ کلّ ذلک دفعنی و الاخوه إلی تأسیس(دار الهدی)التی تعنی بهدف تألیف تفسیر موسّع یعتمد علی الأحادیث المأثوره بالمنهج الأنف ذکره(الاهتمام بالمعانی)، و الاسم الذی أفضّله لهذا التفسیر إن خرج إلی النور هو:(من بیّنات القرآن) لیکون تفصیلا لهذا التفسیر(من هدی القرآن).

و قد شقّت دار الهدی طریقها بین غابه من الأشواک،لانّنا کنّا بحاجه إلی تربیه بعض الاخوه علی استخراج النصوص من مختلف المصادر،و علی فهم عمیق للآیه المفسّره فی إطار تفسیرنا(من هدی القرآن)،و لصعوبه العمل،و قلّه

الامكانات،و أيضا قلّه الوقت الذى صرفناه على هذه المؤسسه الناشئه،فإنّ ثلاثه من بين حوالى خمسه عشر أخا دخلوها بقوا فيها و تقدّموا بها،و الحمد للّه.

و أنّى كان فقد مشينا معهم خطوات واسعه فى طريق التفسير الموسّع،حيث جمعنا بحول اللّه و قوّته موادّ تفسير سوره البقره و آل عمران،و لعلّنا نوفّق لتكميل المسيره بعد الفراغ من هذا التفسير إنشاء اللّه.

بيد أنّ العمل توقّف فى دار الهدى فى هذا الاتجاه،حيث استقرّ الرأى إلى التفرّغ لمحاضرات التفسير التى كنّا قد أنهيناها فى عام ۱۴۰۲ ه،و لم نفلح بتشكيل جهاز لاعاده صياغتها،و لكن بما أنّ الاخوه فى«دار الهدى»كانوا قد تعوّدوا على أسلوب التوسّع عبر ذكر النصوص و مراجعه سائر التفاسير استفادوا من هذا المنهج عند ما اهتمّوا بالتفسير،فتغيّر الأسلوب بقدر أو بآخر.

كنت يومئذ قد أنهيت تفسير نصف القرآن تقريبا،و بالضبط إلى سوره النحل، فبدأ الأسلوب منذ تلك السوره يختلف،حيث اعتمدنا على المحاضرات ثمّ كانت تصاغ تلك المحاضرات ثم أطّلع عليها و أصحّحها من جديد..و كان فى هذا المنهج فائده التوسّع،حيث كان المعدّل فى تفسير النصف الاول صفحه لكلّ آيه فغدا المعدّل حوالى صفحتين لكلّ ايه،إلاّ أنّ ذلك كان ثمنه التباطئ حيث تعدّدت المراحل.. و هكذا جرى الأمر حتى بلغنا الخمس الأخير من القران فطوّرنا الأسلوب مره أخرى حيث كان أحد الاخوه يراجع كافّه التفاسير المشهوره و يكتب ملاحظات منها،و كنت بدورى أراجعها مع مراجعه بعض التفاسير،ثم ألقى محاضره مفصّله تصاغ بعد مراجعه لملخّص التفاسير،ثم أعيد النظر فيها لتأتى فى صيغتها النهائيّه.

و لا ريب أنّ هذا الأسلوب نفعنا كثيرا فى التمهيد للتأليف الجمعى،حيث أنّه

بـالرغم من كونى بالتـالى المسؤول عمّـا كتب فى كـلّ الاـجزاء إلاّـ أنّ للإـخوه مساهمات كبيره،خصوصا فى الخمس الأخير من القران.

و كـانت تمرّ سـنه بعـد أخرى و كنّا نحـدّد كلّ سـنه لتكون سـنه الحسم،إلاّ أنّ عقبات داخليه و خارجيه كانت تمنعنا،حتى بقيت ثلاثه أجزاء من القران لهـذا العام(۱۴۰۹ ه)الـذى وفّقنا اللّه لإكمال التفسـير فيه،و ما كدنا نفعل لو لا أنّى اسـتبقت الاخوه و خلال سفره قصـيره إلى بعض البلاد بـدأت بكتابه الجزء الأخير متجاوزا الأسـلوب السابق..و هكـذا كان هـذا الجزء كما الاجزاء الاولى بقلمى بصوره كامله.

(۳) من يبلـغ الخـامسه و الأـربعين سـنه تكون شـمس عمره قـد دلكت و زالت عن نصف النهـار،و لاـ ريب أنّ عنفوان حيـاته قد انتهى،و لا بد أن يحاسب نفسه حسابا عسيرا على ما مضى من أيّامه..و حين أنظر إلى الوراء أتساءل:ماذا فعلت؟لقد كانت السنين أسـرع مّمـا كنت أحتسب؛إنّها كنبته الربيع لا تكاد تزهر حتى تـذوى.إنّ عمر البسـيطه التى نحن عليها يتجاوز الاربعه ملايين عاما فما قيمه أربعين أو ثمانين سـنه بالنسـبه إليها؟و إذا كانت هـذه الفرصه تحدّد حياتنا الخالده فكم هى خساره من يضـيّعها باللهو و اللعب؟ نحن و الزمن فى سـباق عنيف و حـاسم،و الزمن يعصـرنا عصـرا حتى يخرج أخر قطره من ماء الحياه من كياننا..و انّنا لفى خسـران كبير لو لم نتحـدّ سـرعته! لقـد كنت أنتهز الفرص المتـاحه فى كتـابه التفسـير..لقد تابعت التأليف فى حوالى عشـره دول مختلفه؛كتبته و أنـا فى حالاـت صعبه..استشـهاد عزيز،أو وفـاه قريب،أو مرض مؤلم،و ربما كنت فى مطار أنتظر،أو كنت مسـتقلا طائره أو سيّاره أو قطارا،أو حتى متنزّها فى حديقه عامّه،حيث أذكر أنّى كنت جالسا فى بلد

غريب مشغولا بكتابه التفسير فى حديقه عامه إذ مرّبى أطفال كانوا فى رحله مدرسيه فلما رأونى التفّوا حولى ينظرون مستغربين،و لم أكن أعرف لغتهم الغريبه حتى أوضّح لهم عملى،حتى جاء بعض مرافقىّ و طلب منهم الابتعاد.على العموم:

كان المنظر غريبا بالنسبه إليهم،كما كان غريبا بالنسبه إلى جليسى فى طائره حلّقت بنا ساعات طويله و لم أتحدث إليه،حتى ملّ منى لانّى كنت أتابع كتاباتى..و مضيفى فى باريس كان يلحّ علىّ بالخروج من البيت للتفرّج على معالم تلك المدينه،لكنّى كنت أفضّل متابعه الكتابه إلاّ قليلا..و هكذا كان علىّ أن أدفع الثمن لو أردت متابعه التأليف،و الحكمه العربيه تقول:لكلّ شىء آفه و للعلم آفات،و على المتعلّم أن يتحدّى كلّ الآفات.

و مع كل ذلك أحسّ بأنّ العمر قد ضاع فى زحمه الآفات المتنوّعه، كالمشاغل الكاذبه،و الجلسات التافهه،و الفراغات التى لم أملاها بجدّيّه كافيه.إننّى أشعر أنّ اهتمامنا بأعظم مواهب اللّه علينا(العمر)أقلّ مّما كان ينبغى،لذلك نضيّعه فيما لا يغنى شيئا،و قد نقضيه فى اللهو و اللعب و لا نعرف قيمته حقّا إلاّ بعد أن نوقف للحساب و نسأل عن كلّ ساعه ساعه منه فيم أفنيناها.

و قد كان سرّ التوفيق الذى حالف علماءنا الكرام فأنجزوا تلك المشاريع العظيمه معرفتهم بقيمه الوقت،و جدّيتهم فى ألاّ يخسروا من عمرهم شيئا يحاسبون غدا عليه حسابا عسيرا.

حقّا:كانت لهم إنجازات رائعه نتضاءل أمامها،فكيف تسنّى للعلاّمه الحلّى-رضوان اللّه عليه-أن يؤلّف ألف كتاب مع أمور مرجعيّته و قيادته للمؤمنين؟فلو لا أنّه كان يتحدّى آفات العلم بإرادته الصلبه لما وفّق لمعشار ذلك! مثلا عند ما دعى إلى حفل زواج فى مدينه بعيده سافر إليها فى عطله نهايه الأسبوع

ص:۴۸۳

(الخميس و الجمعه)عاد بكتاب(تبصره المتعلّمين)الذی أوجز فيه الفقه الاسلامی كلّه،ضمّنه عشره آلاف فرع فقهی(قانون اسلامی)و لا يزال الكتاب يعتبر قمّه فی موضوعه،و قد تناوله كبار فقهاء المسلمين بالشرح و التعليق،و كان يعتبر من أهمّ البنود الدراسيه فی الحوزات العلميه إلی وقت قريب.

و إذا عرفنا مدی صعوبه السفر علی الدواب حيث كانت الوسيله الوحيده للسفر فی ذلك العهد،و بالذات إذا أراد الراكب أن يؤلفّ عليها و بأقلام مصنوعه من القصب،نعرف مدی الجهاد الذی كان قد مارسه عند كتابته هذا المؤلّف الكبير! و الشيخ الكبير صاحب كتاب(جواهر الكلام)الذی وفّقه اللّه لتأليف موسوعه فقهيّه تتسع لكلّ أبواب الفقه..بأدلّتها التفصيليه العمل الذی عزم عليه الكثير من الفقهاء الإسلام فلم يوفقوا..فلو لا تحديه للعقبات بإراده فولاذيه إذا ما استطاع متابعه ذلك العمل الجبّار..حتی قيل أنّه أثكل بابنه الشابّ فلم يترك ما قرّره علی نفسه من الكتابه كلّ يوم،بل انكبّ علی الدراسه و البحث،و لم يميّز أحد حتی اليوم تلك الصفحات التی ألفّها فی أيّام مصابه ممّا دلّ علی عدم حدوث تغيير فی مستوی تأليفه! و هكذا سار الفقهاء الذين عاش الواحد منهم أكبر من عمره الزمنی أضعافا مضاعفه ثم مضوا إلی ربّهم راضين مرضيين.إنّهم كانوا يعرفون قيمه كلّ ساعه بل كلّ لحظه من عمرهم،فما كانوا يستريحون حتی ينجزوا خلالها عملا صالحا ينفعهم يوم لا ينفع مال و لا بنون إلاّ من أتی اللّه بقلب سليم،ذلك اليوم الذی من ثقلت موازينه فهو فی عيشه راضيه،و من خفّت موازينه فأمّه هاويه! و اليوم حين ننظر إلی سلوك المسلمين كيف فقدوا وعی الزمن،و ضيّعوا فرص العمر،و غرقوا فی اللهو و اللعب،نتساءل:كيف يمكن إعاده المسلمين إلی مناهج

دینهم الحضاریه،حتی یتغلّبوا علی مشکله التخلّف و التبعیه التی هی أمّ المشاکل.؟ و هذا التساءل یشغلنی کثیرا،و قد قارنت بین منهج علمائنا السابقین القائم علی تفجیر الطاقات و استغلال الفرص و ضغط الزمن بأیّ طریقه ممکنه..و بین منهج علماء الغرب القائم علی العمل الجمعی و علی أساس تکاتف جهود کثیر من ذوی الاختصاص علی عمل واحد،و تساءلت کیف یمکننا التوفیق بینهما؟دعنا نضرب مثلا-بین المنهجین:العلاّمه الامینی کتب موسوعه(الغدیر)بجهده الشخصی و میزانیته الخاصه المحدوده،و الکتاب بحاجه إلی جهود العشرات من المحقّقین، بالاضافه إلی میزانیه کبیره،و المحدّث القمّی ألفّ(سفینه البحار)التی قال عنها أحد المستشرقین-حسبما سمعت-أنّه لا یمکن أن یکون جهد شخص واحد أبدا، و الشیخ آغا بزرک الطهرانی کتب موسوعه(الذریعه)بجهده الشخصی،و هی فهرست واسع لکلّ ما ألفّه علماء الشیعه عبر التاریخ و حتی الیوم.

إنّ هذه الأعمال الکبیره لیست سوی انعکاس لمنهج الإسلام فی التربیه القائم علی تحسیس الفرد بقیمه الزمن و قیمه الفعل عبره.

أمّا المنهج الغربی فإنّ الموسوعه الفرنسیه و الموسوعه البریطانیه تعتبران من إنجازات العمل الجمعی التی لا ریب أنّها کبیره و رائعه..و أخیرا أنجزت الموسوعه الصینیه التی ساهم فیها مائه ألف عالم.

إنّ المقارنه بین ذلک تجعلنا نکتشف مفارقه غریبه حیث ترانا-نحن المسلمین-قد ترکنا منهجنا القائم علی أساس الأعمال الفردیه الکبیره،و لم نتعلّم منهج الآخرین القائم علی العمل الجمعی،فصرنا کمن ضیّع المشیتین!و لو کنّا نتّبع فی تفجیر طاقاتنا الفردیه،و وعی الزمن،و السعی وراء إنجاز العمل الصالح لوجه اللّه،نتّبع فی ذلک منهج علمائنا الکرام،و فی ذات الوقت نستفید من المنهج

الغربى فى القيام بأعمال مشتركه، إذا لكنّا نسبق الآخرين.

و هذا هو المطلوب اليوم،و قد أنشأنا مؤسسه دار الهدى وفقا لهذه النظريه.

(۴) إلى وقت قريب لم يكن الذى يشتغل بتفسير القران أو كتابه التاريخ الاسلامى و ما أشبه محترما بمستوى الذى يتمّحض فى دراسه الفقه الاسلامى،بينما اليوم مع عوده الوعى إلى الامه نجد الكثير من المراجع و العلماء اهتمّوا بالقران،و قد كتب كثير منهم فى التفسير كتبا مفصّله،و هناك العديد من المؤسسات القرآنيه قد انشئت بأمر من العلماء أو تشجيع منهم،و هى بادره طيّبه تدعو إلى التفاؤل بمستقبل زاهر،لانّ القران هو الشافع المشفّع الذى من جعله أمامه قاده إلى الجنه،و من جعله خلفه ساقه إلى النار.

و لكن تبقى المسافه بيننا و بين واجبنا تجاه كتاب ربّنا شاسعه،و المقترحات التاليه قد تساهم فى تقريبها:

ألف:أن تصبح دراسه القران(تلاوه و تدبّرا و تفسيرا و تأويلا)كما علوم القران قاعده الدراسات الاخرى فى المعاهد الدينيه و الحوزات العلميه،حيث ينبغى البدء بها بعد دراسه اللغه و قواعد اللغه لكى يتربّى الدعاه إلى اللّه وفق المنهج الربّانى،فلا يتأثروا بالثقافات الدخيله،كالفلسفه اليونانيه أو الأفكار الهنديه القديمه أو المبادئ الوافده من الغرب أو من الشرق.

باء:أن نسعى جاهدين لاستنباط قيم الوحى و مقاصد الشريعه و أهداف الدّين من القران الكريم،فتكون قاعده فهمنا للفقه،و تحليلنا للتاريخ،و مواقفنا فى السياسه.لا بد أن نقضى على الفجوه المصطنعه بين علمى الفقه و التفسير.أو ليس كتاب ربّنا بالنسبه إلى الفقه كما الدستور بالنسبه إلى القوانين و اللوائح؟

ص:۴۸۶

جيم:كيف ندعوا الناس إلى الدّين؟كيف ننذرهم عاقبه الكفر و الفسوق و العصيان؟كيف نربّيهم على التقوى و الفضيله؟ لا ريب أنّ بعض مناهج التبليغ خير من بعضها،و الدعاه يختلفون فى هذه المناهج،و لكنّ أفضلها جميعا منهج القران الذى اتّبعه النبىّ و ال بيته الكرام (صلوات اللّه عليهم)،فلا بد أن نتّخذ ايات القران و تفسيرها وسيله للوعظ و الإرشاد،و كفى بها واعظا،و من لم تنفعه ايات الذكر لن ينتفع بشىء.

و الواقع:كانت هذه الأفكار التى اختصرتها هنا فى صوره مقترحات على أمل أن أفصّلها فى مناسبات أخرى كانت وراء اتّجاهى نحو التفسير قبل حوالى ١٢ سنه.كم وفّقت فى تحقيقها؟لا أدرى،و لكن لا زلت مقتنعا بأنّنى بحاجه إلى الاستزاده من القران،و قد سألت اللّه أن يجعلنى مشغولا إلى نهايه عمرى بتفسيره، فهل أوفّق أم تحول مشاكل الحياه دون هذه الامنيه الشيّقه؟أنّى كان فإنّ أملى باللّه،ثم بهذا التوجّه الجديد إلى القران من قبل العلماء و المفكّرين،كما بإخوتنا فى مؤسسه دار الهدى،الاستمرار فى هذا الاتجاه إنشاء اللّه.

و كلمه أخيره:

إنّنى أشكر اللّه الذى هدانى إلى كتابه فأصبحت أنظر إلى الحقائق بصوره أجلى..و أصلّى على النبىّ محمّد و اله،سيما الامام علىّ بن موسى الرضا الذى طالما سألت اللّه عند ضريحه التوفيق فى إتمام التفسير.

و أذكر بالخير إخوانى الذين ساهموا بشكلّ أو بآخر فى هذا التفسير،و أخصّ بالذكر الاخوه سماحه الشيخ صمدى و سماحه الشيخ شهاب و سماحه الشيخ عبد الشهيد و الأستاذ طالب خان من دار الهدى الذين ساهموا بصوره فعّاله فى إنجاز التفسير،كذلك الأستاذ الحاج حسن الرضوى و الأستاذ عبد اللّه أكبرى و سائر

الاخوه فی مکتبی..و الأستاذ حسنین فی دار البصائر ممّن ساهم فی تهیئه وسائل طبع و نشر الکتاب بالصوره الجمیله التی علیها.

و لا أنسی أخیرا أن أذکر زوجتی المرحومه أمّ صالح،التی أهدیت ثواب التفسیر إلی روحها وفاء لصبرها معی فی الشدائد.

أسأل اللّه العلیّ القدیر أن یتقبّل منّا ذلک،و أن یغفر لنا ذنوبنا و تقصیرنا فی أمرنا إنّه غفور رحیم. (۱)

مشهد المشرفّه محمّد تقی المدرسی /۱۳ذی الحجّه الحرام۱۴۰۹/ ه

ص:۴۸۸

---

۱ - ۱) بعد کتابه هذه المقدمه.بأشهر صدمتنا وفاه أخینا الفاضل الخطیب المجاهد سماحه الشیخ شهاب (علی المهدی ال حیدر)الذی کان نعم العون لنا فی دار الهدی حیث ساهم بأدبه الرفیع.و ذکائه المتقد،و علمه الجم فی بلوره رؤانا فی التفسیر و صیاغته،و بالذات فی الاجزاء الاربعه ما قبل الاخیره. فجاءت وفاته التی کانت بحادثه سیاره-جاءت دلیلا جدیدا علی أن فرصه العمر أقصر مما نتصور.و انها تنتهی فی أیه لحظه فعلینا الاجتهاد فی استغلالها.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان بإشراف آیة الله الحاج السید حسن فقیه الإمامی عام ۱۴۲۶ الهجری فی المجالات الدینیة والثقافیة والعلمیة معتمداً علی النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائیین والمثقفین فی الجامعات والحوزات العلمیة.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراکز القائمة بتوفیر المصادر فی العلوم الإسلامیة وتبعثرها فی أنحاء البلاد وصعوبة الحصول علی مصادرها أحیاناً، تهدف مؤسسة القائمیة للدراسات الکمبیوتریة فی أصفهان إلی التوفیر الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلی الباحثین فی العلوم الإسلامیة وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الکترونیة من الکتب والمقالات العلمیة والدراسات المفیدة وهی منظمة فی برامج إلکترونیة وجاهزة فی مختلف اللغات عرضاً للباحثین والمثقفین والراغبین فیها.

وتحاول المؤسسة تقدیم الخدمة معتمدة علی النظرة العلمیة البحتة البعیدة من التعصبات الشخصیة والاجتماعیة والسیاسیة والقومیة وعلی أساس خطة تنوی تنظیم الأعمال والمنشورات الصادرة من جمیع مراکز الشیعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامیة وتعالیم القرآن وآل بیت النبیّ علیهم السلام

تحفیز الناس خصوصا الشباب علی دراسة أدقّ فی المسائل الدینیة

تنزیل البرامج المفیدة فی الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثین والمحققین فی الحوازت العلمیة والجامعات

توسیع عام لفکرة المطالعة

تهمید الأرضیة لتحریض المنشورات والکتّاب علی تقدیم آثارهم لتنظیمها فی ملفات الکترونیة

السیاسات:

مراعاة القوانین والعمل حسب المعاییر القانونیة

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراکز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتینیة وتکرار المحاولات السابقة

العرض العلمی البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فى تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣۴۴٩٠١٢۵

هاتف المكتب فى طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.